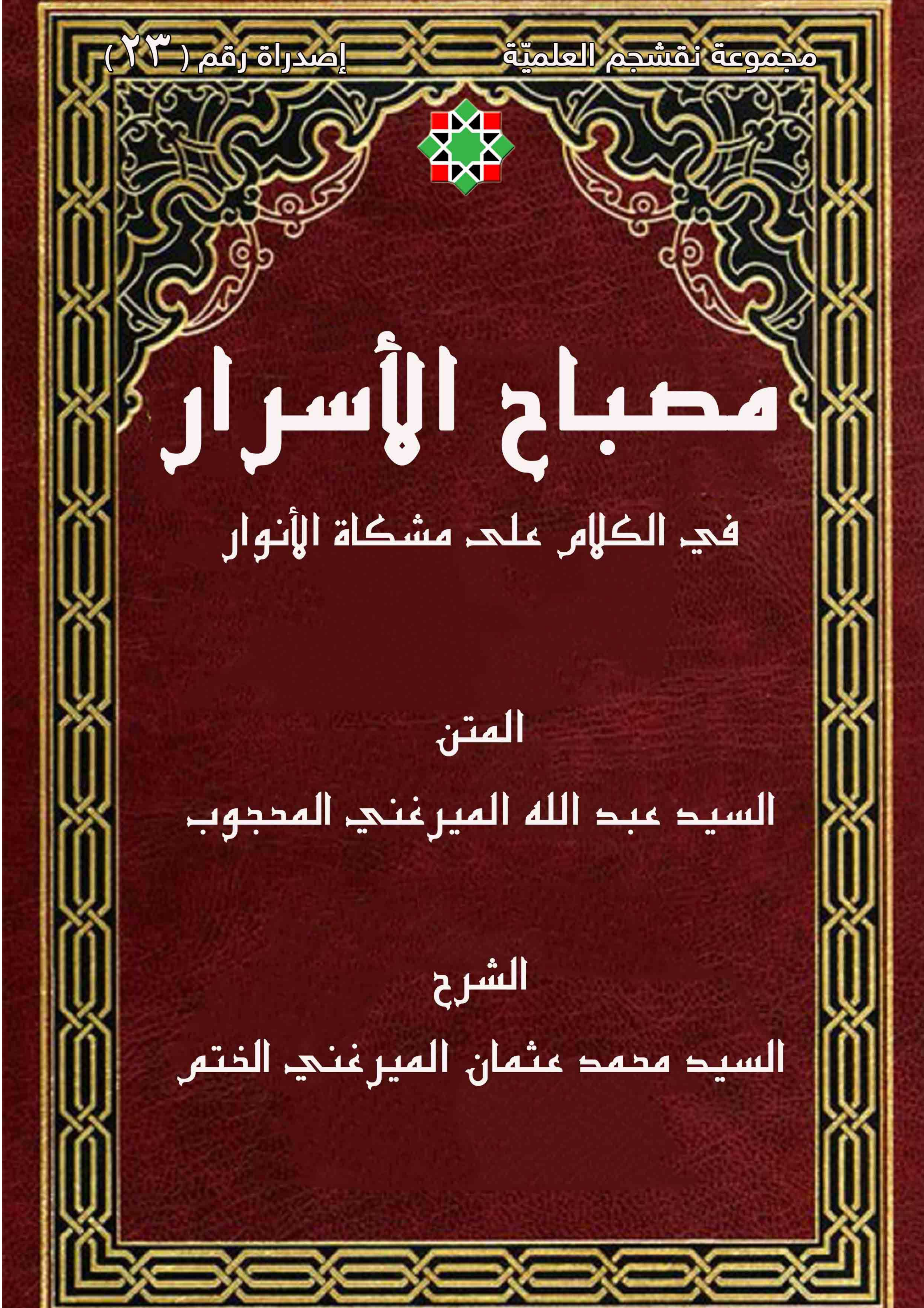

مجموعة نقشجم العلميّة
إصدراة رقم (٢٣)
مصباح الأسرار
في الكلام على مشكاة الأنوار
المتن
السيد عبد الله الميرغني المحجوب
الشرح
السيد محمد عثمان الميرغني الختم

مصباح الأسرار

في الكلام على مشكاة الأنوار

المتن

السيد عبد الله الميرغني المحجوب

الشرح

السيد محمد عثمان الميرغني الختم

شعبان ١٤٤٠هـ - أبريل ٢٠١٩م

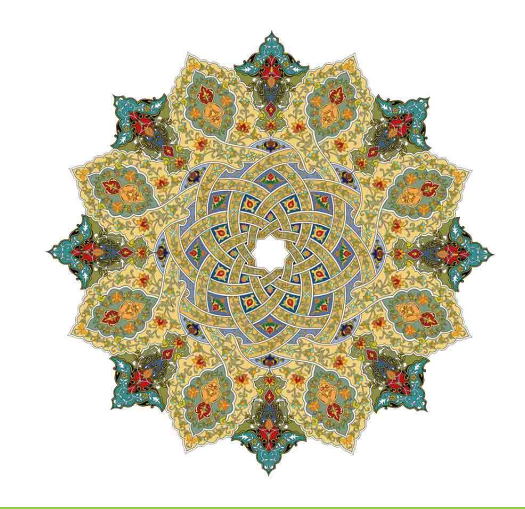
يمكنكم مراسلتنا، عبر البريد الإلكتروني: ngshjm@yahoo.com

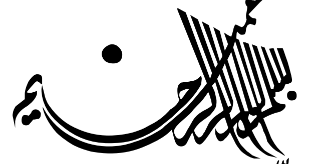
أو عبر صفحة مجموعة نقشجم العلمية، على الفيسبوك: facebook.com/ngshjm

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



صَدَقَ اللهُ العظيمُ





به الإعانة بدءاً وختماً، وصلّى الله على سيدنا محمد، ذاتاً ووصفاً واسما

مقدمة الشارح

الحمد لله الذي جعل سيرة حبيبه المحبوب، هي الشفاء والراحة للقلوب، وبالعمل بها ينال في المعاد المطلوب، وبمطالعتها تبتهج النفوس، وبمحبة الحب تذوب، والشكر له على محبة الصفي الموهوب .

وأشهد أن لا إله إلا الله، المتفضّل علينا بخدمة سِيَرَ منتقاه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المرتضى، لمن اقتفاه ﷺ، وشرّف وعظّم وكرّم، وعلى أصحابه النجوم الزاهرة، الرحماء بينهم الأشداء على الكفرة، الباذلين أنفسهم لتأييد الدين والتقديس، الخائضين أسنة القنا وسنان البيض إذا حمي الوطيس، وآله سفن النجاة في يوم التعبيس .

(أما بعد): فيقول قصير الباع، قليل الإطلاع، المتهجم على اللطائف بلا قدم، الميرغني المكي محمد عثمان الختم، إنه قد طلب منى جلّ من الأحباب، وقِلّ من الإخوان والأصحاب، شرحاً صغير الحجم، كالحل على مشكاة الأنوار، للجد العارف بالله صندوق الأسرار، فتماديت ولم أنشط لذلك، لعدم إطلاعي على جميع ما هنالك، وكيف وقد قال مؤلفها هي خلاصة أسفار، وشرحها يحتاج إلى أوقار، والأمر كما قال رضي الله عنه .

فألحوا عليّ، وقالوا: لا يتم لنا الانتفاع إلا بإيضاح ما برز منه، ومعرفة مواطن هذه الآثار، ومعناها بلطيف ألفاظ بلا استكثار ، فأجبتهم رجاء أن أُرسم في خدام سِيَرِه الشريفة، وأفور بإظهار هذا الكتاب، إذا عرفت معانيه الظريفة، فليقبل عليه كل محب لذلك الجناب، فأظفر برضاء الجدين النبي ﷺ ومؤلف الكتاب .

واعتمدت في المدد عليهما جانحاً عن الإطناب، معتمداً في ذلك على شرح ألفية العراقي للمناوي، ملتقطاً للبعض من شرحه في الجامع الصغير، وكذا شرحه على الشمائل، والفضل بيد الكريم الكبير، ومنه المسئول قبولها وإتمامها، وعليه المتكل في تنميقها وانتظامها .

تعريف الشارح بجده، مؤلف الكتاب الأصلي: فأقول أولاً اعلم أن مؤلف هذا الكتاب، هو العارف بالله الولي الأواب، الصوفي القطب الكامل، والغوث الفاضل، الجامع بين الشريعة والحقيقة، المحدّث المطّلع على كتب الحديث ومعانيها الدقيقة، أبو محمد، سيدي السند الشريف، السيد عبد الله الميرغني الظريف، الحسيني الحسني، الفرد السني .

ظهر رضي الله عنه أولاً بمكة المشرفة، ثم انتقل إلى الطائف، وبه مات وقبره ثَمّ يزار، وله مع الحبر تصرف . واعلم أن له جملة تآليف، من ألطفها هذا الكتاب الشريف، وشرحه يحتاج إلى عالم وأسفار، إنما جعلت هذا حلاً، ولعل أن يشرحه الأحبار، مختصراً للسير تاركاً لتعدد الروايات، مستكفياً بالقصار منها عن المطولات، لخوف أن تكل الهمم من السعة في النقل والقراءات .

فعليكم بها، فقد قال بعض العارفين الثقات: أول ما ينبغي للمؤمنين الاشتغال به؛ سيره وشمائله ﷺ ، لينال الثواب على جميع الحركات، لأن القصد يكون إتباع

سيد السادات ﷺ . قال الإمام الجنيد رضي الله عنه : الطرق كلها مسدودة، إلا على من اقتفى آثار الرسول ﷺ ، وقال ذو النون المصري رضي الله عنه : من علامات المحب، متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله، وأوامره، ونهيه . وسميته: (مصباح الأسرار في الكلام على مشكاة الأنوار) .

كتاب مصباح الأسرار في الكلام على مشكاة الأنوار

خطبة الكتاب

(بسم الله الرحمن الرحيم) بدأ بها اقتداء بالقرآن الكريم، وعملاً بقول الرسول ﷺ ، عليه أتم التسليم: (كل أمر ذي بال، لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أقطع)، أي ناقص البركة، رواه ابن حبان، وغيره بسنده. ثم ثنّى بـ (الحمد لله رب العالمين) عملاً بقول سيد المرسلين: (كل أمر ذي بال، لا يبدأ فيه بالحمد لله، فهو أقطع)، أخرج ذلك أبو داود، والنسائي، عن أبي هريرة .

(حمداً) مصدر حمد، ومعناه لغة: الثناء باللسان على الجميل الإختياري، واصطلاحاً: فعل ينبيء عن تعظيم الباري، (يفوق) ويعلو ذلك الحمد، (حمد) وثناء (الحامدين)، المثنين على القوي المتين، لأنه طلب أن يكون (حمداً) وشكراً (يليق) ويناسب ويصلح (به) سبحانه وتعالى، (منه) جلّ جلاله، (إليه) تباركت أسماؤه، وتقدست ذاته، فكان حمد الحق بالحق نيابة عنه، فصار هو الحامد نفسه، ولا شك أن حمده لنفسه أفضل من حمد كل حامد، (ويتضاعف) أي يتكاثر ويتزايد، (سرمداً) دائماً، (بجميع) أي بسائر (ضروبه) وأنواعه، (عليه) سبحانه وتعالى .

(نحمده) ثناء بعد ثناء، لكن الأول كأنه من الحق على الحق، وهذا من المؤلف على الحق. ونشكره (أن اختار) أي اصطفى، (سيدنا) ومعنى السيد هو الحليم الذي لا يستفزه الغضب، وهو ﷺ سيد العجم والعرب، (محمداً) عطف بيان، وهو مشتق من الحمد، فنعم الحامد المحب.

وقد كان هذا الاصطفاء له (من سابق الأزل)، قبل أن يخلق الحق مخلوقاً، كما روى عن جابر الأجل: أنه قال له ﷺ : أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر، (وحلّاه)

أي زيّنه، (بجميل الحلى) والصفات، (و) لطيف (الحلل) الفخيمات، (وجعله) ﷺ (عروس) على وزن صبور، أى محبوب (حضرته) التي لا كيف يوصفها، ولا أين يشملها، (القدسية) المنزهة عن دخول أحد من أهل النفسانية، (ونفيس) وجميل (حضيرته) سبحانه (الأقدسية) المشاهد فيها للتجليات الإلهية، (وسلطان) وعظيم (مملكته)، وهو موضع الملك، (الأنفسية) أي الجميلة، وهو المتصرف في كل الرعية من خيار البرية، (وينبوع ينابيع) وعين عيون (الفيوض) والإمدادات (الإلهية) العظموتية، (ونشكره) ونثني عليه) ، (أن جعله ممداً) لأنواره وأسراره، (مُمداً) با للعظماء، على قدر تهيئهم لافتخاره، (ومعداً) لتجليه الأعظم، (معداً) لسواه لتلقي التجلي الأفخم .

(وأشهد أن لا إله إلا الله) الفرد الأمجد، (شهادة معترف) مقر بأنه (الواحد الأحد) العظيم الذي انفرد بالكمال الأوحد، (الفرد الصمد) الذي عليه الإلتجاء وهو المعتمد، (ومغترف) وآخذ من بحر (فيض) فائض (فضله) الجليل (في المدد) خزانة موضع المدد، (بلا كيف ولا حصر ولا عدد) ولا انتهاء يدركه فرد .

(وأشهد أن سيدنا محمد محبوبه) الذي له وجهة تجليه، (مختاره) لشهود ذاته وتدليه، (المقصود ونبيه) العظيم النبيه، (ورسوله) المرسل منه، (إلى كافة الجنود) من رسل وأنبياء وأملاك وإنس وجن، وكل موجود .

(أرسله بالهدى ودين الحق) فمن تقدم عليه مغترف منه، ومن تأخر ظهر بظاهر ما جاء به، ذو الصدق، (وهو الحقيق بذلك والمحق) والحري الجديد لما هنالك، الصادق المصدق، (من كان عند الأول) القديم، (أول كل أول) ومنه برز المخلوق

الأول الفخيم، (ولم يزل) المحبوب لدى مولاه، (يتدلل ويدلل) في حضـــراته، (كـل مدلل) فلا محبوب إلا لأجله، أحب وجلل .

(صلّى الله عليه وسلّم) الحبيب المحبـوب المفخـم، (صـلاة وسـلاماً) جليلـين جميلين، (يليقان به) معشوق الجناب، (منه إليه) لا يحصرهما عدد مكملات، (صـلاة وسلاماً من ظرائـف) شرائـف عظمـة كمالـه الـذي لا يبلغـه الواصـفون، وتحيـات وبركات من (لطائف سره المخزون) في خزانته التي لا يعلمها الواصلون، (و) هبات وهديات من (نفائس عرائس غيب غيبه المكنون) التـي لا يعلمهـا إلا هـو، فلينتبـه العالمون، (وعلى إخوانـه الأنبيـاء) السـادة الأبريـاء، (وخلانـه الأصـفياء) العظـماء الأتقياء، (وأتباعه الأتقياء) الواقفين على قدمه الأجلياء، (ما فـاض الفيضـان) مـن حضرة المنان، (وتعاقب الملوان) على ممر الجديدان .

(وبعد فهذا جزء لطيف) محتوٍ على علوم كل فرد منها شريف، (في بعض شئون الحضرة المحمدية) المحبوبة لكل البرية، (ونز ظريف) منطو على كمالات تنيف، (من نعوت الذات الأحمدية)، التي لها الكمالات السنية .

(اقتطفته) من كتب الحديث، (ليـتلى في أدنـى مجلـس) ويتشرـف بـه كـل عـالم مدرس، (والتقطته) من أسفار السِّيَر، (ليجلى على كـل مسـتأنس) فـيعلم وصـف الحبيب فيهيم به، ويسمع أفعاله فيتبع، فيكون من عظماء حزبـه، (ولتسـتنير بتلاوتـه القلـوب)، و تتعلـق بمحبـة المحبـوب، (وتستضيـء بطلاوتـه) وبهجتـه الطـالبون للمطلوب، ويعم عرفه ونوره في (عوالم الشهادة والغيوب) المحجوبـة إلا عـن أهـل القلوب .

(وليحيي به موات الأشباح والأرواح) إذ هو قوتهما المعنوي الصراح، (وليقال عند سماعه) وتعلقه، (حي على الفلاح) قوموا إلى النجاح، (حي على الفلاح) بادروا إلى الصلاح، (وسميته مشكاة الأنوار) والمجلي الجامع للأسرار، (في أوصاف المختار) ونعوت مصطفى الغفار، (والنور الهادي) إلى سبيل الرشاد، والسر الحادي (إلى شمائل الهادى) ﷺ بعدد كل رائح وغاد .

ما اختص الله تعالى محمدا ﷺ من الفضائل

(اعلموا) وأيقنوا، (هدانا الله جميعاً إليه)، وأرشدنا إلى ما يقرب لديه، (ودلنا سريعاً عليه) وجمعنا قريباً بين يديه، (أن سيدنا رسول الله) وحبيب ومختار الإله، (صلَّى الله عليه وسلّم) وشرّف وعظّم وكرّم، (هو باب الله الأعظم) الذي يدخل به إلى جنابه الأفخم، (وقسطاسه القويم الأكرم) الذي من آوى إليه تقدم، (ومنهاجه العظيم الأفخم) الذي من سلكه فاز وتعظّم، (ومعراجه لكل من تأخر وتقدم) الذي من راقبه صار علياً وتكرم، (بل هو حضرته العظمى) وخليفته الجالس على المنصة الفخمى، (وحماه الأحمى) الذي من دخله أمن العمى، (وسماه الأسمى) الذي من لاذ به حاز النعما، (فمنه الورود والصدور) في حضراته حضرات الغفور، (وعنه المدد على ممر الدهور) وذلك جار لكل مغترف على مدى العصور، (فهو الملتمس والمقتبس)، والمطلوب والمرغوب لكل مؤتنس، (والمرجوع إليه في كل نفس) والمعول عليه في كل ملتبس، (فلا بد من عرفانه) وإظهار بعض من مكانه، وحقيقة ذلك بعيدة، ولا بد من إفادة العبيد، (ولو ببيان نزر) من شأنه) ليفوزوا بالخير، ويعرفوه في مظانه .



في سيرته الشريفة

(فأقول مبوباً ذلك خمسة أبواب) معتمداً على مدد الرسول الأواب .

(الباب الأول) من الخمسة، وهو لغة: ما يدخل منه إلى غيره، واصطلاحاً: ألفاظ مخصوصة، دالة على معانٍ مخصوصة، ووضعه (في سيرته) وقد غلب اسم السير في السنة الفقهاء والمحدثين على المغازي ونحوها، وذكر فيه المؤلف هنا نسبه ﷺ ونشأته، ودعايته، وغزواته، ولطائفه (الشريفة) التي جرت بتأديب الله له أحسن وظيفة، (و) كذا في (سريرته) التي هي أصفى السراير، بما أودعت من الإخلاص، والخير الظاهر .

فبدأ أولاً فيه بوصف مولاه له، وثنائه على كماله، الذي جعله فيه .

فقال رضي الله عنه (قال) وأصله قول من باب فَعَل (الله) اسم الذات المنطوي فيه جميع أسرار الكمالات، (تعالى) عن كل ما لا يليق به، من النقوصات في آخر سورة التوبة: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ)، أي منكم محمد ﷺ ، وقرأت فاطمة رضي الله عنها، : (مِّنْ أَنفُسِكُمْ) بفتح الفاء، أي أحسنكم، (عَزِيزٌ) شديد، (عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) أي عنتكم أي مشقتكم، ولقاءكم المكروه، (حَرِيصٌ عَلَيْكُم) أن تهتدوا، (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ) شديد الرحمة، (رَّحِيمٌ) يريد لهم الخير .

نسبه ﷺ

ثم أخذ يتكلم في نسبه ﷺ، فقال: (فهو) أي النبي ﷺ .

اسمه محمد ﷺ ومزايا الاسم: (محمد) وهو علم وصفة، كما قال ابن القيم: اجتمعا في حقه ﷺ، وهو في الأصل منقول من التحميد، وهو المبالغة في الحمد، وموافقته الحميد من أسمائه تعالى في الاشتقاق، ولذا قال حسان رضي الله عنه :

وشقّ له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن مزايا هذا الاسم الشريف، أنه لا يصح إسلام كافر حتى يتلفظ به، وسمّاه به عبد المطلب

كما روى البيهقي في [الدلائل] : أنه لما ولد المصطفى ﷺ عمل له مائدة، فلما أكلوا، سألوه: ما سميته؟ قال: محمد، قالوا: فلم رغبت به عن أسماء أهل بيتك؟، قال: رجاء أن يحمده الله تعالى في السماء، وأهل بيتي في الأرض .

(ابن عبد الله): وهو علم منقول، من مركب إضافي، ومعناه الخاضع لله، من قولهم طريق مُعبّد إذا وطئها الناس، وكنيته أبو قثم، وأبو محمد، وأبو أحمد، ولقبه الذبيح. تزوج بأمنة بنت وهب بن عبد مناف، سيد بني زهرة يومئذ، وهو ابن ثلاثين، وقيل: خمس وعشرين، ولم يلد غيره ﷺ .

وهو (ابن عبد المطلب) مفتعل من الطلب، واسمه شيبة الحمد، قيل: إنه سمي به لأنه ولد في رأسه شيبة، أي شعرة بيضاء، وكنيته أبو الحارث، وكان مشرع قريش وشريفهم، وملجأهم في المهمات .

وهو (ابن هاشم) واسمه عمرو، اسم منقول من العَمْرة بالفتح، الذي هو العُمُر بالضم، أي البقاء، وقيل: غير ذلك، وهاشم لقبه لكونه أول من هشم الثريد للحاج أيام الموسم، وهو أول من سنّ الرحلتين، رحلة الشتاء إلى الحبشة، ورحلة الصيف إلى الشام .

وهو (ابن عبد مناف) من أناف ينيف إنافة، إذا ارتفع، سمي به لطوله، واسمه المغيرة، منقول من الوصف، أي أنه مغير على الأعداء، وكنيته أبو عبد شمس، وكان يقال له قمر البطحاء .

وهو (ابن قُصي) بضم القاف، وفتح الصاد المهملة، بصفة التصغير، ولقب به لأنه بعد عن قومه، في بلاد قضاعة مع أمه، ويلقب أيضاً مُجَمِّعاً بضم الميم الأولى، وشد الثانية وكسرها، قال الشاعر فيه:

أبوكم قُصَيٌّ كان يُدْعى مُجَمِّعاً   به جمع الله القبائلَ من فهر

وكانت إليه الحجابة، والسقاية، والوفادة، والندوة، واللواء، وحاز شرف مكة جميعاً، فبذلك سمى مجمعاً، واسمه زيد، وكنيته أبو المغيرة، وهو الذي بنى دار الندوة.

وهو (ابن كِلَاب) بكسر الكاف، وخفة اللام، منقول من المصدر الذي بمعنى المكالب، لقب به لمحبته لكلاب الصيد، فكان يجمعها لذلك، وكنيته أبو زُهْرة، واسمه حكيم .

وهو (ابن مُرّة) بضم الميم وشد الراء، منقول من وصف الحنظلة، وقيل: مأخوذ من القوة والشدة، وكنيته أبو يَقَظَة، بفتح القاف والظاء المعجمة .

(ابن كعب) من كعب الإنسان، وهو ما ارتفع فوق رسغه، سُمي به لارتفاعه على قومه، وعلوه عليهم، وكنيته أبو هُصَيْص بمهملتين مصغراً، والهَصُّ شدة الوطء، وكان عظيم القدر عند العرب، فلذلك أرخوا بموته إلى عام الفيل، وهو أول من قال: أما بعد .

(ابن لُؤَيْ) بضم اللام وبالهمزة وتركه، تصغير لواء، وهو الثور الوحشي، وقيل: غير ذلك، وكنيته أبو كعب .

(ابن غالب) من الغلب، أو الغلبة، وكنيته أبو تيم .

(ابن فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء، والفهر الحجر الأملس، يملأ الكف، وهذا اسم أبيه، وأما أمه فسمته قريشاً، وقيل: بالعكس، ومنه قريش على الأصح، كما سيأتي .

(ابن مالك) اسم فاعل، من مَلك يملك، وكنيته أبو الحارث .

وهو (ابن النَّضْر) بفتح النون، وسكون المعجمة، ولقب به لنضارة وجهه، والنضر الذهب الأحمر، واسمه قيس، وكنيته أبو مخلد .

وهو (ابن كنانة) بكسر الكاف ونونين خفيفتين، سُمِي به لأنه بستره على قومه كالكنانة، أي الجعبة الساترة للسهام، وكان شيخاً مسناً، عظيم القدر، تحج إليه العرب لعلمه وفضله .

وهو (ابن خُزيْمة) مصغر خَزْمَة، بفتح المعجمة وسكون الزاي، من خزمته فهو مخزوم، إذا أدخلت في أنفه الخزام، وكنيته أبو أُسَيْد، وروى ابن عباس: أنه مات على ملة إبراهيم .

وهو (ابن مُدْرِكَة) بضم فسكون فكسر، واسمه عَمْرو أو عامر، ويكنى أبا الهُذَيْل وأبا خزيمة، خرج في نجعة فنفرت إبله من أرنب، فخرج فأدركها فسُمِي مُدْرِكة، وكان جواداً، ممدوحاً، عالي الهمة .

وهو (ابن الياس) بكسر الهمزة وتفتح، ولامه للتعريف، وهمزته للوصل عند الجمهور، وهو ضد الرجاء، وهو أول من أهدى للبيت البدن، [ما يهدي للبيت من الإبل والبقر] . وأول من وضع الركن للناس، بعد غرق البيت وانهدامه زمن نوح، ولم تزل تعظمه العرب تعظيم أهل الحكمة . قال السهيلي: ويذكر عنه ﷺ أنه قال: لا تسبوا الياس، فإنه كان مؤمناً . ويقال إنه: كان يسمع في صلبه تلبية المصطفى ﷺ بالحج .

وهو (ابن مُضَر) بضم الميم، وفتح المعجمة، معدول عن ماضر، لأنه كان يحب شرب اللبن الماضر، أي الحامض، وقيل: غير ذلك . وروى ابن حبيب، عن ابن المسيب، مرسلاً: لا تسبوا مضر، فإنه كان مسلماً، مات على ملة إبراهيم .

(ابن نزار) بكسر النون وخفة الزاي، من النزر أي القليل، سُمي به لأنه كان فريد عصره، وقيل: غير ذلك، واسمه خلدان، وكنيته أبو إياد، وقيل: أبو ربيعة، وكان مقداماً .

وهو (ابن مَعَدٍّ) بفتح الميم والمهملة، وتشديد الدال، من تعدد إذا اشتد، وقيل: غير ذلك، واسمه عمر، وكنيته أبو قضاعة . قال السهيلي: أوحى الله إلى أرميا، أحمله على البراق إلى أرض العراق، فإني مخرج من صلبه نبياً اسمه (محمد) فحمله معه .

وهو (ابن عدنان) بوزن فعلان، من عَدَن، إذا أقام، ومن المعدِن بكسر الدال .

وروى ابن حبيب، في [تاريخه]، عن ابن عباس: كان، وفي رواية: مات عدنان ومعد وربيعة على ملة إبراهيم، فلا تذكروهم إلا بخير .

وهنا انتهى النسب الذي لم يختلف فيه أحد .

ولهذا أوقف المؤلف هنا، ولم يتجاوز، لأن ما وراءه فيه الاختلاف، فإنه قد أخرج الطبراني، عن عائشة، بإسناد جيد: استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان .

مولده ﷺ ومرباه وكفالته

ثم أخذ يتكلم على مولده ومرباه وكفله، فقال: مولـده ﷺ : ولـد النبـي ﷺ وشرّف وكرّم (بمكة) بدار عند الصفا، وكانت مدة حمل أمه به تسعة أشهر، وقيـل: عشرة، (في) شهر (ربيع الأول) على ما عليه العمل والمعـول، (يـوم الاثـنين) . روى أحمد، ومسلم، وأبو داود، عن أبي قتادة، مرفوعاً: يوم الاثنين يوم وُلدت فيه، وأنـزل عليّ فيه . وما مشى عليه المؤلف من كون الولادة نهاراً هو الصواب .

(عام الفيل) قال ابن حبان في [تاريخه] : ولد عام الفيل، في اليوم الذي أرسـلت فيه الأبابيل، (ورأت) أي أبصرت، (أمه) آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة بن كلاب، وفيه يجتمع نسبها مع أبيه ﷺ، (حين وضعته) أي حين وضعها لـه، (نـوراً خرج منها) وانتشر، (أضاء به) أي بذلك النور، (قصور) جمع قـصر وهـو المنـزل، (بُصْرى) بضم الموحدة التحتانية، وسكون المهملة، وفتح الراء مدينـة بالشـام. روى ابن سعد في [طبقاته] عن الجعفي السلمي، أنه قال ﷺ: رأت أمي حـين وضـعتني سطع منها نور، أضاء له قصور بصرى .

(ووقع) ﷺ (وبصره مرتفع إلى السماء) حين وضعته . كما روى ابن سعد بـن محمد بن عمر الأسلمي، عن أمه، أنها قالت: لما وضعته خرج نور أضـاء لـه مـا بـين المشرق والمغرب . ثم وقع جاثياً على ركبتيه، معتمـداً عـلى الأرض بيديـه، ثـم أخـذ قبضة من ترابها ورفع رأسه إلى السماء . وقال العلامة ابن حجر في [شرح الهمزيـة] : إشارة إلى أن شأنه وقدره؛ يرتفع ويعلو في الدنيا والآخرة إلى مراتب لم يصلـها غـيره من ملك ولا جن ولا إنس، نكتة جرت العادة بين الناس، إذا سمعوا بـذكر وضـعه

قاموا ولا أصل له، إنما أصله أن الصرصري الشاعر، أنشد في ختم درس السبكي قصيدة منها:

قليل لخط المصطفى الخط بالذهب على فضة من خط أحسن من كتب
وإن تنهض الأشراف عند سماعه قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب

فلما سمعه الشيخ قام، وقام الحاضرون، فدرج الناس عليه، انتهى .

(مات أبوه) وهو ابن خمس وعشرين سنة، (وعمره) ﷺ (عامان وثلث) عام وهو قول الأكثر ، (أو كان) ﷺ (حملاً) حين تم له شهران، وصحح ذلك الحاكم في [مستدركه] ، عن قيس بن مخرمة .

مرضعتاه ﷺ : و (أرضعته) بلبن ابنها مسروح أياماً، (ثُوَيْبة) بضم المثلثة والواو، مولاةُ أبي لهب، أعتقها حين بشرته بولادة النبي ﷺ ، والصحيح أنها لم تسلم هي ولا ولدها .

(ثم) أرضعته بعدها (حليمة) بنت أبي ذؤيب، بذال معجمة، واسمه عبد الله بن الحارث، (وأقام) ﷺ (عندها) أي عند حليمة (في بني سعد أربعة أعوام) على الأصح، وقال الزين العراقي في [ألفية السِّيرِ] :

أقام في بني سعد بن بكر عندها الأربعة الأعوام تجني سعدها

شق صدره ﷺ المرة الأولى: (فأتاه) وهو عندها (جبريل) أمين الوحي (عليه السلام) وعلى النبي، في بلاد بني سعد بن مالك، (فشقّ صدره) واستخرج قلبه فشقه، وأخرج منه علقة سوداء، ثم غسله بثلج حي أنقاه .

وفي [مسلم] : أتاه جبريل فأخذه فصرعه، فشقه ثم استخرج القلب، فأخرج منه علقة سوداء، فقال : هذا حظ الشيطان منك، ثم حشاه بشيء معه، ورده مكانه، وختمه بخاتم من نور، ثم قال: فأنا الساعة أجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي، وأخبرها بما رأى .

(فخافت) حليمة (عليه) من لمم حين أخبرها، (فردته) ﷺ (إلى أمه) سالماً من خلل وخبل .

كفالة أمه له ﷺ ووفاتها : (فخرجت به) أمه (إلى المدينة) المنورة، (لزيارة) أي لأجل زيارة (أخواله) فيها من بني عدي بن النجار، لأن أم عبد المطلب هي بنت عمير النجارية، (فماتت) بعد أن مرضت في الطريق إلى مكة، وماتت فيه، (وهي) حال كونها (راجعة) به إلى مكة، (ودفنت) هناك (بالأبواء) بفتح الهمزة وسكون الموحدة والمد، موضع بين الحرمين، وإلى المدينة أقرب على ثلاث وعشرين ميلاً، منها سمي بجمع بوٍّ، وهو جلد الحوار المحشو بالتبن، (وعمره) إذا ذاك (ستة أعوام) على ما ذكره ابن عبد البر .

كفالة جده له ﷺ : (فحملته) حين ماتت أمه، (أم أيمن) واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمر بن محصن، أم أسامة، كانت لأمه آمنة، وكان يقول ﷺ أم أيمن أمي بعد أمي، وأتت به بعد خمسة، (إلى) جده (عبد المطلب) وهو بمكة المشرفة، (فكفله) ورقّ عليه رقة لم يرقها على ولده، والكفالة القيام بأمر الطفل ،وحفظه وتربيته، ولم يزل يكفله (إلى تمام) العام (الثامن) عنده، (فمات) أي هلك عبد المطلب، وكان سنه مائة وعشرين سنة .

كفالة عمه له ﷺ : وعند وفاته (أوصى به) أي بالنبي ﷺ (إلى) عمه (أبي طالب) لأن عبد الله وأبا طالب كانا لأم واحدة .

روى ابن سعد، وابن عساكر، وغيرهما، عن ابن عباس، وغيره: لما توفى عبد المطلب قبض المصطفى ﷺ أبو طالب، فكان معه وأحبه حباً عظيماً، (فافتخر) حين رأى ما رأى منه من البركة (بشرف كفالته) للنبي ﷺ .

حفظ إسرائيل عليه السلام له ﷺ : (وأمر الله) سبحانه (إسرافيل) الملك الموكل بنفخ الصور، (عليه) وعلى النبي (السلام) الأمان المقرون بالتحية، (بملازمته) أي حفظه النبي ﷺ ، إلى العام (الحادي عشر) فما أعظم به اعتناء البر.

حفظ جبريل عليه السلام له ﷺ : ثم (أمر) الله تعالى (جبريل) أمين وحيه (بذلك) أي الحفظ والملازمة (مع عدم ظهوره) للنبي ﷺ .

سفره ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب: (وسافر مع عمه) أبي طالب (إلى الشام) حين أراد المسير إليها في تجارة، فقال له المصطفى ﷺ : إلى من تخلفني فرَّق له، فلما ساروا أردفه خلفه، (حتى وصل) إلى (بُصْرى) بالضم، مدينة حوران، (فرآه) راهب بها يسمى (بَحِيرَى) بفتح الموحدة تحت، وكسر المهملة، وآخره ألف مقصورة أو ممدودة، و(علامات) أي دلالات (النبوة عليه) أي على النبي ﷺ .

فنزل عند صومعته، فأخذ بيده، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول الله، فقيل له: ما أعلمك به؟، قال: حين أشرفتم به من العقبة، لم يبق حجر ولا شجر إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وأخبر بغير ذلك . (فقال) بحيرى (لعمه) أبي طالب (ارجع به خوفاً عليه) من اليهود . قال ابن سيد الناس: زعموا أن نفراً من أهل

الكتاب كانوا رءوا منه مثل ما رأى بحيرى، فأرادوه فردهم عنه، فرجع عمه به، (وكان عمره) ﷺ إذ ذاك (ثنتي عشرة سنة) على قول ابن سعد .

سفره ﷺ إلى الشام مع ميسرة، في تجارة خديجة، رضي الله عنها ، والإرهاصات التي حدثت له:

(ثم) سافر مرة أخرى، (مع ميسرة) قال في [نور النبراس] : ولم أر له ذكراً في الصحابة، والظاهر أنه مات قبل البعثة، ولو أدركها لأسلم، وسفره (فى تجارة يتجر فيها (لخديجة بنت خويلد، أم المؤمنين (فرأى منه) ميسرة (العجائب) وهي (مما خصّ به من المواهب) مما لا يحصره كاتب، وهي المنن من الله بلا كسب، فكان مما يرى أنه إذا اشتد الحر، يرى ملكين يظلانه من الشمس، وهو على بعيره .

ومن ذلك: أنه نزل في ظل شجرة، بقرب صومعة راهب، يسمى نسطورا، فاطلع الراهب إلى ميسرة، وكان يعرفه، فقال: من ذا الذي تحت ظل الشجرة؟ فقال: رجل من قريش، قال: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، وسمع غير ذلك منه، ومن غيره فوعاه .

فلما رجعوا إلى مكة، وكانوا بمر الظهران، دخل المصطفى ﷺ مكة، في ساعة الظهيرة، وخديجة في عِلية لها معها نساء، فيهن نفيسة، فرأته خديجة وهو راكب على بعيره، وملكان يظلانه، فأرته نساءها، فعجبن، فلما جاء ميسرة أخبرته بما رأت، (فأخبرها) هو أيضاً بما رأى. (فخطبته) كما جاء في [شرف النيسابوري] : أنها قالت للمصطفى ﷺ : اذهب إلى عمك، فقل له: عجل النساء بالغداة، فلما جاء، قالت: يا أبا طالب، ادخل على عمي، فاسأله يزوجني من ابن أخيك، فقال: لا تستهزئي، فقالت: هذا صنع الله، فدخل مع عشرة من قومها على عمها، فخطبها، فأجاب، فخطب أبو طالب عند ذلك خطبة لطيفة، (فتزوجها) النبي ﷺ (وهو) يومئذ (ابن

خمس وعشرين) عاماً وشهرين وعشرة أيام، من عام الفيل، كما ذكره ابن عبد البر .

(وهي ابنة أربعين) سنة على الأصح .

(وصار يدعى) في قومه (بالأمين) لما شاهدوا من أمانته وصدق حديثه .

بناء البيت الحرام ومشاركته ﷺ فيه: (ولما تمّ له) من العمر (خمس وثلاثون) عاماً (بنت قريش البيت) وهم أولاد فهر بن مالك، على الأصح الذي عزاه البيهقي إلى جمهور العلماء، لكن الأكثر من النسّابة على أنهم أولاد النضر بن كنانة، كما حكاه الأستاذ أبو منصور البغدادي، وعليه التعويل، قال الزين العراقي في [ألفية السِّيَر]:

أما قريش فالأصحُّ فهر جماعها والأكثرون النضر

وأصل القرش الجمع، يقال: قرشه يقرشه، جمعه من هنا ومن هنا، وضم بعضه إلى بعض، ومنه سميت قريش لتجمعهم في الحرم، وقيل غير ذلك .

سبب بناء قريش البيت الحرام: وسبب بناء البيت؛ أنه حُرق بشرارة طارت من امرأة جمرته، ودخله السيل فصدع جداره، وغير ذلك، فأرادوا بناءه ورفع بابه، حتى لا يُدخلوه إلا من شاءوا فبنوه .

قال السهيلي: لما بنت قريش الكعبة، جعلت ارتفاعها من خارجها من أعلاها إلى الأرض، ثماني عشرة ذراعاً، واقتصروا من عرضها أذرعاً في الحجر، لقصر النفقة من الحلال، ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا، انتهى ملخصاً من كلامه .

(وتنازعوا) تنازعاً كثيراً (فيمن يضع الحجر) حتى مكثوا على ذلك أربعة أيام، أو خمسة، واعتدُّوا للقتال، (فارتضوْه) بعد أن قال أمية بن المغيرة – على ما زعم بعض الرواة – : يا معشر قريش، اجعلوا بينكم حكماً فيما تختلفون، أول داخل من

باب المسجد يقضي بينكم، فرضوا، فقعدوا ينظرون أول داخل، فبينما هم على ذلك إذ دخل المصطفى ﷺ ، فقالوا كلهم: رضينا لوضعه بمكانه محمداً الأمين ، (فوضعه) أي الحجر (في ردائه) ﷺ (وأمر كل قبيلة) منهم (أن تأخذ بطرف منه) وقال ﷺ : ترفع كل قبيلة منكم طرفاً من أطراف الثوب، (فرفعوه) إلى أن بلغوا موضعه (فوضعه) النبي ﷺ (في محله) أي موضعه الآن . قال في [الزهر الباسم] : وكان ذلك يوم الاثنين .

(وصار من يومئذ يسمع) ﷺ (صوتاً أحياناً) أي أوقاتاً (ثم صار) بعد ذلك (يرى نوراً)، ثم أخذ يتكلم على ابتداء الوحي فقال:

ابتداء الوحي إليه ﷺ : (ولما دنت) أي قربت، (أيام الوحي) وأصل الوحي إلقاء المعنى في النفس في خفاء، ثم قيل: للكلام الإلهي الذي يلقى إلى الأنبياء وحياً .

أنواع الوحي: وهو أنواع: الأول: الرؤيا الصادقة في المنام، والثاني: نفث الملك في روعه من غير أن يراه، والثالث: أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، فيتلبس به المَلك حتى إن جبينه ينضدُّ عرقاً في اليوم الشديد البرد، والرابع: أن يكلمه الله بلا واسطة، من وراء حجاب في اليقظة، كما في ليلة الإسرى، والخامس: أن يكلمه في النوم، والسادس: أن يجيء الوحي كدوي النحل، وذكر بعضهم أنواعاً أخر .

(أحبَّ) ﷺ (الخلوة والانفراد) من الناس، والنفور من المخالطات في الأهل والمال والعيال بالكلية، واستغرق في تعمير الأذكار القلبية، والأفكار في الأنوار الإلهية، وانقطع عن الأضداد وترك السوى، وطلب الجوّاد، فاستشعر المراد، (فكان يتخلى في جبال حراء) مرة بعد أخرى .

ذكر العلّامة ابن حجر في [شرحه على الهمزية]، عن أبي إسحاق وغيره: أنه كان يخرج إلى حراء شهراً، في كل عام من السنة يتنسك . وقال أيضاً: واختلفوا هل كان يتعبد بشرع، من كان قبله، والجمهور لا وإلا لنقل، وعليه قيل: كان يتعبد إلهاماً من الله تعالى، وطوَّل الكلام، فلينظر في محله عند قول: أَلِفَ النسك والعبادة .

ظهور إرهاصات النبوة عليه ﷺ : (ولم يزل) الرسول (كذلك) في التعبد، والتوجه للمالك، (ومرآة الوحي) أي سرُّه الذي هو مظهر الوحي وسريرته، (تزداد من الصفاء) وكمال الوفاء، بالأدب للمولى، (و) تزداد من (الصقال) الذي لم ينله غيره من الرجال، (حتى بلغ) بالعناية (أقصى) أي نهاية (درجات) جمع درجة، أي منازل (الكمال) والترقي في مشاهد الإفضال، (فظهرت) عند ذلك (تباشير صبح الوحي) عليه، (وأشرقت) على قلبه، (وترادفت) واحدة بعد واحدة (بروق) جمع بارقة، (السعادة) من الله (وتألفت) واجتمعت فيه ولديه، (فصار) ﷺ (لا يمر بحجر ولا شجر، إلا قال) بلسان فصيح، ونطق صحيح: (السلام عليك، يا رسول الله)، فما أعظم شأنه وعلاه، (فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً) لا شبحاً، (ولا خيالاً)، وهذا فضل عليه من الله تعالى .

نزول أمين الوحي عليه ﷺ : (ولم يزل كذلك) يتعبد قربة للمولى المالك، ويخشع قلبه، وتلين عريكته، فيلقى الوحي، ويستعد، وتظهر شريعته (حتى بلغ الأربعين) .

قال الطحاوي في [شرحه على البردة] : لما تمّ لرسول الله ﷺ أربعون سنة، ودخل في السنة الحادية والأربعين يوماً واحداً، أوحى الله تعالى إليه، (فظهر له) ﷺ (شخص) وهو جبريل يوم الاثنين نهاراً، وفيه: أنه سئل عن يوم الاثنين، فقال: ذلك

يوم ولدت فيه، وبعثت فيه، أو قال: أنزل عليّ فيه في شهر رمضان، على المشهور، وقيل: في رجب، وقيل: في ربيع الأول .

قال الزين العراقي في [ألفية السِّير]:

في يوم الاثنين وكان قد خلت　　　من شهر مولده ثمان إن ثبت

وقيل في سابع عشر من رجب　　　وقيل بل في رمضان المطَيَّب

(وهو) أي النبي ﷺ (قائم على حِراء) بكسر الحاء وخفة الراء، جبل على ثلاثة أميال من مكة، (فقال) جبريل (له: أبشر يا محمد، أنا جبريل)، وفيه لغات، كسر الجيم والراء فمثناة تحتية ساكنة، والثانية كذلك، لكن الجيم مفتوحة، والثالثة فتح الجيم والراء، وهمزة بعدها ياء، اسم مركب من جبر، وهو العبد، وإيل: وهو الله، (وأنت رسول الله لهذه الأمة) أي أمته ﷺ .

ثم (أخرج) جبريل (له) أي للنبي ﷺ (قطعة) أي وصلة (نمط من حرير لطيف حسن بهيج، (مرصعة) تلك القطعة، (بجواهر) جمع جوهرة، (فوضعها الأمين، (في يده) ﷺ .

(فقال) جبريل للنبي ﷺ: (اقرأ، فقال) الرسول ﷺ: (ما أنا بقارئ)، وهذه المرة حملت على الإمتناع، (فضمه) إليه، (وغطّه) بغين معجمة وطاء مهملة، والغطُّ حبس النفس، وفي رواية الطبراني: بمثناة فوقية، أي ضمّه وعصره، (حتى بلغ منه ﷺ (الجَهْدَ) ولفظ البخاري: حتى بلغ مني الجهد، وروى بالفتح وبالنصب، أي بلغ الغط غاية الوسع، وروِيي بالضم وبالرفع، أي بلغ الجهد مبلغه، (ثم قال)

جبريل له: (اقرأ، فقال) المصطفى ﷺ : (لست بقارئ)، وحمل هذا الثاني على الإخبار، (فغطّه كذلك، ثلاثاً) وحمل الثالث على الإستفهام .

ثم قال (الناموس) (اقْرَأْ) أوجد القراءة مبتدئاً، (بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) الخلائق، (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) الجنس، (مِنْ عَلَقٍ) جمع علقة، وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ، (اقْرَأْ) تأكيد للأول، (وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) الذي لا يوازنه كريم، (الَّذِي) به حال من ضمير اقرأ، (عَلَّمَ) الخط، (بِالْقَلَمِ) وأول من خط به إدريس، عليه وعلى نبينا السلام، (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ) الجنس، (مَا لَمْ يَعْلَمْ) قبل تعليمه من الهدى، والكتابة والصناعة، وغيرها .

تعليم جبريل النبي ﷺ الوضوء والصلاة: (ثم قال) الأمين للحبيب، عليهما السلام: (انزل، فنزل) والنبي ﷺ (معه، فأجلسه) أي أجلس جبريل النبي ﷺ (على درنوك أبيض، وعليه) أي الدرنوك، (ثوبان أخضران، ثم ضرب) جبريل (برجله الأرض، فنبعت) أي ظهرت، (عين ماء) منها (فتوضأ جبريل، وأمره) أس وأمر النبي ﷺ، (أن يفعل كفعله) أي يتوضأ مثل وضوئه، (ثم أخذ) الأمين، (كفاً من ماء، فرشّ به وجهه ﷺ) وشرَّف وكرَّم، (ثم صلّى) جبريل (به) أي بالنبي ﷺ (ركعتين، وقال) جبريل للنبي ﷺ : (الصلاة هكذا) أي كما أريتك .

(وغاب) جبريل عليه السلام .

إخباره ﷺ خديجة بما حدث: (فرجع) ﷺ يرجف فؤاده، (إلى مكة، وقصّ) ما رأى (على خديجة) بنت خويلد، رضي الله عنها، (وقال لها) : والله (قد خشيت) أي خفت، (على نفسي) الموت، من شدة الرعب أو المرض، أو غير ذلك، (فثبّتته وصدّقته) بأن قالت له: اثبت، يا ابن عمي، وأبشر، فوالذي نفسي بيده، إني لأرجو أن تكون نبي

هذه الأمة، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَـلَّ، وتكسب المُعـدِّم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، والكَل بفتح الكاف: من لا يستقل بـأمره، كاليتيم والضعيف، ومن لا قدرة له، والمُعـدم بضـم أولـه: أي الفقـير، وتعـين عـلى نوائب الحق، بكلمة جامعة لإفراد ما تقدم .

ثم الروايات في هذا الباب كثيرة، ولها اختلافات جمة، فلنذكر رواية واحدة، من أصح الروايات، وأجمعها .

وصف الرسول ﷺ ما حدث له لخديجة: روى الكلبي، من حديث ابن عباس: أن خديجة صنعت طعاماً، ثم أرسلت إلى المصطفى ﷺ ، فلم تجده بحـراء، فأرسـلت في طلبه، فبينما هي كذلك، إذ أتاها، فقالت: ما أراك به؟، فقال: ما أريتك هذا الـذي كنت أحدثك، أني سمعت، فقد والله بدا لي، بينما أنا قائم على جبـل حـراء، إذ أتـاني آتٍ، فقال: أبشر، فأنا جبريل، أرسلت إليك، وأنت رسول هذه الأمة، ثم أخرج لى قطعة كاغِدٍ، قال: اقرأ، فقلت: ما قرأت شيئاً قط، ولم أر شيئاً أقـرؤه، فقـال: (اقْـرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) إلى (مَا لَمْ يَعْلَمْ)، ثـم نـزل عـن الجبـل، فنزلـت معـه إلى قـرار الأرض، فأجلسني على درنوك، وعليه ثوبان أخضـران، فأجلسـني عليـه، ثـم ضرب برجلـه الأرض، فنبعت عين ماء، فتوضأ جبريل، ثم أمرني فتوضأت، مثل وضوئه، ثم صلّى ركعتين، وصليت معه .

من مناقب أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها **:** (و) اعلـم أنهـا (كانـت) السـيدة الصـدّيقة الكاملة العظيمة، المرسل إليها ربها السـلام منـه، مـع رسـوله جبريـل ومحمـد، أنهـا بُشرت بيت في الجنة، من قصب، لا نصب فيه ولا صخب، (أوّل من آمن) بالله (بـه) ﷺ .

قال ابن عبد البر: اتفقوا على أن خديجة، أول من آمن مطلقاً، وقال ابن الأثير: هي أول خلق الله إسلاماً، بإجماع المسلمين، ولم يتقدمها رجل ولا امرأة .

(ثم) بعد إخباره لها بما رأى، (أتت) به ﷺ (ورقة) بفتح الواو والراء، ابن نوفل ابن عمها، كانن نصرانياً، يكتب الكتاب العبراني، كما يكتب العربي لتمكنه من الكتابين واللسانين، وكان شيخاً كبيراً، قد عمى، فقالت: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له: يا بن أخي، ماذا ترى .

المحاورة بين رسول الله ﷺ وورقة: (فقصّ عليه) أي أخبره بما رأى، (فصدَّقه) أي صدق ابنُ نوفل النبي ﷺ ، (فكان أول رجل آمن) .

وقد جاء في بعض الروايات قال : -لما أخبره المصطفى ﷺ بما رأى- : أشهد أنك الذي بشّر به ابن مريم، وإنك لنبي مرسل، ولهذا ذكره البغوي والطبراني وغيرهما في الصحابة .

(وقال) ورقة: (هذا الناموس)، والناموس صاحب السر، والمراد به هنا جبريل، (الذي أُنزل على موسى) بن عمران . وقيل: حكمة قوله على موسى، ولم يقل على عيسى، مع كونه نصرانياً، لأن كتاب موسى مشتمل على أكثر الأحكام، وقيل: غير ذلك .

ثم قال ورقة: يا ليتني فيها جذعاً، بفتح الجيم والذال المعجمة، أي شاباً، (يا ليتني) تمنّى، (أكون حيّاً، إذ يخرجك قومك) من مكة .

قال النبي ﷺ : (أو مُخْرِجِيِّ هُم) بفتح الواو، وشدة المثناة تحت وفتحها، جمع مخرج، (قال) ورقة: نعم، (ما جاء أحد) أي نبي (بمثل ما جئت به) أي أتيت به،

(إلا عُودِي) لأنه يحب أن ينقلهم عما ألفوا، وهم لا يحبونه، فتنشأ العداوة، ثم قال: وإن يدركني يومك، أنصرك نصراً مؤزراً، بالهمز، أي قوياً .

أول من أسلم من الرجال بعد ورقة بن نوفل: (ثم أسلم عليٌّ) وفي تقديم إسلامه على أبي بكر، خلاف كثير. روى البيهقي، عن محمد بن كعب القرظي: أول ذكرين أسلما أبو بكر وعلي، وأسلم علي قبل أبي بكر، وكان يكتم إيمانه من أبيه حتى لقيه، فقال: أسلمت؟، قال: نعم، قال: وازر ابن عمك وانصره، وكان أسلم ابن ثلاث عشرة سنة، على الأصح عند ابن عبد البر .

(و) أسلم عبد الله، (أبو بكر) الصدّيق، ويجتمع مع النبي ﷺ في مُرة في النسب.

أخرج البيهقي، عن ابن إسحاق: أنه لقى المصطفى ﷺ فقال: ما تقول قريش يا محمد، من تركك آلهتنا وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا؟، قال: بلى، يا أبا بكر، إني رسول الله بعثني أبلغ رسالته، وأدعوك إلى الله وحده، وقرأ عليه القرآن، فأسلم .

دعوته ﷺ بمكة: (ثم أقام) النبي (بمكة) أي في مكة، (يدعو الناس إلى الدين) المستقيم، (ثلاث عشرة سنة) .

روى البخاري في [كتاب البعث]، عن ابن عباس: أن المصطفى ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، يوحى إليه، (و) كان (يستقبل في صلاته) كلها مدة إقامته بمكة، (بيت المقدس) ولا يستدير مع ذلك الكعبة، ولكن يجعل البيت الحرام بين يديه، روى ابن عباس وغيره: أنه ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس، لكنه لا يستدبر الكعبة، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس .

(ثم حوّلت القبلة إلى الكعبة) وذلك التحويل كان (بعد الهجرة) بستة عشر شهراً، أو سبعة عشر، كما في صحيح البخاري في [كتاب الإيمان] وغيره، أنه ﷺ صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً بالشك .

(ولما كثر المسلمون اتخذ) النبي ﷺ (دار الأرقم) بفتح الهمزة والقاف، ابن أبي الأرقم، وهي الدار المعروفة الآن بدار الخيزران، (فاختفوا) عن المشركين، يصلون (فيها)، رضي الله عنهم ، (ثلاث سنين) جمع سنة، (ثم أمر) النبي (بإظهار الدين) وهو وضع إلهي، يدعو أصحاب العقول إلى ما أخبر به الرسل، (فدعى) ﷺ (له) أي للدين (جهراً) أي ظاهراً، وذلك حين نزل: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) .

روى ابن خَيثُمة، عن عائشة: لما اجتمع الصحابة، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، بدار الأرقم، ألحّ أبو بكر على الظهور، فقال المصطفى: إنا قليل، فلم يزل يلح عليه حتى ظهر، اهـ باختصار .

القرآن المنزل على رسول الله ﷺ : (وأنزل الله) على نبيه (القرآن) وهو اللفظ المنزل عليه للإعجاز بسورة منه، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً .

(فتحدَّاهُم) أي طلب منهم أن يعارضوا ما جاء به، شاهداً على نبوته، ولو (بأقصر سورة منه)، كسورة الكوثر، (فلم يقدروا) على الإتيان بمثلها، وأعجزهم ذلك، بل بأقل من سورة، كما في قوله تعالى: (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ). فدخل فيه الآية فإنها كلام تام، من جنس ما فيه إعجاز المخاطبين بالإتيان، (ومن قائل) منهم، (هذا سحر) وردَّ عليهم المغيرة، وهو من رؤسائهم ورءوسهم، وقال: قد رأينا السحرة، فما هو بنفثهم، (ومن قائل) منهم، (في أذنيّ) بشد المثناة التحتية، (وقرٌ) أي صمم، فلا أسمع ما يقوله، (وأقرَّ الوليد) ابن المغيرة بأنه غير مفترٍ.

وصف الوليد للقرآن الكريم: روى البيهقي وغيره: أنه، أعني الوليد، وكان زعيم قريش في الفصاحة، طلب منه أن يقرأ عليه فقرأ: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)، فاستعاده إياها، فأعادها، فقال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه، وما يقول هذا بشر، وما فيكم أعلم بالشعر مني، فاجمعوا فيه رأياً، قبل حضور وفود العرب في المواسم، لئلا يكذب بعضكم بعضاً إلى آخره .

من أقرّ بمعجزة القرآن الكريم من رءوس كفار قريش: (و) أقرّ (النضر) بذلك أيضاً، بنون وضاد معجمة، ابن الحارث، وكان من رءوس بني عبد الدار.

(و) أقرّ (عتبة) بضم المهملة، وسكون المثناة فوق، ابن ربيعة، وكان من رءوس بنى عبد شمس.

روى البيهقي وغيره: أن عتبة قام من جمع قريش إلى المصطفى ﷺ، وهو جالس بالمسجد وحده، فعرض عليه المال وغيره، ليكف عن ما هو عليه، فقال اسمع مني، وقرأ: (حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، إلى أن بلغ السجدة، فسمع ما أبهره، فقال المصطفى ﷺ : أنت وذاك، (و) أقرّ (الأخنس) أيضاً، بخاء معجمة ونون وسين مهملة، ابن عمرو بن وهب الثقفي، (و) أقرّ (أبو جهل) ابن هشام، (بأنه غير مفتري).

روى عن الزهري، قال: إن أبا جهل، وأبا سفيان بن حرب، والأخنس، خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله ﷺ، وهو يصلي ليلاً، فأخذ كل واحد منهم مجلساً، يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو

رآكم بعض سفهائكم، لأوقعتم في أنفسهم شيئاً، ثم انصرفوا، فلم يزالوا يترددون كذلك، ثلاث ليال، فلما كانت صبيحة الثالث، أخذ الأخنس عصاه، ثم أتى أبا سفيان، فقال: أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: والله سمعت أشياء أعرفها، وأعرف ما يراد بها، وأشياء لا أعرفها، ولا أعرف ما يراد بها، فقال: وأنا والذي حلفت به .

الكفر برسول الله ﷺ حسداً : ثم أتى أبا جهل، فقال: ما رأيك فيما سمعت؟، فقال: ماذا سمعت تنازعنا نحن، وبنو عبد مناف بالشرف، أطعموا فأطعمنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، أي متساوين، قالوا: منا نبي، يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمنن به أبداً . انتهى ما لخصنا من عبارته .

وعرفوا (أنه لا من كلام البشر) كما ذكرنا، (لكن غلبت عليهم) والعياذ بالله تعالى، (الشقوة) والطرد عن رحمة الله، فباءوا بجهنم، وبئس المصير.

المستهزئون برسول الله ﷺ وانتقام الله تعالى منهم : (واستهزأ به جماعة) قال الجمهور: كانوا خمسة:

الأول: الأسود بن أسد بن عبد العُزى، وكان يتغامز مع أصحابه على المصطفى ﷺ، ويقولون: قد جاءكم ملك العرب، ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر!، فدعى المصطفى عليه فهلك بشوكة، حين قعد في ظل شجرة، فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه، بورقة من ورقها خضراء، وبشوكة منها .

والثاني: الأسود بن عبد يغوث، وكان يقول للمصطفى: أما كُلّمت اليوم من السماء يا محمد؟! ، ومات حين أومي جبريل إلى بطنه، بداء الزق، وهو امتلاء الأمعاء بالماء الفاسد .

والثالث: الوليد بن المغيرة، وهلك بسهم خدشه خدشاً يسيراً، حين وطئ عليه فأومأ إليه جبريل، فانتقض الجرح الذي أصابه، وضربته الأكلة في رجله، فمات .

والرابع: : العاص بن وائل السهمي، مرّ بجبريل، وهو جالس مع النبي ﷺ ، فقال جبريل: يا محمد، كيف تجده؟ فقال: بئس عبد الله، فأشار إلى أخمص قدميه، فقال: قد كفيته، فركب حماراً، يريد الطائف، فنزل شعباً، فربضت دابته، فعرضت لرجله الشوكة فانتفخت، فصارت كعنق البعير فمات بها .

والخامس: الحارث بن قيس السهمي، وكان يقول: قد غر محمدٌ نفسه، وصحبه بزعمهم الحياة بعد الموت، أكل حوتاً مملوحاً، فلم يزل يشرب عليه حتى انقد بطنه، (فأهلكوا) .

روى أنه شكاهم لجبريل، فقال: أمرت أن أكفيكهم، ثم أشار إلى كل منهم بما أصابه، كما تقدم، (وكفاه الله شرهم) كما قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ .

شكوى الكفار محمداً ﷺ إلى عمه أبي طالب: (ولما فشى) أي ظهر (الإسلام) بأمر ربه، وعاب آلهتهم وذمها، (مشى كفار قريش إلى) عمه (أبي طالب) لما حصل لهم من السوء، (وشكوا) إليه (من سبّ آلهتهم) الباطلة (وذمّ دينهم) الفاسد.

فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا وسفه أحلامنا، أي عقولنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من دين، فتكفيكه .

(وتكرر) مشيهم إليه في (ذلك) ثلاث مرات، وهو يقول لهم قولاً رقيقاً، ويردهم رداً جميلاً ، وهو معنى قوله فيهم .

(وهو) أي أبي طالب، (يذب) بذال معجمة، أي يدفعهم (عنه) أى عن النبي ﷺ ، (وفي آخر ذلك) المشي لما عرفوا أن عمه أبى خذلانه، بعد أن خاطبوه بالمفارقة، فأبى تسليمه لهم، وقال قصيدة منها:

والله لن يصلوا إليك بأسرهم حتى أُوَسَّدُ في التراب دفينا

مشوا إليه، و(قالوا: أعطنا) ابن أخيك، (محمد) الذي خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، (فنقتله وخذ) منا، (بدّله عُمارة) بضم المهملة وخفة الميم، (ابن الوليد) بن المغيرة، (فتبنيه) ولك عقله، بفتح المهملة أي دينه، إن قُتل، ونصره، واتخذه ولداً، فهو لك فإنما هو رجل برجل .

(فقال) أبو طالب: والله لبئس ما تسومونني، أي تكلفونني، أردتم أن (أكْفُل لكم (ابنكم) عمارة، أحفظه وأغذوه وأربيه لكم، (وأعطيكم ابني) محمداً، (تقتلونه، هذا) الذي تطلبون، والله (لا يكون) أبداً، ولم يسلمه إليهم .

(فمضى) رسول الله ﷺ (يجهر بالتوحيد) أي بإفراده تعالى بالألوهية، وبالأمر به ويدعو إلى الإسلام .

إيذاء قريش رسول الله ﷺ والمسلمين: (فأجمعوا) أي قريش، (أن يقولوا) عنه لمن قدم مكة، هذا (ساحر) جاء يسحر، يفرّق بين المرء وبين أخيه، وزوجته وعشيرته.

والسحر لغة: إخراج الباطل في صورة الحق . وشرعاً: كل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع .

(وقعدوا بالطريق، أيام الموسم) أي في الطريق التي يقدم منها الناس، (يحذرون منه الناس)، أي لا يمر أحد إلا ذكروا له وصفه الذي أجمعوا عليه، (فافترقوا لذلك، (وقد شاع أمره) من ذلك الموسم بين القبائل، (وسار ذكره) في جميع الآفاق، (فأخذوا في إيذائه) ﷺ ، والإيذاء هو إيصال المكروه، قال ﷺ :(لقد أوذيت في الله، وما يُؤذَى أحد، وأُخفت في الله، وما يخاف أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من يوم وليلة، وما لي ولبلال طعام يأكل ذو كبد، إلا شيء يواريه إبط بلال)، رواه الإمام أحمد وغيره، عن أنس .

أكثر المسلمين عذاباً في سبيل الله تعالى: (و) أخذوا في (تعذيب من أسلم)، فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، منهم عمار بن ياسر، رضي الله عنه، عذبوه حتى تكسر ضلع من أضلاعه، وانفتق بطنه، وهو ثابت على الإسلام، وقد قال ﷺ : عمار ملئ إيماناً إلى مشاشته، رواه أبو يعلى وغيره عن علي. وقال ﷺ : عمار خلط الله الإيمان بين قرنه إلى قدمه، وخلط الإيمان بلحمه ودمه، يزول مع الحق حيث زال . ومنهم أمه سُمَيَّة بنت حاطب، مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، كانت ممن عذبن في الله، وصبرت على الأذى في ذات الله .

ومنهم: أبوه ياسر بن عامر، روى ابن شهاب، عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، قال: مرّ المصطفى ﷺ بياسر وعمار وأم ياسر، وهم يعذبون، فقال اصبروا آل ياسر، أو صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة .

ومنهم: بلال بن رباح المؤذن، روى عن عاصم، عن ذر عن عبد الله بن مسعود، قال: كان أول من أظهر الإسلام سبع: وما منهم إنسان إلا وقد أتاهم على ما أرادوا،

إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به، وهو يقول: أحدٌ أحدٌ .

ومنهم: جارية – بالجيم – ابن عمر. من بني المؤمل حي من بنى عدي.

ومنهم: زِنِّيرة، بكسر الزاي وتشديد النون، وراء مهملة، الروميّة كانت لبني عبد الدار .

ومنهم: أم عَنْبس، بمهملة مفتوحة، فنون ساكنة فموحدة مفتوحة، وابنتها.

وعامر بن فهيرة، رفيق المصطفى ﷺ والصدّيق في الهجرة، كان عبداً أسود، للطفيل بن عبد الله، فأسلم فعُذب في الله .

فهؤلاء المستضعفون من الذين آمنوا واتبعوه، المؤذون لهم قريش.

آيات حسيّة دليل على نبوته ﷺ : (وطلبوا منه) ﷺ (آية) أي علامة دالة على صدقه في دعواه النبوة، (فأراهم) بمكة، (انشقاق القمر) فانشقّ ليلة أربع عشرة، فصار فرقتين، أي قطعتين متفاصلتين .

روى البخاري، وغيره، عن ابن مسعود، قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ ، فرقتين، فرقة فوق الجبل، أي جبل أبي قبيس، وفرقة دونه، فقال المصطفى ﷺ : اشهدوا، (فزاد) الله (الذين آمنوا) بذلك الانشقاق، (إيماناً) مع إيمانهم، (و) زاد (الكفار) كأبي جهل، وغيره من صناديد كفار قريش، (طغياناً) فجاوزوا الحد والمقدار في العصيان، والتكذيب والإصرار.

وقال أبو جهل وشيعته: هذا سحر، فقال رجل منهم: إن محمداً إن كان سحر القمر، فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر أهل الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر، فجاء السفر، فأخبروا كلهم أنهم رأوه عياناً، منشقاً نصفين .

الهجرة الأولى للحبشة: (ولما اشتد البلاء) بالفتح، سمي به لأنه يبلي الجسم، (هاجر جمع) وعدتهم سبعة عشر إنساناً، خمسة من النساء، كما ذكر ذلك ابن سيد الناس، واثنا عشر الرجال، وهم: عثمان بن عفان، مع زوجته رقية ابنة المصطفى ﷺ، ومُصعب، بضم أوله وفتح ثالثه، ابن عُمَيْر، بن هاشم، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف الزهري، وحاطب بن عمر، وعثمان بن مظعون، بفتح الميم وسكون المعجمة وضم المهملة، وهو أول صحابي مات بالمدينة، وعبد الله بن مسعود، وأبو سلمة بفتح المهملة واللام، ابن عبد الأسد القرشي المخزومي اسمه عبد الله، وزوجته هند بنت أبي أمية المعروف بزاد الركب، وأبو حذيفة هاشم، وأبوه عتبة بضم المهملة وسكون المثناة فوق، فموحدة القرشي، وزوجته بنت سهيل سهلة بفتح المهملة وسكون الهاء، وابن عُمَيْر مصغر، ابن عبد مناف واسمه هاشم، وعامر بن ربيعة وزوجته، واسمها ليلى بنت أبي خيثمة القرشية العدوية، وأبو سَبْرة بفتح المهملة وسكون الموحدة التحتية، لا يعرف اسمه، وهو ابن عبد العزى .

وكانت هجرتهم (إلى ملك الحبشة) أي أصْحِمة، بفتح الهمزة، وسكون المهملة، وكسر الثالث، وهو النجاشي ملك الحبشة، وخرجت قريش في أثرهم، ولم يصلوا منهم بأخذ الثأر.

فلما قدموا الحبشة، تلقاهم النجاشي، وأكرم نزلهم، وأحسن مثواهم، (فأقاموا بها) عنده (خمسة أعوام) آمنين على دينهم، ومنقطعين للتعبد والتبتل، من غير أذى يلحقهم . (ثم) إنه (بلغهم إسلام قريش) وذلك كما قال الواقدي: قرأ النبي ﷺ [والنجم]، حتى بلغ (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ)، فألقى الشيطان في تلاوته تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، ثم سجد وسجد المشركون معه، لتوهمهم أنه مدح

آلهتهم، وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ولكن آلهتنا تشفع لنا عنده، أما إذا جعلت لها نصيباً، فنحن معك، فكبر ذلك على المصطفى ﷺ ، حتى جلس في البيت، فلما أمسى، أتاه جبريل، فعرض عليه السورة، فأوحى الله إليه (وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ) الآية، ففشت تلك السجدة في الناس، حتى بلغت الحبشة، فقال المهاجرون: عشائرنا أحبّ إلينا، (فعادوا) إلى مكة (فوجدوا) أي خبر إسلام قريش (باطلاً) لم يثبت .

واعلم أنه قد كثر كلام العلماء في هذه القصة، أي قصة قراءة والنجم، مع ما ذكرناه ، وأنكر بعضهم وقوعها، وبالغ في بطلانها، فقال بعضهم: قال ذلك الشيطان، وأشاعه، والرسول لم ينطق به . وقال بعضهم: حكاه بصوت يشبه صوته، فارتصد سكنته ﷺ ، ونطق بتلك الكلمات، وقالوا غير ذلك، وهذا أحسن تأويل.

الهجرة الثانية للحبشة: (فرجعوا) إلى الحبشة، للهجرة الثانية، قاصدين جوار النجاشي في مائة نفس: الرجال منهم اثنان وثمانون، والنساء ثماني عشرة امرأة، فأكرمهم، (فعظمت معاداتهم) أي معاداة قريش (له) ﷺ ، لما بلغهم ذلك، وبما رأوا من فشو الإسلام في القبائل، وعزته بإسلام حمزة ، ثم عمر بعد ثلاثة أيام . (و) عظمت وكثرت أيضاً بذلك معاداتهم (لصحبه) ﷺ .

خبر الصحيفة: (فكتبوا) أي قريش (كتاباً) فيه: (أن لا يناكحوا بني هاشم) وكذا (لا يوالوهم) كذا (لا يبايعوهم و) كذا (لا ولا) ولا يقبلوا منهم صلحاً أبدا، حتى يسلموا لهم محمداً للقتل، (وعلّقوه) أي ذلك الكتاب، (بالكعبة) أي داخل الكعبة، وهي اسم البيت الحرام، سُمي به لتكعبه أي تربعه، (وحصروهم) أي حبس، أي

كفار قريش، بني هاشم والمطلب، والمصطفى ﷺ (بالشِّعْب) بالكسر، شعب بني هاشم، ثم دخلوا فيه مؤمنهم، وكافرهم، فالمؤمن ديناً، والكافر حميةً إلا أبا لهب .

روى ابن عقبة، عن الزهري: أن كفار قريش أجمعوا أمرهم، واتفق رأيهم على قتل المصطفى ﷺ، وقالوا: قد أفسد أبناءنا ونساءنا ، وقالوا لقومه: خذوا منا ديته مضاعفة، ويقتله رجل من قريش، وتريحونا وتريحوا أنفسكم، فأبى قومه بنو هاشم ذلك، وظاهرهم بنو المطلب .

وأجمع المشركون من قريش على منابذتهم، وإخراجهم من مكة إلى الشعب .

وكان مدة مكوثهم في الشعب (ثلاث سنين، حتى اشتد البلاء) عليهم من الأذى، (وسُمعت) بضم أوله، مبنياً للمفعول، أي وسمعت كفار قريش (أصوات صبيانهم) أي صغارهم، (يتضاغون) من وراء الشعب، (من الجوع) أي من شدة الجوع والكرب .

الأرضة تأكل الصحيفة الظالمة: (وأطلع الله) سبحانه (نبيه) ﷺ (على أن الأرضة) بفتح الهمزة والراء، وهي دويبة تأكل الخشب والورق، قد (أكلت ما في الصحيفة) مرسوم، (من جور وظلم) وقطيعة، (وبقى) فيها (ذكر الله) جلّ جلاله، (فأخبرهم) النبي ﷺ بأكلها، وقال لعمه أبي طالب: يا عم، إن ربي قد سلّط الأرضية على صحيفة قريش، فلم تدع اسماً لله تعالى إلا أثبتته فيها، ونفت منها القطيعة والظلم والبهتان، قال: أربُّك أخبرك بهذا؟، قال: نعم، قال: فوالله ما يدخل عليك أحد، ثم خرج إلى قريش في عصابة من بني عبد المطلب، حتى أتوا المسجد، فلما رآتهم قريش أنكروا ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء، يسلمون المصطفى ﷺ إليهم ليقتل، فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا، فإن

كان هذا الحديث كما يقول، فوالله ما نسلمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعناه إليكم، فقالوا: رضينا .

(فأخرجوها) أي الصحيفة، ففتحوها، (فوُجدت كذلك) كما قال ﷺ .

فلما رأت قريش صدق ما قال أبو طالب عن النبي ﷺ ، قالوا: هذا سحر ابن أخيك، وزادهم ذلك بغياً وعدواناً، هكذا روى ابن هشام .

(وشلّت) بفتح الشين المعجمة، أي فسدت عروقها، فبطلت حركتها (يد كاتبها) المنصور .

خروج المسلمين من الشعب وسببه : (فقام رجال منهم) أي من قريش، ممن ولدته بنو هاشم، أو ممن له مزية قرابة، (في نقضها) وإخراجها، (فلبسوا السلاح) واستعدوا للحرب، (وأخرجوهم) أي أخرجوا بنى هاشم من الشعب، بعد الثلاث السنين، وكان أول من قام بأعباء ذلك، ومشى في نقض الصحيفة وإخراجهم، الحارث بن هشام، فمشى إلى زهير ابن عاتكة بنت المطلب، فقال: أرضيت أن نأكل الطعام، ونلبس الثياب، وننكح النساء، وأخوالك حيث علمت، وشد عليه، حتى قال: لو وجدت معي رجلاً لنقضتها، فقال: أنا معك، فقال: أبغنا ثالثاً .

فذهب إلى المطعم بن عدي، واستنخاه، فقال: هل من معين؟، فذكر له أولئك، فقال: ابغنا رابعاً، فذهب إلى أبي البختري واستنخاه، فقال: هل من معين؟، فذكر له أولئك، فقال: أبغنا خامساً، فذهب إلى زمعة واستنخاه، فقال: هل من أحد، فذكر له القوم فاجتمعوا بالحجون، وأجمعوا على نقضها.

نقض الصحيفة : فقال لهم زهير: أنا أول من يتكلم، فلما أصبحوا، غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير فطاف سبعاً، ثم أقبل على الناس، فقال: يا أهل مكة، إنا ناكل

ونلبس، وبنو هاشم ثم فيما ترون، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة، القاطعة الظالمة .

فقال أبو جهل: كذبت، لا تشق .

فقال أبو زمعة: أنت أكذب، ما رضينا بكتابتها حين كتبت .

فقال أبو البختري: صدق زمعة، ما نرضى ما كتب فيها .

فقال المطعم بن عدي: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك .

ثم لبسوا السلاح، وتأهبوا للقتال، وقصدوا الشعب، فأخرجوهم، مراغمين لمن خالفهم في ذلك، هذا ما حكاه بعض أهل السير .

موت أبي طالب وخديجة، رضي الله عنها : (ثم مات) هلك عمه (أبو طالب) بعد خروجهم من الشعب بثلثي عام، وثلثي شهر، كذا ذكر العراقي .

والموجود في كلام أهل السير، أحد عشر يوماً، وقيل: إنه أسلم، والذي عليه التعويل أنه لم يسلم، وفيه قال النبي ﷺ : إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين من نار، يغلي منهما دماغه، كذا رواه مسلم، عن ابن عباس مرفوعاً .

وفي بعض الأحاديث: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل .

(ثم) ماتت (خديجة) بنت خويلد الكبرى، أم المؤمنين، بعد ثلاثة أيام من موت أبي طالب، كما عليه الجمهور. وقد كانت رضي الله عنها وزيرة صدق على الإسلام، وكان المصطفى ﷺ يسكن إليها، ويعول عليها، ولم يتزوج قبلها ولا عليها .

(فحزن) ﷺ (لذلك) أي لموتهما، وكان يسمى ذلك العام عام الحزن، لتوالي تلك المصيبتين عليه، فإن أبا طالب كان في غاية المنع له من إيذاء الكفار، وخديجة كانت هي الوزيرة والمعينة .

قصة الإسراء والمعراج: (ثم بعد) مضي خمسين سنة، و(عام ونصف)، ودرج المؤلف على ما درج عليه الزين العراقي في [ألفية السير]، (أسرى به) ﷺ وذلك ليلة الاثنين في رجب، (إلى بيت المقدس) في حال اليقظة، (على) ظهر (البُراق) بوزن غُراب، وهو كما في الأخبار: دابة أي تشبهها، لأنه ليس بذكر ولا أنثى، دون البغل وفوق الحمار، أبيض، يضع خطوته عند أقصى طرفه، إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه، وإذا هبط ارتفعت يداه، أتى به مسرجاً ملجماً، فاستصعب عليه، فقال جبريل: ما ركبك أحدٌ قط، أكرم على الله منه، فارفضّ عرق .

(ثم علا) أي عرج، (إلى السماء) الأولى، والثانية، إلى السابعة (ومعه جبريل) الأمين، (فأتى الأنبياء) أي مرّ بهم، وخاطبهم، (كل واحد) منهم (في سماء) فوجد فيها آدم، وإدريس، وموسى،وعيسى، وإبراهيم، وهارون، ويوسف، ويحيى، على اختلاف الروايات في ترتيبهم، (ففرحوا به) وحيّوه وعظّموه، (ثم علا) بعد ذلك، ومعه جبريل، (إلى مستوى) أي محل عال، (سمع فيه) ﷺ (صريف الأقلام) أي تصويت أقلام الملائكة، (بالأقدار) بما تكتبه من أقضية الله تعالى، (ثم دنا فتدلى) حتى كان قاب قوسين، أي قدر قوسين، يعني قدر طولهما أو أدنى، فرأى الحقَّ في هذا المقام، بعين رأسه أو قلبه، وكلاهما ورد عن ابن عباس .

قال الزين العراقي في [ألفية السِّيَر] :

ثم دنا حتى رأى الإله — بعينه مخاطباً شِفَاها

وتلذذ برؤية الجمال الإلهي، وفاز بما لم يفز به غيره من رؤية الجلال الزاهي، ويقول بيتين ، في هذا المعنى:

الـــزينُ فـــاز طـــه المصـــطفى بالرؤية شاهد الحق كفاحاً يا فتى

أخـذ العلـم سـماعاً مـن عَـلٍ دون مرسـول لـه قـل اسـكتي

فرض الصلاة: (ففـرض الله) أي فـرض (عليـه) ﷺ (وعـلى أمتـه) المباركـة (خمسين صلاة) كل يوم وليلة، (فلم يـزل) النبـي ﷺ (يراجعـه) أي يراجـع ربـه، (ويسأله) من رحمته (التخفيف) عن أمته لضـعفها، (بإشـارة) سـيدنا (موسـى) بـن عمران عليه السلام (حتـى جعلهـا خمسـاً)، كـل يـوم وليلـة، والأجـر عليهـا أجـر الخمسين .

بعض الروايات في قصة المعراج: وهنا نذكر بعض الروايات، التي في قصة المعـراج: حكى السيوطي في [الجامع الصغير] ناقلاً من البخاري ومسلم، أنه قال ﷺ : فُـرج سقف بيتي، وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمـزم، ثـم جـاء بطست من ذهب، ممتلئاً حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى سماء الدنيا .

رؤية آدم عليه السلام في السماء الأولى: فلما جئنا إلى سماء الدنيا، قال جبريل لخـازن سماء الدنيا: افتح، قال: من هذا؟، قال: جبريل، قال: هل معـك أحـد؟، قـال نعـم، معي محمد، قال: فأُرسل إليه؟، قال: نعم، ففتح، فلما علونا السماء الدنيا، فإذا برجل عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح، والابن الصالح .

قلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، أهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى .

رؤية إدريس عليه السلام في السماء الثانية : ثم عرج بي جبريل، حتى أتى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها، مثل ما قال خازن سماء الدنيا، ففتح، فقال: مررت بإدريس، قال: مرحباً بالنبي الصالح، والأخ الصالح، قلت: من هذا؟، قال: هذا إدريس .

مروره ﷺ بموسى، وبعض الأنبياء، عليهم السلام، وسؤاله تخفيف الصلاة من ربه تعالى : ثم مررت بموسى عليه السلام، فقال: مرحباً بالنبي الصالح، والأخ الصالح، فقلت: من هذا؟، قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح، والأخ الصالح، فقلت: من هذا؟، قال: عيسى ابن مريم، ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحباً بالنبي الصالح، والابن الصالح، فقلت: من هذا؟، قال: هذا إبراهيم، ثم عرج بي، حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال موسى: ماذا فرض ربك على أمتك؟، قلت: فرض عليهم خمسين صلاةً، قال لي موسى: فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت ربي، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، فأخبرته، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت ربي، فقال: هن خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي .

فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: قد استحييت من ربي .

ثم انطُلق بي حتى أتيت سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أُدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك، روى ذلك أبو ذر، إلا قوله: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، فإنه عن ابن عباس، رضي الله عنهما .

إخبار قومه ﷺ بماحدث: (فلما أصبح أخبرهم) بما وقع له، (فصدقه الصدِّيق) أي قال: أشهد أنك صادق، فقال النبي ﷺ : إن الله تعالى قد سمّاك الصدِّيق، (وكذّبه الكفار) أي في إخباره بذلك، (وسألوه) أي سأله المطعم بن عدي بحضرتهم، (عن صفة بيت المقدس) وقالوا: صفه لنا (و) كان (لم يره قبل)، وقد دخل و خرج منه ليلاً، فلم يعرف أوصافه، فكرب كرباً، لم يكرب مثله قط، (فرفعه حينئذ (إليه جبريل) أي حمل المسجد نفسه، (حتى وصفه لهم) باباً باباً، أو موضعاً موضعاً، وأبو بكر يقول: صدقت صدقت، (فلم يمكنهم تكذيبه) لأنه وصفه على عناد حقيقته، فصاروا حيارى مبهوتين، وقالوا: واللات، هذا إنه الحدث، وعرفوا صدقه، (لكن جحدوا عناداً) وغلواً في الكفر.

عرض نفسه ﷺ على القبائل: (ولما اشتد) وكثر (أذاهم له) أي للنبي ﷺ وشرّف وكرّم، (عرض نفسه على القبائل) أي قبائل العرب، جمع قبيلة، بنو أب أو أم، (يطلب من يأويه) منهم إليه، (ويحميه) من أعدائه وينصره عليهم، (ليبلغ رسالة ربه) فكان يدور عليهم في موقف عرفة، ويطوف على الناس في منازلهم، عدة سنين، ويقول: ألا رجل يعرض على قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي، (فكل منهم) أي من القبائل، (يُعْرِض) بضم أوله، عن قوله وإجابته، إلى ما سألهم

من الإيواء والحماية، (ويهزءون به) أي يستهزئون، وهو في ذلك وعمه أبو لهب، خلفه يكذبه، ويحذرهم منه، وينهاهم عن الإصغاء إلى قوله .

الأنصار يجيبونه ﷺ : (حتى) أراد الله إظهار دينه، ونصر نبيه، وإنجاز موعده، (أتاح) بمثناة فوقية، (الله) سبحانه، أي قدّر (له الأنصار) لسعادتهم، فأجابوه إلى ما طلبه منهم من الإيواء والنصر، فانتهى يوماً إلى نفر منهم، وهم يحلقون، فجلس إليهم، ودعاهم إلى الله تعالى، وتلا عليهم القرآن، فاستبقوا للخير، وكان الأنصار قبل الإسلام، يعرفون ببني قيلة، وبالأوس والخزرج، (فسار يُسْلم الواحد منهم) ﷺ، (ويُسْلم معه عشيرته) وقبيلته، وذلك أنه بعد أن يسلم يذهب الى قومه، فيعرض عليهم الإسلام، فيجيبوه ويسلموا .

(ففشا) أي ظهر (الإسلام بالمدينة) واستبشروا، وشكا الصحابة للنبي ﷺ ما لاقوه من الأذى، واستأذنوه في الهجرة .

هجرة المسلمين إلى المدينة، شرّفها الله تعالى : (فهاجر إليها المسلمون) وكان أول خارج؛ أبو سلمة بن عبد الأسد، أخو المصطفى ﷺ من الرضاع، ثم امرأته، ثم مصعب، ثم عامر بن ربيعة، وزوجته، ثم عمر بن الخطّاب، ولم يهاجر أحد جهرةً، إلا هو .

(وأراد أبو بكر) الصدِّيق (أن يهاجر) أيضاً، (فمنعه) النبي ﷺ ، وقال له: لا تعجل، لعل الله تعالى يجعل لك صاحباً، فطمع أبو بكر أن يكون هو، فلم يزل يؤخره، (حتى هاجرا معاً) إليها، وذلك أنها لما رأت قريش خروج المسلمين للمدينة، خافوا أن يخرج المصطفى ﷺ فيجمع لحربهم، فاجتمعوا، واستشاروا .

فقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة غلاماً بسيفه، فيضـــربوه، فيتفـرق دمـه في القبائل، فقال إبليس: هذا هو الرأي، فأخبر جبريل المصطفى ﷺ : فلـم ينـم عـلى فراشه تلك الليلة، وأمر علياً أن ينام على فراشـه، وقـال لـه: إنـه لـن يحصـل إليـك مكروه.

الهجرة الشريفة إلى المدينة المنورة: وأخذ حفنة مـن تـراب ،ورماهـا عـلى رءوس القوم، بعد أن جاءوا على بابه تلك الليلة للغدر، وخرج ولم يشعروا به، حتى جاء إلى بيت أبي بكر، فناداه، وقـال لـه: أخـرج مـن عنـدك، وأخـبره أن الله تعـالى أذن لـه بالهجرة، فقال الصدّيق: الصحبة، وذكر نـاقتين عنـده، وقـال: أعـددتهما للخـروج، أعطيك إحداهما بالثمن .

الجهاز للهجرة: فتجهزا، وصنع آل الصدّيق لهـم شـاة، وجعلوهـا في سـفرة مـن جراب، وقطعت أسماء بنت الصدّيق قطعتين من نطاقهـا، فربطـت فمهـا بواحـدة، وربطت القربة بواحدة، فسميت ذات النطاقين .

(فخرجا) من خوخة لأبي بكر ليلاً، (إلى غار ثور) بالمثلثـة، وهـو جبـل بقـرب مكة، (ومعهما عامر بن فهيرة) مولى أبي بكر الصدّيق، (يخدمهما و) معهما أيضاً (ابـن أُرَيْقط) بالتصغير، (يدل) أي يهدي، (على الطريق) استأجراه لـذلك، ولم يعـرف لـه إسلام، (فسلكوا طريق الساحل) أي ساحل البحر، أسفل من عسفان، (وأعمى الله عنهم العدو) فلم يروهم، وخابوا .

(فرآهم سُراقة) بضم المهملة مخفف، ابن مالك المدلْجي، حين بلغه أن سواداً مرّ بالساحل، (فتبعهم ليقتلهم) ليحصل عـلى مـا جعلـت قـريش فـيهما، (فـدعا عليـه المصطفى) ﷺ حين قرب مـنهما، وقـال: اللّهـمّ اكفنـا بـما شـئت، وكيـف شـئت،

(فساخت) بخاء معجمة، أي غاصت قوائم (فرسه في الأرض) إلى بطنها، (فناداه الأمان يا محمد) قال: الأمان يا محمد، فوالله لا آذيتكم ولا يأتيكم مني ما تكرهونه، (فدعا له) المصطفى ﷺ (فخلص) فرسه، (وحلف أن لا يدل عليه) كما ذكرنا .

ووقف المصطفى ﷺ حتى جاء، فأخبره بما يريد به قومه، وعرض عليه الزاد والمتاع، فأبى قبوله، وقال: أَخْفِ، وقد أسلم بعد ذلك سراقة رضي الله عنه ، في زمن آخر .

(فرجع فلقيه الكفار) وهم (يطلبونه فقال) لهم: (ارجعوا، فقد استبرأت لكم ما ها هنا، قال: فخرجت، وأنا أحبّ الناس في تحصيله، ورجعت وأنا أحبهم في أن لا يُعلم .

مروره ﷺ بأم معبد، وما حدث من معجزات: (ثم مرّ) ﷺ (بخيمة أم معبد زوجة أبي معبد الخزاعي بفديد، قرب رابغ، وهي لا تعرف المصطفى ﷺ ولا من معه، واسمها عاتكة بنت خالد الخزاعية (فاستبقوها) وذلك أنهم سألوها لحماً ليشتروه، فلم يجدوه عندها، فقالوا: هل عندك من لبن؟ (فقالت: لا والله (ما عندى شيء) وإن الغنم لعازبة (بعيدة) .

فنظر) المصطفى (ﷺ إلى شاة فى كسر) أي جانب (الخيمة، فقال) ﷺ (ما هذه؟) الشاة ، (فقالت: شاة أضرّ بها الجهد) بفتح الجيم، أي المشقة والضعف، حتي خلفها من الغنم ، لما بها من غاية الألم، (وما بها لبن) فقال ﷺ : أتأذنين في حلابها؟، قالت: والله ما ضربها فحل قط، فشأنك بها، فدعا بها (فمسح ضرعها) أي أَمَرّ يده عليه، وسمّى الله تعالى، ودعا، فتفاجت، بالجيم أي فتحت ما بين رجليها، ودَرّت، فدعى بإناء يربط الرهط، أي يرويهم، (فحلبت) بفتحتين ثم تاء التأنيث، أي حلبت

الشاة لهم، وفي الحديث: فحلب فيه، أعني النبي ﷺ ، فملأها، فسقى أصحابه عللاً بعد نهل، بفتحات، أي شرباً بعد شرب، (وشربوا) كما ذكرناه .

(وسافر) النبي ﷺ (حتى وصل إلى) موضع (قُبا) قال ابن حجر: والأكثر على أنه قدمها نهاراً، وتضبط بضم القاف، بئر على ثلاث أميال من المدينة، (يوم الاثنين) لثنتي عشرة ليلة خلت، (من ربيع الأول) هذا ما رواه ابن مسعودٍ، (فأقام بها) أي بقبا، في بني عمرو بن عوف (أربعاً)، الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ومن ثَمَّ أمر بالتاريخ فكتب من حين الهجرة .

استقبال أهل المدينة له ﷺ : وأول نزوله كان يأتيه المسلمون للإسلام، وهو جالس في ظل نخلة، فقام أبوبكر فظنوه هو، لكونه أسرع إليه الشيب، مع أصغر من المصطفى ﷺ، بنحو سنتين حين أصابته الشمس، فقام أبو بكر يظله بردائه، فعرفوه، وجعل النساء والصبيان يقولون:

أقبل البدر علينا   من ثنايات الوداع

وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع

(ثم رحل) من بين أظهرهم، (يوم الجمعة)، راكباً راحته ومشوا حولها لا يزال أحدهم ينازع صاحبه في زمامها، شحا على كرامته، فأدركته الصلاة في بني سالم بن عوف .

أول مسجد وأول جمعة وأول خطبة : (فصلّى) وجمع من كان معه من المسلمين، وهم مائة، (بمسجدها الجمعة) الذي في بطن رانوناء، بفتح المهملة، وبعد الألف نون مضمومة، وبعد الواو نون مفتوحة، وألف مكسورة، ولذلك مسجد الجمعة، (وهي

أول جمعة) صلاها النبي ﷺ في الإسلام، وأول خطبة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، أيها الناس قدموا لأنفسكم، ولتعلمن والله ليضغطن أحدكم ثم ليدعن غنمه، ليس لها راع، وليقولن له ربه ليس له ترجمان، ولا حاجب يحجبه دونه، ألم يأتك رسولي، فبلغك، وآتيتك مالاً، وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك، فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه النار، ولو بشق تمرة فليفعل، فمن لم يجد، فبكلمة طيبة، والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته .

(ثم ارتحل) أي نزل المدينة الشريفة .

دخوله ﷺ المدينة المنورة: واعلم أنه لما أراد دخول المدينة، أرسل إلى بني النجار أخواله، فجاءوا متقلدين بالسيوف، فقالوا: اركب آمناً مطاعاً، فركب يوم الجمعة، والناس عن يمينه وشماله وخلفه ركباناً ومشاة، فاجتمع بنو عمرو بن عوض، فقالوا: أخرجت ملالاً، أي تريد دار خيراً من دارنا، فقال: أمرت بقرية تأكل القرى، فخلوها، يعني ناقته، فإنها مأمورة، فسار، فتلقاه الناس، فلم يمر بدار من دور الأنصار، إلا قالوا: هلم إلى المنعة والثروة، فيقول لهم: خيراً، ويدعو .

مكان مسجده الشريف وبيوته ﷺ : هذا وقد أرخى زمام ناقته، وهي تنظر يميناً وشمالاً، حتى إذا دنت من دار بني مالك بن النجار، (فبركت) به أي (ناقته) وهي العصباء، وتسمى أيضاً القصواء، وكان بروكها (موضع مسجده الآن) وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين، من بني مالك بن النجار، فلما بركت لم ينزل، فوثبت فسارت

غير بعيد، ثم التفتت خلفها، فعادت لمبركها (فنزل) وسكن واستقر بدار، أي في دار (أبـي أيوب الأنصاري) ولم يزل مقيماً بداره .

بناء المسجد الشريف: (حتى بنى مسجده) وذلك أنه سأل عن المربد، لمـن هـو؟، فأخبر، فقال: يا بني النجار ثامنوني لحائطكم، قالوا: لا نطلـب بثمنـه إلا الله تعـالى، فأبـى وابتاعه بعشرة دنانير، وأمر أبو بكر أن يعطيها، وجعل طوله مما يلي القبلـة، إلى آخره مائة ذراع، وفي ذينك الجانبين مثل ذلك، فهو مربع، وسوّاه بالحجـارة واللـبن، وجعل المصطفى ﷺ ينقل الحجر معهم واللبن، يقول: اللّهـمّ لا عـيش إلا عـيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة، وجعل له ثلاثة أبواب باباً في مؤخره، وباباً يقـال له باب الرحمة، والباب الثالث الـذي يـدخل منـه المصـطفى ﷺ ،وهـو الـذي يـلي حجرته .

وجعل عمده الجذوع، وسقفه الجريد، (و) بنى (منازل زوجاته)، مطينة بطـين، وسقفها من جريد، ومن حجـر مسـقف بجريـد، (وبنـى صـحبه) مـن المهـاجرين والأنصار، (حوله) حتى إن بعض الأنصار ارتحل عـن مسـكنه، الـذي كـان بعيـداً، وسكن حوله محبة في قربه ﷺ .

نجاة المدينة المشرفة من الوبـاء: (وكانت) المدينة (كثيرة الوبـا) أي كانـت تربتهـا ذات وباء شديد، والوباء بالهمزة مرض عام، فلما قدمها الصحابة أصابتهم الحمـى، حتى جهدوا مرضاً، (فزال ونقل الله حُمّاها إلى الجحفة) بضم الجيم وسكون المهملة، قرية جامعة على طريق المدينة من مكة .

روى الشيخان، عن عائشة: أن المصطفى ﷺ لما قدم المدينة، وعك أبو بكر، ثم قال: اللّهمّ حبّب إلينا المدينة، كحبنا مكة أو أشد، اللّهمّ انقلها إلى الجحفة، أي حُماها فنقلت من ذلك الحين، ببركة الرسول الأمين ﷺ القوى المتين .

الزيادة في صلاة الحضر: (فأقام بها) أي بدار أبي أيوب (شهراً ثم) بعد ذلك الشهر من مقدمه، لاثنى عشر خلت من ربيع الأول، (نزل عليه إتمام الصلاة أربعاً)، فإنه قدم المدينة وهو يُصلي ركعتين، ثم قال: أيها الناس، اقبلوا فريضة ربكم، فإنها قد أكملت الصلاة أربعاً للمقيم، فزيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار، وأقرت صلاة السفر .

وفي البخاري، عن عائشة: فُرِضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر إلى المدينة ففرضت أربعاً، ثم خفف عن المسافر بدليل، خبر: إن الله تعالى وضع عن المسافر، وقيل: فرضت في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وهو قول ابن عباس .

إقامته ﷺ في دار أبي أيوب: (وأقام) النبي بالمدينة، في دار أبي أيوب (من) شهر (ربيع الأول إلى صفر) من العام القابل، (يبني) فيها (مسجده) ﷺ .

الأمر بالأذان: (وفي هذا العام) على الأصح لا في العام الثاني، (كان الأمر بالأذان) وسببه رؤيا عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصاري .

وذلك أنه لما اجتمع أمر الأنصار، واستحكم شأن الإسلام، وقامت الصلاة، كان يجتمع الناس في مواقيتها بغير دعوة، فاهتم المصطفى ﷺ فيما يعلم به الوقت، فذكرت الراية والبوق فلم يعجبه، وذكر الناقوس، فأمر به فنحت ليضرب به.

فبينما هم كذلك، رأى ابن زيد أنه: مرّ به رجل عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً، فقال: يا عبد الله، أتبيع الناقوس؟، قال: وما تصنع به؟، قال: ندعوا به إلى

الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير منه، قال: وما هو؟، قال: تقول الله أكبر .. إلخ ألفاظ الأذان، ثم استأخر غير بعيد .

ثم قال: وتقول إذا قمت إلى الصلاة: الله أكبر إلخ ألفاظ الإقامة، فأخبر المصطفى ﷺ ، فقال: إنها رؤيا حق إن شاء الله تعالى، قم مع بلال، فألقها عليه، فإنه أندى منك صوتاً، ففعل .

فلما سمعها عمر، وهو في بيته، خرج يجر إزاره، ويقول: والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل ما رأى، فقال المصطفى ﷺ : لله الحمد .

فرض الصوم وزكاة الفطر والمال: (وفي) العام (الثاني فرض الصوم) أي صوم رمضان، (و) فرضت (زكاة الفطر) بكسر فسكون، فأمر أن يخرج عن الصغير والكبير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، صاع من تمر، أو من زبيب أو من بر، (و) فيه أيضاً فرضت زكاة (المال) على الصحيح .

تحويل القبلة: فيه (حوّلت القبلة) من بيت المقدس (للكعبة) .

وذكر النسائي: أنها حوّلت في صلاة الظهر، (و) فيه أيضاً (غزا) ﷺ (بدراً)، ويقال لهذه الغزوة بدر الكبرى، وهو اسم لقرية مشهورة، قريبة من طريق المدينة .

وقد ذكر المؤلف في آخر هذا الباب، بعض غزواته ﷺ ، وسأتكلم فيها ببعض كلام أهل السير، باختصار عباراتهم .

غزوة بدر الكبرى

فمنها بدر هذه، وقد اختصر الكلام عليها الطهطاوي، في [شرحه على البردة]، ولخصتها منه بألفاظه إلا القليل . وذلك أنه: كان أبو سفيان في عير لقريش، في ثلاثين راكباً، وكانت قافلتهم تلك فيها أموال قريش، وكانت الف بعير وخمسين ألف دينار من الذهب، فبلغ رسول الله ﷺ لما كانوا قريباً من بدر، فغدت أصحابه إليه، فأخبرهم بكثرة المال وقلة العدد، وقال: هذه عير قريش، وفيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن يغنمكموها، فأجابوه إلى ذلك، ومعه ثلاث مائة وخمسة رجال .

فلما سمع أبو سفيان بسيرهم، استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، يأتي قريشاً في مكة يحركهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد تعرض لعيرهم في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة، فلما أقبل أبو سفيان وكان بقرب المدينة، استبطأ ضمضم قريشاً، وخاف خوفاً شديداً، فسلك طريقاً آخر عن يسار بدر .

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب، وتحقق رؤياها في قريش: وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم، بثلاث ليال رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت: يا أخي، قد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني، وتخوفت على أن يدخل على قومك منها أمر ومصيبة، فاكتم عني ما أحدثك، وأخبرته برؤياها، وكانت رؤية مخيفة .

فخرج منها العباس، فلقى الوليد بن عتبة، فذكرها له واستكتمها إياه، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث، وتحدثت به قريش، فأتى العباس للطواف، وأبو

جهل في رهط من قريش، يتحدثون برؤيا عاتكة، فقال للعباس: قد زعمت عاتكة أنها قالت: انفروا في ثلاث، وتشاجرهم هو والعباس.

فلما كان الثالث من رؤيا عاتكة، سمعوا صوت ضمضم بن عمرو الغفاري، ببطن الوادي، يصرخ واقفاً على بعيره، ورمى رحله وشق قميصه، ويقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها .. الغوث الغوث .

استعداد قريش لغزوة بدر: فنهضوا مسرعين للتجهيز والمسير، ولم يتخلف من أشراف قريش إلا أبو لهب، وبعث مكانه العاصي بن هشام ، وكانت عدة قريش ألف مقاتل غير الأتباع .

ثم إن أبا سفيان لما سلم، وعلم بخروج قريش، أرسل إليهم يقول: إنما خرجتم لتمنعوا عيركم، فارجعوا، فقال أبو جهل، لعنه الله: والله لا نرجع، حتى نَرِدَ بدراً، ونقيم عليها ثلاثاً، وتسمع بنا العرب، فلا يزالوا يهابوننا أبداً .

فلما فرغوا من جهازهم، وأجمعوا للسير، ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناف من الحرب، فقالوا: نخشى أن يأتونا من خلفنا، فتبدا لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك، وقال لهم: إني جار لكم، أي مجيركم من كنانة، لأن سراقة كان سيد تلك الناحية، وخرجوا مسرعين إلى أن نزلوا بالعدوة القصوى، أي المكان المرتفع من الوادي، وهو وادي بدر، وجمعوا فيه القُلُب، جمع قليب، البئر القديمة أخرجوا ترابها، هذا ما كان من أمر المشركين .

خروج المسلمين إلى بدر: وأما ما كان من أمر رسول الله ﷺ ، فلما خرج مع أصحابه، ووصل بئر عِنَب، بكسر العين وفتح النون، على ميل من المدينة، ويعرض

عليه أصحابه، فردّ من استصغره منهم، واستخلف ابن أم مكتوم على الصلاة بعد رده له، واستخلف أبا لبابة الأنصاري على المدينة بعد رده أيضاً، وخرج معه الأنصار والمهاجرون .

وكان عدة من معه ثلاث مائة وخمساً تسعين من المهاجرين، والباقي من الأنصار، ولهم ثلاث أفراس .

فسار رسول الله ﷺ مع أصحابه، لواد يقال له زفران، ونزل، فأتاه به الخبر عن قريش بمسيرهم .

فاستشار الناس، وقام أبو بكر، وتكلم بكلام فأحسن، وقام عمر بن الخطاب وتكلم فأحسن، أي تكلما بكلام يتضمن رضاءه ﷺ فيما يريده، ثم قام المقداد بن الأسود، فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله، فنحن معك والله، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك ومن خلفك، فو الذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد، لجالدنا معك دونه حتى تبلغه .

فقال له ﷺ : خيراً، ودعا له بخير .

وبرك الغماد، بفتح الموحدة وكسرها وسكون الراء، والغماد بكسر الغين المعجمة وضمها، هي مدينة الحبشة .

ثم قال: أيها الناس أشيروا عليّ، وهو لا يريد إلا الأنصار، روى أنه يخاف أنهم يرون ألا يكون عليهم نصرت، إلا ممن دهمه بالمدينة، وأنه ليس عليهم أن يسيروا على عدو، بعيد من بلادهم .

فلما قال ذلك، قال: سعد بن معاذ: كأنك تريدنا يا رسول الله؟، قال: أجل، قال آمنا بك، وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئتنا به هو الحق، وأعطيناك عهوداً على السمع والطاعة، فو الذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته، لخضناه معك، ولا يتخلف منا رجل، وما نكره أن نلقى عدونا غداً، وإننا لصُبُر عند الحروب، صُدق عند الملتقى، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله .

فسار ﷺ بقول سعد، ونشط، وقال: سيروا، وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، أي العير المقبلة، أو نفير قريش من مكة، ثم قال: وإني لأنظر إلى مصارع القوم من قريش، ويشير بيده إلى مصارعهم، قبل وقوع الغزوة، واحداً واحداً .

فلما سار من وادي زفران نزل قريباً من بدر، فركب هو والصديق، حتى وقفا على شيخ من العرب، فسألاه عن قريش، وعن محمد وأصحابه، فقال: لا أخبركما حتى تخبراني، من أنتما؟، فقال النبي ﷺ : إذا أخبرتنا، أخبرناك، فقال الشيخ: ذاك بذاك؟، قال: نعم .

قال الشيخ: بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به المصطفى ﷺ .

وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدق، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي هم فيه، فلما أخبرهما، قال: من أنتما؟، فقال ﷺ : نحن من ماء، وانصرفا عنه .

منزله ﷺ من بدر، وتعديل هذا المنزل: وكان منزله ﷺ على تل رمل، ليس به ماء، وسبقهم المشركون للماء ببدر، فأصبح المسلمون بعضهم محدث، وبعضهم جنب، وأصابهم الظمأ، فأرسل الله عليهم مطراً، سال منه الوادي، فشربوا واغتسلوا، وملئوا الأسقية، ولم يمنع المسلمين المطر من السير .

وأما المشركون فمنعهم أن يرتحلوا من منزلهم، ثم ارتحل النبي ﷺ من هذه المنزلة برأي بعض الصحابة، حتى أتى أدنى ماء القوم فنزل عليه، ثم أمر بالقُلَيْب فحفرت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه، فملي ماء .

الاستعداد للمعركة: ثم إن سعد بن معاذ، قال للمصطفى ﷺ : ألا نبني لك عريشاً، تكون فيه، وتدع عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كان الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام، ما نحن بأشد لك حباً منهم، لو ظنوا أنك تلقى حرباً، لم يتخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى رسول الله ﷺ عليه، ودعا له بخير.

ثم بنى لرسول الله ﷺ عريش فجلس فيه، وكان ﷺ أرسل عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوّام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر يلتمسون الخبر، فوجدوا غلامين لقريش، يستقيان الماء لهم، فأحضروهما لرسول الله ﷺ ، فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم؟ قالا: كثير، قال: ماعدتهم؟ قالا: ما ندري، قال: كم ينحرون؟ قالا: يوما تسعاً ويوماً عشراً، فقال رسول الله ﷺ : القوم بين التسعمائة والألف .

أشراف قريش الذين حضروا إلى بدر: ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البحتري بن حزام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة ابن الأسود، وأبو جهل ابن هشام، لعنه الله، وأمية بن خلف، وسهل بن عمرو، وعمرو بن عبد وُدّ .

فأقبل رسول الله ﷺ على الناس، وقال: هذه مكة، قد أتتكم بحذافيرها .

دعاؤه ﷺ على قريش: ثم ارتحلت قريش من منزلها، حتى أقبلت قرب منزل رسول الله ﷺ ، فلما أقبلت ورآها رسول الله ﷺ ، قال: اللّهمّ هذه قريش قد أقبلت، بخيلها وفخرها، تجادل وتكذب رسولك، اللّهم فنصرك الذي وعدتني، أحنهم الغداة .

فلما نزلت قريش، أقبل نفر منهم، حتى وردوا على حوض رسول الله ﷺ ، منهم: حكيم بن حزام، فأراد الصحابة منعهم، فقال رسول الله ﷺ : ذروهم، فما شرب منهم رجل يومئذ إلا قتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام، فإنه لم يقتل، ثم أسلم بعد ذلك .

القتلى الأوائل من قريش: ولما نزلوا، وتهيئوا للقتال، والشيطان معهم لا يفارقهم، خرج الأسود ابن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً سيئ الخلق، فقال: أعاهد الله، لأشربن من حوضهم، أو لأُهدمنّه أو لأموتنّ دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة، فأطنّ قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره، تشخب رجله دماً، ثم جثا إلى الحوض، حتى اقتحم فيه، يريد بزعمه أن يبر يمينه، فأتبعه حمزة فضربه، حتى قتله في الحوض .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة، ابن أخيه، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، ونادوا إلى المبارزة، فخرج إليهم فتية من الأنصار، وهم: عوف ومعاذ ابنا عفراء، وعفراء أمهما، وأبوهما الحارث، وعبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال: قم يا عبيدة بن الحارث، وهو ابن عمه ﷺ ، قم يا حمزة، قم يا علي، فلما قاموا، ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟، فتسموا لهم، قالوا: نعم، أكفاء كرام .

ابتداء المعركة بالمبارزة: فبارز عبيدة وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة ابن ربيعة، وبارز عليّ الوليد بن عتبة، فقتل علي الوليد، وقتل حمزة شيبة بن ربيعة، واختلف عبيدة مع عتبة، بضربتين، فوقعت ضربة عتبة بن ربيعة في ركبة عبيدة، فحمل حمزة وعلي على عتبة، وأعانا عبيدة على قتله، واحتملوا عبيدة .

الالتحام بالقتال: ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، فخرج ﷺ من العريش، وعدل الصفوف، وأمرهم أن لا يحملوا على القوم إلا بأمرٍ منه، وقال لهم: إن اكتنفكم القوم فامنعوهم بالنبل عنكم، ورجع إلى العريش، ودخل معه أبو بكر ليس معه فيه غيره، ورسول الله ﷺ يناشد ما وعده ربه من النصر، فأحرم بركعتين، وكان يقول في سجوده: اللّهم لا تخذلني، اللّهم أنشدك ما وعدتني، ويتفرع بالدعاء، ويقول: اللّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام، فلا تُعبد بعد اليوم .

فلما بالغ ﷺ في المناشدة، قال له أبو بكر: خل بعض مناشدتك، فإن ربك منجز ما وعدك به .

وفي الصحيح، أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر في العريش مع الصدّيق، فأخذت رسول الله ﷺ سِنة من النوم، ثم استيقظ مستبشراً، مبتسماً، وقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع، أي الغبار، ثم خرج من العريش، وهو يقول: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)

وأتاه جبريل، وقال له: خذ قبضة من تراب فأرمهم، فحينئذ أذن لأصحابه أن يلتقوا مع الكفار، فلما التقى الجمعان، أخذ قبضة من تراب فيها حصا، فرمى به في وجوههم، وقال: شاهت الوجوه، فلم يكن مشرك إلا ودخل في عينه ومنخره وفمه من ذلك التراب، فانهزموا، وتبعهم المسلمون يقتلونهم، ويأسرونهم، فأمدّ الله المسلمين بالملائكة .

الملائكة ورؤساؤهم يحاربون في بدر: روى: أن جبريل نزل في خمسمائة، وميكائيل في خمسمائة، في صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض، على رءوسهم عمائم بيض، قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم، وجبريل راكب فرسه، يقول: اقدم حيزوم .

البحث عن أبي جهل: ثم لما فرغ ﷺ من قتال عدوه، أمر بأبي جهل أن يُلتمس في القتلى، قال ابن مسعود: فتوجهت لألتمسه، فوجدته بآخر رمق، فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه، ثم قلت له: هل أخزاك الله؟، فقال لي: وبماذا أخزاني؟، أعار على سيد أن يقتله قومه!، لقد رقيت مرتقاً صعباً يا رويعي الغنم، أخبرني لمن الدائرة اليوم؟، فقلت: لله ورسوله، ثم احترزت رأسه، ثم جئت به إلى النبي ﷺ فألقيت الرأس بين يديه، فحمد الله، ثم قال: إن لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل، قتله الله أشر قتلة، وقد قتله ابنا عفراء .

حضور ابليس اللعين المعركة: قال ابن عباس: جاء إبليس يوم بدر، في خيل الشياطين، ومعه راية في صورة سراقة بن مالك، وقال للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس، واني جار لكم ، فلما أقبل جبريل والملائكة، كانت يده في يد رجل مشرك، فانتزع يده منه، ونكص على عقبيه، فقال: يا سراقه، أتزعم أنك جار لنا، فقال: إني أرى ما لا ترون أنتم، إني أخاف الله أن يهلكني، والله شديد العقاب .

مناداة النبي ﷺ القتلى: ثم إن النبي ﷺ مرّ على القتلى، بعد وضعهم على القليب، فصار يناديهم، فيقول: يا عتبة بن ربيعة، يا أبا جهل، يا فلان إلى آخرهم، بس العشيرة كنتم، كذبتموني فصدقني الناس .

فقال عمر: يا رسول الله، كيف تكلم أجساداً لا روح فيها؟، فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً .

شهداء المعركة من المسلمين، وقتلى الكافرين: وكان عدد المستشهدين من المسلمين يوم بدر؛ أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وقتل من المشركين سبعون .

أسرى المشركين: وأسر سبعون، وكان من أفضلهم: العباس بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكل أسلم وأخبر المصطفى ﷺ العباس بذهب دفنه بمكة، ولم يُعلم به أحداً، فقال له العباس: وما يدريك؟، فقال: أخبرني ربي، فقال: أشهد انك صادق، فإن هذا لم يطلع عليه أحد إلا الله .

الغنيمة وقسمتها: ثم أقبل رسول الله ﷺ ومعه الأسرى من المشركين، والغنائم التي اغتنمها منهم، وجعل عليها عبد الله بن كعب من بني مازن، فلما خرج

من مضيق الصفرة، قسم النفل بين المسلمين على السوى، وكان في الغنيمة مائة وخمسون من الإبل، ومتعة كثيرة، ومن الخيل عشرة أفراس، وسلاح كثير .

وكان عثمان رضي الله عنه تخلف، بإذن من النبي ﷺ، لضعف رقية زوجته، وماتت منه، فضرب له ﷺ سهمه وأجره .

مصاب قريش ومن قدم به : ثم أول من تقدم بمصاب قريش، الحيسمان بن عبد الله الخزامي، وأسلم بعد ذلك، فسألوه: فقال: قُتل عتبة وشيبة وأبو جهل، وفلان وفلان، وقال: ما هو إلا أننا لقينا القوم، فأبحناهم أكتافنا يقتلونا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله ما لُمت الناس لقينا رجالاً على خيل بلق بين السماء والأرض، لا يقاومها شئ .

أبولهب وموته : قال أبو رافع، مولى المصطفى ﷺ وكان غلاماً للعباس، وكان الإسلام قد دخلنا، فقلت والله تلك الملائكة، فرفع أبو لهب يده فضربني ضربة شديدة في وجهي، فقامت أم الفضل إلى عامود فضربت به رأسه، وقالت: استضعفته أن غاب سيده، قال: والله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة، فتباعد عنه بنوه، حتى قتله الله وبقى بعد موته ثلاثاً لا تقرب جنازته، ولا يحاول دفنه، فلما خافوا المسبة في تركة، حفروا له حفرة ودفعوه فيها بعود، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه .

قال ابن عقبة: ما زال النوح على قتلاء قريش شهراً، وكانت سابع عشر رمضان يوم الجمعة. انتهى .

غزوة أحد

(وفي) العام (الثالث) غزا (أحداً) وهو جبل مشهور بالمدينة، على أقل من فرسخ منها، سمي بذلك لتوحده وانفراده عن جبال أخر هناك، وهو الذي قال فيه ﷺ أحُد يحبنا ونحبه، سأذكر قصته مختصراً لها أيضاً من الطهطاوي على البردة .

سبب غزوة أحد: وذلك أنه كان سببها أن قريشاً، لما رجعوا إلى مكة من غزوة بدر، قُتلت فيها صناديدهم وأسروا، وجدوا العير التي أقام بها أبو سفيان، وقالوا: نحن طابت النفوس، نجهز بربح هذه العير جيشاً إلى محمد، فقال أبو سفيان: أنا أول من أجاب إلى ذلك، وبنو عبد مناف فباعوها حتى صارت ذهباً، وكانت ألف بعير، والمال خمسون ألف دينار، ولم يبق قريشي ولا قريشية إلا وله في هذه القافلة، فسلك لأهل العير رءوس أموالهم، وأخرجوا أرباحهم، وكانوا يخرجون في تجارتهم لكل دينار ديناراً .

وأجمعت قريش لحرب النبي ﷺ ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير.

مسيرة قريش إلى غزوة أحد: فلما اجتمعت قريش على ذلك، كتب العباس كتاباً يخبر المصطفى ﷺ بخبرهم، ثم ساروا، وسار مقدمهم أبو سفيان بن حرب، حتى نزلوا بطن الوادي، من قبل أحد مقابل المدينة .

رؤيا الرسول ﷺ قبل غزوة أحد وتأويلها: فلما سمع النبي ﷺ بمسيرهم ومنزلهم المنزلة المذكورة، وكانت ليلة منزلهم ليلة جمعة، لأن رسول الله ﷺ رأى رؤية تلك الليلة، فلما أصبح قال للمسلمين: والله قد رأيت خيراً، رأيت بقراً تُذبح، ورأيت كبشاً يذبح، ورأيت في سيفي ثلماً، ورأيت أني دخلت في درع حصينة .

فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون .

وأما الثَّلم فرجل من أهل بيتي يقتل .

ولما رأى تلك الرؤية، قال لأصحابه بالمدينة: دعوهم حتى ينزلوا، فإن أقاموا قاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها، ورموا من فوق البيوت بالحجارة .

خروج المسلمين إلى أحد: وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر، فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتمنى ذلك اليوم، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرونا أننا جُبنا، فلم يزالوا به عليه السلام، حتى امتثل لأمرهم، وكان ذلك يوم الجمعة، فصلى بالناس، وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأن لهم النصرة ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم .

ففرح الناس بذلك، وصلّى بهم العصر، وقد حشدوا وحضر أهل العوالي .

ثم دخل ﷺ ومعه صاحباه أبو بكر وعمر، فعمماه وألبساه، والناس ينتظرون خروجه .

ندم المسلمين على استكراهه ﷺ الخروج من المدينة: فقال لهم سعد بن معاذ، وأُسَيْد بن حُضَيْر: استكرهتم رسول الله ﷺ ، فردوا الأمر إليه، فخرج المصطفى ﷺ ، وقد لبس لامته، وتقلد بسيفه، فندموا جميعاً على ما صنعوا، فقالوا: ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما شئت، فقال ﷺ : ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها، حتى يحكم الله بينه وبين عدوه، وسار مع أصحابه إلى نزلوا بأحد .

عدد وعدة المسلمين والمشركين: وكان المسلمون ألف رجل، وفيهم مائة دارع، والمشركون ثلاثة آلاف رجل، فيهم سبعمائة دارع، ومائتا فارس، وثلاثة آلاف بعير، وخمس عشرة امرأة .

رجوع المنافقين: فلما كان ﷺ بالشوط، محل بين المدينة وأحد، رجع عبد الله بن أُبَيّْ ابن سلول المنافق، بثلث الناس، وقال: قد أطاعهم وعصاني، على ماذا نقتل أنفسنا .

الاستعداد للقتال: ثم مشى ﷺ مع أصحابه، حتى نزلوا بشعب في أصل أحد، واصطف المشركون بالصفحة محل قريب منه، وعقد المصطفى ﷺ ثلاثة ألوية، لواء للأوس بيد أسَيْد ابن حضير، ولواء للمهاجرين بيد علي بن أبي طالب، ولواء للخزرج بيد الحُباب بن المنذر .

ثم صف المسلمين وهم سبعمائة رجل، بعد إخراج الثلث الذي تبع ابن سلول، وأقام خمسين رجلاً رماةً في موضع، وأمّر عليهم عبد الله بن جُبير، وقال لهم: ظهرونا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشاركونا .

فلما صف صفوف الجيش، ورتبه، قال: لا يقاتلن أحدكم حتى آمره بالقتال، وقد سرحت قريش الخيل والإبل في زرع الأنصار، حين نهى النبي ﷺ عن القتال، فقال رجل من الأنصار: أترعى قريش زرع بني قيلة؟ .

شجاعة أبي دجانة: ثم لما صف ﷺ الصفوف أمسك سيفاً، وقال: من يأخذ هذا السيف ؟، فقام إليه رجل فأمسكه عنه، حتى قام إليه أبو دُجانة الأنصاري، وقال: ما حقه يا رسول الله؟، قال: أن تضرب به في وجوه العدو حتى ينحني، قال: أنا آخذه، فأعطاه إياه، وكان يختال عند الحرب، فقال ﷺ: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموضع، وتعصب أبو دجانة بعصابة له حمراء، وقالت الأنصار: عصب عصابة الموت، فخرج بها، وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لذا النخيل

أن لا أقوم الدهر في الكبول   أضرب بسيف الله والرسول

فكان لا يرى مشركاً إلا قتله .

المبارزة قبل القتال، وقتل حملة لواء المشركين: ثم أمر خيل المشركين، فصاح طلحة بن أبي طلحة، صاحب لواء المشركين: من يبارز؟، فبرز إليه علي بن أبي طالب، فقتله، فسر النبي ﷺ ، ثم حمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة، فحمل عليه حمزة فقطع يده، ثم حمله أبو سعيد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص وأصاب حنجرته فقتله، ثم حمله أرطاه بن شرحبيل، فقتله علي بن ابى طالب، كذا اثنان بعد هؤلاء فقتلهم الصحابة .

حمزة رضي الله عنه في المعركة: وأما حمزة في غزوة أحد، قد أظهر العجائب من قتل المشركين، وأنزل الله نصره على المسلمين، وهزم المشركون هزيمة شنيعة، وصار المسلمون ينهبون الغنائم من الكفار ،ونساء المشركين يدعين بالويل، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم .

جزاء من لم يطع الله ورسوله، وسبب هزيمة المسلمين: ثم إن الرماة الذين ولى عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن جبير أميراً، لما انتصر المسلمون، وصاروا يأخذون الغنائم، قالوا: قد هُزم المشركون، فما مقامنا ها هنا، فوعظهم عبد الله بن جُبير فلم يمتثلوا، فقال: لا أجاوز أمر رسول الله ﷺ ، ولم يثبت معه إلا نفر دون العشرة، وانطلقوا يتبعون العسكر، وينهبون معهم، وخلى الخيل من الرماة الذي يحمون عسكر الإسلام .

فلما نظروا إلى خلاء الخيل، حملوا على من بقي من الرماة، فقتلوهم وقتل أميرهم، وتشتت صفوف المسلمين، ونادي إبليس: إن محمداً قد قتل، فدهش المسلمون، ونادى المشركون بالعُزّى وهُبَل، فرجعوا إلى المسلمين قتلاً، وولّى من ولّى من المسلمين .

من ثبت معه ﷺ : وانحاز رسول الله ﷺ في جهة، هو وخمسة عشر رجلاً من أصحابه، ثمانية من المهاجرين: أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وسبعة من الأنصار: الحباب بن المنذر، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصمت، وسهل بن حنيف، وسعد بن عبادة، ومحمد بن مَسلمة .

ما أصيب به ﷺ في تلك الغزوة: روى الطبراني، من حديث أمامة، قال: رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ بسهم، فشجّ وجهه وكسر رباعيته، وقال: خذها، وأنا ابن قمئة، فقال ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: أقماك الله، فسلّط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطّعه قطعة قطعة .

ووقع ﷺ في حفرة من الحفر، التي حفرها أبو عامر الفاسق، وأخذ علي بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله بن الجرّاح، حتى استوى قائماً، وثبتت حلقتان من المغفر في وجهه، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجرّاح، وعضّ عليهما، حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه، وامتص مالك بن سنان دمه، فقال ﷺ : من مس دمه دمي لم تمسه النار .

روى عبد الرزّاق، عن معَمر عن الزهري، قال: ضرب وجه النبي ﷺ يومئذ بالسيف سبعين ضربة، ووقاه الله شرها كلها .

وصار الدم حين شجّ النبي ﷺ يسيل على وجهه ويمسحه، ويقول: كيف يفلح قوم خضّبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله تعالى: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) إلى (ظَالِمُونَ) ، ثم قال: رب اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون .

وكان أول من عرف الرسول ﷺ بعد فقده كعب بن مالك، قال: عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوت: يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله ﷺ .

من قتله رسول الله ﷺ في تلك المعركة: فلما عرفوه، نهضوا نحو الشعب، أدركه أبي بن خلف، وهو يقول: أين محمد،؟ لا نجوت إن نجا، فقالوا: يا رسول الله يعطف عليه رجل منا، فقال ﷺ : دعوه، فلما دنا تناول المصطفى ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها انتفض انتفاضة، تطاير عنه أصحابه تطاير الشعر من ظهر البعير، [وهو ذباب صغير، يقع على ظهر البعير]، ثم استقبله ﷺ فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه، ولم يخرج له دم، فكسر ضلعاً من أضلاعه، ومات بها.

وقد كان يقول قبل ذلك: أنا أقتل محمداً، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: بل أنا أقتله إن شاء الله، فقتله كما قال ﷺ .

وصلّى يومئذ الظهر قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلّى خلفه المسلمون قعوداً.

استشهاد المسلمين وقتلى الكافرين: واستشهد في ذلك اليوم من المسلمين، سبعون: أربعة من المهاجرين، والباقي من الأنصار، وقتل من المشركين ثلاث وعشرون رجلاً .

ولما اندهش المسلمون، وصار يضرب بعضهم بعضاً، نادي أبو سفيان: أفي القوم محمد، ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه فلم يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن ابى قحافة؟، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات؟، فلم يجيبوه، فرجع إلى أصحابه، فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا،، فما ملك نفسه عمر، فقال: كذبت يا عدو الله، إن الذين أعددت أحياء كلهم، فقال: يوم بيوم، والحرب السجال، أي مرة لنا ومرة علينا، فقال له عمر رضي الله عنه : قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار.

إيعاد أبي سفيان المسلمين معركة أخرى قادمة في بدر: ولما انصرف أبو سفيان وأصحابه، نادى: إن موعدكم بدر العام القابل، فقال ﷺ لرجل من أصحابه: قل نعم، بيننا وبينكم موعد .

مقتل حمزة، والتمثيل بشهداء المسلمين: وأما حمزة عمه ﷺ ، فقتله وحشي- عبد جبير بن مطعم، وأسلم بعد ذلك، ومثّل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد، يقطعون الآذان والأنوف، والفروج ويبقرون البطون .

ولما انصرف المشركون خرجت النساء إلى الصحابة، وكانت فاطمة فيمن خرجن، فلقيته ﷺ فاعتنقته، وجعلت تغسل جراحاته بالماء، وأخذت شيئاً من حصير ،وأحرقته بالنار وكمدت به الدم فاستمسك .

ولما خرج ﷺ يلتمس حمزة في القتلاء، فوجده بقرت بطنه عن كبده، وجدع أنفه وأذناه، فأوجع قلبه ذلك، وقال: رحمة الله عليك، إنك كنت فعولاً للخير، وصولاً للرحم، إنا والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فتزلت عليه: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ...) إلخ، سورة النحل، فكفّ عن ذلك، وكفر يمينه .

ثم أمر ﷺ بالشهداء أن ينزع منهم الحديد والجلود، وقال: ادفنوهم بـدمائهم وثيابهم .

ولما أشرف ﷺ على القتلاء، قال: أنا أشـهد عـلى هـؤلاء، مـن مـات جريحـاً بجرح في سبيل الله، إلا بعثه الله يوم القيامة في جرحه، اللـون لـون دم والـريح ريـح مسك. إنتهى .

غزوة بني النضير وإجلاؤهم

(و) في العام (الرابع) غزى ﷺ (بني النضير) بفتح النون وكسر الضاد المعجمة، قبيلة من اليهود، وكانت في ربيع الأول، وسألخصها من [شرح المناوي على ألفية السير]، الذي عليه جلّ اعتمادي في شرح هذا الكتاب .

سببها: وسببها أنه ﷺ كان بقباء، ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، ثم أتاهم ليعينوه في دية العامرِيّيْن اللَّذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، ظاناً أنهما حربيين .

وكان المصطفى ﷺ عقد لهما أماناً ولم يشعر به أحد، فأجابوه وخلا بعضهم ببعض، وقالوا: لن تجدوه على مثل هذا الحال، وكان جلس في جدار من بيوتهم، في نفر من أصحابه، فعزموا على الغدر، وقالوا: اجلس يا محمد، حتى تطعم وترجع بحاجتك، فابتدر واحد منهم ليلقى على النبي وصحبه صخرة من أعلى الدار، فنهاه آخر، وقال: إنه لنقض عهد، فأخبر بذلك من السماء، فقام كأنه يريد حاجة، فرجع إلى المدينة .

فلما استبطأته أصحابه، قاموا في طلبه فوجدوه، فأخبرهم الخبر، وأرسل إلى بني النضير، محمد بن مَسْلمة، يأمرهم بالخروج من جواره، وبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم، فبعثوا إلى المصطفى ﷺ أنهم لا يخرجون، وإن قاتلهم يقاتلونه، فأمر بالتأهب لحربهم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وعلياً على حمل رايته، ونصبت له قبة من خشب، عليها مسوح، أي جلد بمحل المسجد الصغير، فجلس بها .

وكان رجل من اليهود رامي، يبلغ من الحصن نبله القبة، فحولت، بحيث لا يبلغها النبل، ولزم حصارهم، فلما كان ذات ليلة، فقد عليّ قرب العشاء، فقال الناس له ﷺ : لا نراه، فقال: دعوه، فإنه في بعض شأنكم، فعن قريب جاء برأس ذلك

اليهودي، وكان كمن له، حتى خرج يطلب غارة المسلمين، فشد عليه فقتله، وحاصرهم نحو خمسة عشر يوماً .

الرحيل والجلاء وشروطه : وتحصنوا بالحصون، فقطع نخيلهم وحرقها، وخرب بيوتهم، فسألوه الجلاء والكف عن الدماء، على أن لهم ما حملت الإبل من مالهم إلا السلاح، فأجابهم، فحملوا وأظهروا تجلداً عظيماً، وخرجوا على بني الحارث بن الخزرج على ستمائة بعير، وخرج إلى خيبر منهم ابن الحقيق، وحُيي بن أخطب، ومنهم من ذهب إلى الشام، ولم يسلم منهم سوى ابن يامين بن عمير، وأبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما، وفيهم نزلت سورة الحشر .

ما أفاء الله تعالى على رسوله ﷺ من بني النضير والتصرف فيه : وقبض ما فيها من السلاح، وكان خمسين درعاً وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً، وكل ذلك للمصطفى ﷺ ، ولم يسهم منها إلا لسهيل بن حنيف وأبو دجانة لفقرهما، لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، فقسمها بين المهاجرين خاصة، ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار، وجعل النخل والأرض حبساً لنوائبه، والنفقة على أهله، وكان يزرع تحت النخل، ويدخر منه قوت سنة من شعير وتمر، لأزواجه وبني عبد المطلب، وما فضل جعله في الكراع والسلاح .

بعض ما حدث في العام الرابع الهجري : (و) فيه أيضاً (قصرت الصلاة) الرباعية، فصارت ركعتين، على قول بعضهم، أن الصلاة نزلت تامة، ثم خففت في السفر .

(و) فيه أيضاً (حرّم الخمر) أي شربه في ربيع الأول، روى أحمد، عن أبي هريرة: حرّمت الخمر، ثلاث مرات، قدم المصطفى ﷺ المدينة وهم يشربونها، ويأكلون الميسر، فسألوه عنهما، فأنزل الله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) الآية، فقال

الناس: ما حرّم علينا، إنما قال (فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ)، وكانوا يشربون الخمر، حتى كان يوم صلّى رجل من المهاجرين أمّ الصحابة في المغرب، خلط في قراءته، فأنزل الله تعالى آية أغلظ فيها: (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ) الآية، وكان الناس يشربون الخمر، ثم نزلت أغلظ من ذلك: (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ) إلى (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، قالوا: انتهينا ربنا .

وفي هذا العام ولد الحسين بن علي رضي الله عنه .

(و) فيه أيضاً (شُرِع التيمم) كما ذكر ذلك ابن الجوزي، عن ابن حبيب، (و) فيه أيضاً نزلت (صلاة الخوف) في غزوة ذات الرقاع .

غزوة الخندق في العام الخامس

(و) في العام (الخامس) كانت غزوة (الخندق) وتسمى هذه غـزوة الأحـزاب، وكانت في شوال، وسأسوقها من الشرح المذكور، باختصارها منه .

سبب الغزوة: وذلك أنه لما أجلى بني النضير، خرج نفر مـن وجـوههم إلى مكـة، يدعون قريشاً إلى حرب المصطفى ﷺ ، فوافقـوهم، وقـالوا: نكـون معكـم عليـه، حتى نستأصله، ونشطّوا قريشاً، ثم جاءوا غطفان، كلّموهم، ووعدوهم بنصف ثمر خيبر كل عام، فخرجت قريش في أربعة آلاف، وعقدت اللواء بدار النـدوة، وحملـه عثمان بن طلحة، ومعهـم ثلاثمائـة فـرس، وخمسـمائة بعـير، ووافقهـم بنـو سـليم في سبعمائة، وخرج بنو أسد وغطفان في ألف، وخرج أشجع وهم أربعمائـة، وبنـو مـرة وهم أربعمائة، وخرج معهم غيرهم، فكانوا عشرة آلاف، وهم ثلاثة عساكر، وملاك الأمر إلى أبـي سفيان .

الخندق ومن أشار به : فبلغ المصـطفى ﷺ ذلـك، فنـدب المسـلمين وشـاورهم، أيبرز لهم من المدينـة، أو يتـاخر لهـم في طرقهـا، فأشـار سـلمان الفـارسي بالخنـدق، وعسكر بهم المصطفى ﷺ إلى سفح سلع، وكانوا ثلاثـة آلاف، واسـتخلف ابـن أم مكتوم، ثم خندق على المدينة، وعمل فيه بيده، وحمل التراب على ظهره، حتـى اغـبرّ شعره وصدره بضع عشرة ليلة، وكان أبو بكر وعمر ينقلان الـتراب في ثيـابهما، إذا لم يجدوا مكاتل مـن العجلـة، ونظـر المصـطفى ﷺ إلى المهـاجرين والأنصـار وهـم يعملون، وما هم فيه من النصب والجوع، فقال:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره فـــاغفر للأنصـــار والمهـــاجره

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً   على الجهاد مابقينا أبدا

وكان من شدة اجتهاده يضرب مرة بالمعْول، ومرة يغرف التراب بالمسحاة، ومرة يحمله في المكتل، فعملوا فيه حتى أحكموه .

فلما فرغ من الخندق، أقبلت قريش، فنزلت بمجمع الأسيال في أحابيشها، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، فنزلوا إلى جانب أحُد ،وجعل المصطفى ﷺ النساء والذراري في الآطام، وجعل ظهر عسكره إلى سلع، والخندق بينه وبين عدوه .

ولواء المهاجرين بيد الحارث، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة، فلا زالوا يتناوشون القتال .

قريظة تنقض عهد الرسول ﷺ : ثم مشى حيي بن أخطب إلى بني قريظة، فأتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقدهم، وكان وادع المصطفى ﷺ على قومه، فأغلق باب الحصن دونه، وأبى أن يفتح له، فلم يزل يخاطبه، حتى خدعه فنقض كعب العهد .

وانتهى الخبر إلى النبي ﷺ ، فأرسل سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وابن رواحة، وخوات بن جبير، وقال: انظروا، أحق ما بلغنا عنهم، فإن كان حقاً فألحنوا إليّ لحناً - أي أرمزوا إليّ رمزاً أعرفه - ولا تفتوا في أعضاد الناس، أي تضعفوهم، وتدخلوا عليهم الرعب، وإن كانوا على الوفاء

اجهروا به، فوجدوهم أخبث ما بلغهم عنهم، وشاتمه أحد السعدين، فقال له الآخر: دع هذا .

فأتوا المصطفى ﷺ فقالوا له: غدر وكفر، فقال: الله أكبر، أبشروا، يا معشر المسلمين.

وعند ذلك عظُم البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، فأقام الكفار بضعاً وعشرين يوماً، لا حرب بينهم، إلا الرمي بالنبل والحصار، وتبارز علي بن أبي طالب مع عمرو بن عبد ود، بعد أن أعطاه المصطفى ﷺ سيفه وعممه، وقال: اللّهم أعنه عليه، فقتل علي رضي الله عنه عمرو، وسمع النبي ﷺ التكبير، فعرف أن علياً قتله، وكان شعار الصحابة (حم لا ينصرون).

وشغل المصطفى ﷺ عن العصرين والعشاءين، فأقام لكل صلاة إقامة، وقال: شغلونا عن الصلاة الوسطى، ملأ الله قبورهم ناراً .

الحرب خدعة: ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي، أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أسلمت، ولم يعلم بذلك قومي، فمرني بما شئت، قال: إنما أنت منا رجل واحد، فخدِّع عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة، فأتى بني قريظة، وكان لهم نديماً، أي صاحباً، فقال: قد عرفتم ودي إياكم، قالوا: صدقت ،قال: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، إن البلد بلدكم، وبه مالكم، لا تقدرون أن تتحولوا منه، وقريش بلدهم آخر، فإن أصابوا وإلا لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل، ولا طاقة لكم به إن خلى لكم، فلا تقاتلوا معهم، حتى تأخذوا رهناً، قالوا: أشرت بالرأي .

ثم أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان: عرفتم ودي لكم، بلغني أن معشر اليهود، ندموا على ما صنع بينهم وبين محمد، وأرسلوا إليه، إنا ندمنا فنرضيك أن نأخذ من

قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فتقتلهم، ونكون معك على الباقي منهم، فلا تدفعوا لهم رجلاً واحداً .

ثم أتى غطفان، فقال: أصلي وعشيرتي، ولا أراكم تتهموني، ثم ذكر مثل ماقال لقريش، فأرسل أبو سفيان وغطفان إلى بني قريظة: إنا لسنا بدار مقام، هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال، لنناجز محمداً، قالوا: اليوم السبت، ولا نعمل فيه، ولا نقاتل حتى تعطونا رهائن من رجالكم، فإنا نخشى إن ضركم الحرب أن تسيروا إلى بلادكم، وتتركونا ببلادنا ولا طاقة به، فقالوا: صدقنا نعيم، فردوا إليهم، لا نعطيكم من رجالنا أبداً، فاخرجوا معنا، وإلا فلا عهد بيننا وبينكم، فقال بنو قريظة: صدق نعيم، وخذّل الله بينهم .

هزيمة الأحزاب، (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ): وبعث الله ريحاً عاصفاً، فجعلت تقلب آنيتهم، وتكفأ قدورهم ليلاً .

فلما اتصل بالمصطفى ﷺ اختلافهم، بعث حذيفة بن اليمان ليلاً، ليأتيه بخبرهم، وقال له: قم، يحفظك الله، من أمامك وخلفك، ويمينك وشمالك، حتى ترجع إلينا .

رحيل المشركين: فأتاهم، وسمع أبا سفيان يقول: يا معشر قريش، ما أصبحتم بدار مُقام، قد هلك الكراع، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم ما نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، لا تُثبت لنا قدراً، ولا تقوم لنا ناراً، فارتحلوا فإني مرتحل، ووثب على جمله، فما حل عقاله، إلا وهو قائم .

قال أبو حذيفة: فأتيت النبي ﷺ فوجدته قائماً يصلي، فأدخلني بين رجليه، وطرح عليّ مرطه، فأخبرته لما سلم، فحمد الله .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين .

وأصبح المصطفى ﷺ بالخندق، وليس بحضرته أحد من عساكر المشركين، فأذن للمسلمين بالانصراف إلى منازلهم، ثم أمر بردهم، فبعث من ينادي في أثرهم، فما رجع أحد منهم من الغزوة، فجزع وكره سرعتهم، مخافة أن تكون لقريش عيون، ورجع إلى المدينة، وقال لهم: لن يغزوكم قريش بعد عامهم هذا، ولكنكم تغزونهم، فكان كذلك .

شهداء المسلمين وقتلى الكافرين: واستشهد من المسلمين ثمانية، وقتل من الكفار ثلاثة، وكان مدة إقامة الكفار على الخندق خمسة عشر يوماً. انتهى .

غزوة بني قريظة

(و) فيه أيضاً، غزى (بني قريظة) بضم القاف وفتح الراء، وظاء معجمة، وهي أيضاَ اختصرتها من [الشرح المذكور] .

سبب غزوة قريظة: وذلك أن المصطفى ﷺ لما انصرف هو والمسلمون من الخندق، مضى إلى بيته، فوضعوا السلاح، ودعى المصطفى ﷺ بماء فاغتسل، ودعى بالمجمرة ليتبخر، وقد صلّى الظهر، فأتاه جبريل، فقال: غفر الله لك، إن الملائكة لم تضع السلاح بعد، وأن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم .

فنادى مناديه: يا خيل الله اركبي .

فأذّن بلال في الناس، من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلي الظهر إلا ببني قريظة .

ولبس ﷺ الدرع والمغفر والبيضة، وأخذ قناة بيده، وتقلد الترس، وركب فرسه، وحف به أصحابه، وسار في ثلاثة آلاف، يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة .

وقدم علياً برايته إليهم، فابتدرها الناس حتى دنا من الحصون، فقال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله تعالى وأنزل بكم نقمته .

قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً .

وتلاحق الناس، وحصرهم خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، فسألوه أن ينزلوا على نمط، ما نزلت عليه بنو النضير، فأبى .

حكم رسول الله في بني قريظة: ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فكتفوا وجُعلوا ناحية، وأخرج النساء والذرية فجعلوا ناحية .

ماحكم به سعد بن معاذ على بـني قريظة : وحكّم فيهم ﷺ سعد بن معاذ، فحكـم أن تقتل الرجال، وتسبى النساء والأطفال .

فقال المصطفى ﷺ حكمت فيهم بحكم الله، من فوق سبع سموات .

و خندقوا لهم موضعاً بسوق المدينـة، فـأخرجوا فضــربت أعنـاقهم، وكـانوا ستمائة .

وتولى قتلهم عليٌّ .

غنائم بني قريظة: ووجدوا فيها ألفين وخمسمائة سـيف، وثمانيـة أدراع، وألفـي رمح، وخمسمائة ترس، وخمّس الغنائم، فأعطى للفارس ثلاثة أسهم، وللراجل سهم . انتهى .

غزوة بني المصطلق

(و) فيه أيضاً، غزى بني (المصطلق) بضم الميم وسكون المهملة، وفتح الطاء المهملة، وكسر اللام بعدها قاف، وهو لقب واسمه جذيمة بن سعد، بطن من خزاعة ، وسألخصها من [الشرح المذكور] أيضاً .

سبب غزو بني المصطلق: وذلك أنه كان سببها، أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار، ثار في قومه، ومن أمكنه من العرب، فدعاهم إلى حرب المصطفى ﷺ ، فأجابوا وتهيئوا للمسير معه .

فبعث النبي ﷺ بريدة بن الخصيب، يعلم علم ذلك، فلقى الحارث بن أبي ضرار، وكلّمه، ورجع إلى المصطفى ﷺ فأخبره، فأسرع الخروج إليهم، وخرج معهم بشر كثير من المنافقين، لم يخرجوا في غزاة قبلها، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وكان معه فرسان .

وبلغ الحارث ومن معه مسيره، فخافوا وتفرّق من معه، وانتهى المصطفى ﷺ إلى المُرَيْسيع، بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتيتين بينهما مهملة مكسورة، وآخره عين مهمة، وهو ماء لبني خزاعة، فضرب عليه قبته ﷺ ، ومعه عائشة وأم سلمة، فتأهبوا للقتال، وصف الرسول وأصحابه .

ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر، والأنصار إلى سعد بن عبادة، فترامـوا بالنبل ساعة، ثم أمر أصحابه فحملوا حملة رجل واحد، فما انقلب منهم إنسان .

نتيجة تلك الغزوة: وقُتل عشرة، وأسر بقيتهم، وسبا النساء والذرية، والنعم والشاء، ولم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد، كذا ذكره ابن إسحاق .

عمرة الحديبية وبيعة الرضوان

(و) في العام (السادس) وقعت (عمرة الحديبية) بخفة الياء وشدتها، بئر بينها وبين مكة مرحلة، (و) فيه أيضاً في هذه الواقعة (بيعة الرضوان) تحت الشجرة، وسألخص القصة من [الشرح المذكور] .

وذلك أن سببها أنه رأى ﷺ أنه دخل مكة، هو وصحبه آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين، وأنه دخل البيت، وأخذ مفتاحه، وعرف مع المعرفين .

فخرج يوم الاثنين، هلال ذي القعدة، معتمراً لا يريد حرباً، ومعه زوجته أم سلمة، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت .

وخرج في ألف وأربعمائة، فلما كان بذي الحليفة، قلد الهدي وأشعره، وأحرم منها بعمرة ليأمن الناس من حربه، وليُعْلِم أنه خرج زائراً للبيت، معظماً له .

حتى إذا كان بعسفان، لقيه بشر، فقال: قريش سمعت بك، فخرجت معهم العوذ المطافيل، بذال معجمة، أي النساء معهن الأطفال، وقد لبسوا جلود النمور، ونزلوا بذي طوى، وتعاهدوا أن لا تدخلها عليهم أبداً، ومنهم عين تطرف، واستغزوا من أطاعهم من الأحابيش، وأجلبت ثقيف معهم، ووضعوا العيون على الجبال .

فقال المصطفى ﷺ : يا ويح قريش، قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم، لو خلوا بيني وبين العرب، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام، فوالله لا أزال أجاهد على ما بعثت به، حتى يظهرني الله، أو تنفرد هذه السالفة، وكنى به عن القتل .

فسلك ثنية المِرار، بكسر الميم، وثَمّ بركت ناقته، وأبت أن تنبعث، ثم زجرها فقامت .

فولى راجعاً عاموده على يدي،ه حتى نزل بأقصى الحُديبية على ثمد، من ثمادها قليل الماء، فشكى إليه الناس العطش، فنزع سهماً من كنانته فغرزها في الثمد، فجاش بالروى، حتى صدروا عنها، فقال الناس: خلأت القصواء، أي حرنت، فقال: ما خلأت، وما هو لها بخلق، لكن حبسها حابس الفيل ، لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطة، يسألوني فيها صلة الرحم، إلا أعطيتهم إياها .

فلما أطمأن، أتاه بُدَيْل بن ورقاء، فسأله ما جاء به، فأخبر أنه لم يأت لحرب، بل زائراً .

فرجع، وقال لقريش: إن محمداً لم يأت لقتال، فقالوا: وإن كان لا يريد القتال، لا يدخلها عنوة أبداً .

فبعثوا إليه آخر، فكلّمه، فقال له نحواً مما قاله لبديل، فرجع إليهم، فأخبرهم، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة، وكان سيد الأحابيش، بحاء مهملة وموحدة، وشين معجمة، وهم بنو الهول بن خزيمة، فأمر المصطفى ﷺ ببعث الهدي في وجهه ليراه، فلما رآه في قلائده، واستقبله الناس يلبون، قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت .

ورجع ولم يصل إلى المصطفى ﷺ إعظاماً لما رأى، وقال لهم: إني رأيت ما لا يحل منعه .

ثم بعثوا عروة بن مسعود الثقفي، فأتاه، فقال: يا محمد، جمعت أوباش القوم، ثم جئت إلى بيضتك لتفضها بهم، إنها قريش لبسوا جلود النمور، متعاهدين أن لا تدخلها عنوة أبداً، وأيم الله كأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك .

فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، نحن نَفِرُّ عنه؟! .

فسأل عنه، قالوا له: أبو بكر، فقال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي، لم أجزك بها، لأجبتك .

ثم جعل كلما كلّم المصطفى ﷺ أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة واقف على رأسه، يقرع يده بنعل السيف، ويقول: اكفف يدك عن وجه المصطفى ﷺ قبل أن لا تصل إليك .

فيقول عروة: ما أفظك وأغلظك، فتبسم المصطفى ﷺ ، فقال: من هذا يا محمد؟، قال: ابن أخيك المغيرة .

مدى حب المسلمين رسول الله ﷺ : فقام من عنده، وقد رأى ما يفعل به أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، فدلكوا ببصاقه وجوههم، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وغير ذلك .

فرجع، فقال: يا معشر قريش، جئت كسرى في ملكه، وقيصر والنجاشي، فما رأيت ملكاً قط، كمحمد في أصحابه، رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً، وإن أردتم منهم السيف بذلوه لكم، وإني أخاف أن لا تنصروا على رجل، أتى البيت زائراً معظماً له، معه هدي لينحره وينصرف .

فقالوا: لا تتكلم بهذا، ولو غيرك تكلم به؟!، لكنا نرده عامنا هذا، ويرجع إلى قابل، فقال: ما أراكم إلا ستصيبكم قارعة، فانصرف بمن معه إلى الطائف .

وبعث إليهم المصطفى خراش بن أمية الخزاعي، فعقروا بعيره .

فبعث إليهم عثمان رضي الله عنه ، فبلغهم الرسالة، فقالوا: إن شئت أن تطوف فطف، قال: ما أفعل حتى يطوف المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فاحتبسته قريش عندها، فبلغه صلى الله عليه وسلم أن عثمان قتل، فقال: لا نبرح، حتى نناجز القوم، ودعى الناس إلى البيعة .

بيعة الرضوان: فكانت بيعة الرضوان، تحت الشجرة، فبايعهم على الموت، فلبسوا السلاح، وتأهبوا للقتال، ثم ظهر أن عثمان لم يقتل .

صلح الحديبية وشروطه: وطلبت قريش الصلح ،وجرى على أن تضع الحرب بينهم عشر سنين، وأن يأمن الناس بعضهم بعضاً، وأن يرجع عنهم عامهم .

من رأى أن في هذا الصلح ظلماً للمسلمين: فلما تم الصلح، ولم يبق إلا المكاتبة، وثب عمر، فقال: يا رسول الله، ألست نبي الله حقاً؟!، قال: بلى، قال: ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟! ، قال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟! ، قال: بلى، قال: علامَ نعطي الدنية في ديننا، ونرجع .

قال: إني عبد الله ورسوله، ولست أعصيه، وهو ناصري .

قال: أو ليس تحدثنا أنّا نأتي البيت فنطّوّف، قال: بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام، قال: لا ، قال: فإنك آتيه وتطوف به .

فذهب عمر، حتى أتى أبا بكر، فقال: أليس رسول الله؟ ، قال: بلى، قال: ألسنا بالمسلمين وهم بالمشركين؟ ، قال : بلى، قال: فعلامَ نعطي الدنية في ديننا؟ ، قال: يا عمر، الزم غرزه، فإنه رسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بعروته، حتى تموت، فوالله إنه على الحق .

قال: فما أصاب عمر شيء قط، مثل ذلك، ثم المصطفى أشهد أنه رسول الله .

وثيقة الصلح: ثم دعا عليّاً، فقال: اكتب، فكتب هذا ما صالح عليه المصطفى ﷺ ، وكان الصلح على وضع الحرب، وأنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليه، ومن جاء قريش ممن معه لم يردوه عليه، وأن من أحب أن يدخل في عهد محمد دخل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل .

وقد كان الصحابة خرجوا، وهم لا يشكون في الفتح للرؤية، التي رآها المصطفى ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، دخلهم أمر عظيم، حتى كادوا أن يهلكوا .

فقام ﷺ إلى هَدْيه فنحره، ثم حلق، ففعلوا مثله .

النتائج العظيمة لصلح الحديبية، وكان صلح الحديبية فتحاً قريباً، أمن الناس بعضهم بعضاً، وتفاوضوا الحديث، فدخل في الإسلام في تلك السنين أكثر مما كان فيه قبل، لأنه خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، وخرج عام فتح مكة بعد ذلك بعامين، في عشرة آلاف . انتهى .

فرض الحج: (و) فيه أيضاً (فرض الحج) .

غزوة خيبر

في العام (السابع) غزى (خيبر) كجعفر، وهي بلدة كثيرة الثمر، بينها وبين المدينة ثمانية برد، ذات حصون .

وسألخص وقعتها من [شرح المناوي] المذكور، باختصار منه .

سببها: وذلك أنه لما قدم ﷺ من الحديبية، مكث بالمدينة ذي الحجة، وبعض المحرم، ثم خرج إلى خيبر غازياً، وأمر بالخروج، وجاءه المخلّفون عنه فيها، فخرجوا معه رجاء الغنيمة، فقال: لا تخرجوا، إلا راغبين في الجهاد .

واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة، ودفع اللواء إلى علي، وسار حتى نزل بساحتهم ليلاً .

وكانت يهود خيبر لا يظنون أن المصطفى ﷺ يغزوهم لمنعتهم وسلاحهم وعددهم .

فلما أحسوا بخروجه، كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ،ثم يقولون: محمد يغزونا هيهات .

فلما نزل بساحتهم، لم يتحركوا تلك الليلة، ولم يصح لهم ديك .

الإغارة إذا تُؤكد من الكفر: وكان إذا غزا قوماً لم يغر عليهم، حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار .

فبات لم يسمع أذاناً، فخرج عمال خيبر بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا الجيش، قالوا: محمد والخميس، ثم أدبروا هرباً .

فقال النبي ﷺ وهو رافع يديه: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين .

وفرق الرايات، وكانت رايته يومئذ سوداء، تسمى العقاب، ولم يعرف للمصطفى الرايات إلا بخيبر، وإنما كانت الألوية فقط .

وتحصنوا في الحصون، فدنا المصطفى ﷺ يفتحها حصناً حصناً، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، ثم القموص- كصبور، حصن بن أبي الحقيق .

وأصاب منهم سبايا، منهن صفية بنت حيي بن أخطب، فاصطفاها لنفسه، وعرس المصطفى ﷺ بها في الطريق في قبته .

وفشت السبايا من خيبر إلى المسلمين، فنهاهم عن إتيان الحبالى، وقال: لا يحل لامرئ يؤمن بالله أن يُسقى ماءه زرع غيره .

ثم انتهى إلى حصنهم الوطيح، فحاصرهم بضع عشرة ليلة، وخرج مرحب، بفتح الميم والحاء، من حصنهم وهو ينحطر سيفه، ونادى من يبارزني، وهو مرتجزاً:

قد علمت خيبرُ أني مرحب   شاكي السلاح بطلٌ مجرب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب   إذا الليوث أقبلت تجرب

هذا إن حماي للحمى لا يقرب

(فخرج إليه علي، وهو يرتجز ويقول):

أنا الذي سمتني أمي حيدره   كليث غابات كريه المنظره

(أوفيهم بالصاع كيل السندره)

وهي أي [السندرة] شجرة يصنع منها مكاييل عظام، فقتل علي مرحباً، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يقول:

قد علمت خيبر أني ياسر   شاكي السلاح بطلٌ مغاور

إذ الليوث أقبلت تبادر   وأحجمت عن صولتي المسادر

(إن حسامي فيه موت حاضر)

وقال: من يبارزني؟، فخرج إليه الزبير، فقالت أمه: أيُقتل ابني يا رسول الله؟، قال: بل ابنك يقتله إن شاء الله، فخرج إليه، وهو يقول:

قد علمت خيبر أني زبار   قرم لقوم غير نكس فرار

ابن حماة المجد وابن الأخيار   ياسر لا يغررك جمع الكفار

(فجمعهم مثل الشراب الحار)

ثم التقيا، فقتله الزبير، واشتد الحصار .

فتح خيبر على يد علي كرّم الله وجهه : وكانت الشقيقة تأخذ المصطفى ﷺ ، فيمكث اليوم واليومين لا يخرج، فأخذته بخيبر فلم يخرج، فأرسل أبا بكر فقاتل، فلم يفتح، وأرسل عمر فلم يفتح، فقال: لأعطين الراية غداً، لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار، فبات الناس يختلفون أيهم يعطاها .

فدعا علياً، وهو أرمد، قد عصب عينيه، فتفل في عينيه، ثم قال: خذ هذه الراية، فامض حتى يفتح الله عليك، فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟، فقال: انفذ على رِسْلِك، حتى تنزل بساحتهم، ثم أدعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله وحق رسوله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم .

فخرج يهرول، حتى أركزها تحت الحصن، فاطلع يهودي، فقال: من أنت؟، قال: علي، قال: علوتم، وما أنزل على موسى، فخرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه يهودي فطرح ترسه من يده، فتناول باباً عند الحصن، فتترس به، فلم يزل في يده، وهو يقاتل حتى فتح عليه .

فاجتمع ثمانية، وقيل: أربعون، على أن يقلبوا ذلك الباب فما أمكنهم .

ثم حاصر أهل الوطيح والسلالم، وكان آخر الحصون فتحاً، حتى أيقنوا بالهلاك، سالوه أن يسير بهم، ويحقن دماءهم ففعل، فسمع بذلك أهل فدك، فسألوه في ذلك .

شروط صلح خيبر: فلما نزل أهل خيبر على ذلك، سألوه أن يعاملهم على نصف ما خرج منها من تمر وزرع، فصالحهم عليه، على أنا إذا شئنا إخراجكم أخرجناكم .

فكانت خيبر فيئاً للمسلمين، وكانت فدك خاصة للمصطفى ﷺ ، لأنها لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب .

وكانت مدة إقامته بخيبر أربعين يوماً. انتهى .

عمرة القضاء

(و) فيه كانت (عمرة القضاء)، وسألخص من [الشرح المذكور] قصتها، وذلك أنه خرج هلال ذي الحجة، مثل الشهر الذي صده فيه المشركون، واستعمل على المدينة أبا رُهْم بضم الراء، الغفاري .

وساق ستين بدنة هدياً، وقاد مائة فرس أمامه، ولم يتخلف ممن شهد الحديبية أحد .

فلما سمع أهل مكة، تغيّب أشرافهم كراهة نظرهم إليه غيظاً، ودخل مكة صبيحة أربعة ذي الحجة، وهو على ناقته القصواء، وأصحابه محدقون به، قد توشحوا بالسيوف، وتحدثت قريش أن محمداً وأصحابه في جهد وشدة وضيق، وصُفُّوا عند دار الندوة، لينظروا إليهم، فاضطبع المصطفى ﷺ بردائه، وأخرج عضده اليمنى، وقال: رحم الله امرءاً أراهم من نفسه قوة، ثم استلم الركن ثم، هرول، حتى إذا واراه البيت منهم، مشى ثم استلم الركن، ثم هرول كذلك ثلاثة، يطوف ويمشي في سائرها، ودخل مكة، وابن رواحة يرتجز بين يديه، ويقول:

خَلَّوا بني الكفار عن سبيله

خَلُّوا فكلُّ الخير في رسوله

يا ربّ إني مؤمن بِقيله

أعرفُ حقَّ الله في قبوله

فقال عمر: يا ابن رواحة، بين يدي المصطفى، في حرم الله تعالى تنشد الشعر؟ .

فقال: خل عنه يا عمر، فهو أسرع فيهم من نضح النبل .

ولما قضى طوافه دخل البيت، فلم يزل حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة، بأمره ﷺ ، ولما دخل مكة لم يتزل في بيت، إنما ضربت له قبة بالأبطح .

وكان بعث بين يديه جعفر بن أبي طالب، يخطب ميمونة بنت الحارث الهلالية، فجعلت أمرها إلى العباس، فزوجها منه .

ثم قضى نسكه، وأقام بمكة ثلاث ليال، فلما أصبح الرابع، أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى، وقالا: نناشدك الله والعقد، إلا ما خرجت من أرضنا، فقال سعد بن عبادة: كذبتم ليست بأرضكم، ولا أرض أبيكم، لا يخرج إلا راضياً.

فقال المصطفى ﷺ وهو يضحك: يا سعد، لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا، ثم قال: وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، وصنعت لكم طعاماً، قالوا: لا حاجة لنا بطعامك، اخرج عنا، فأذن بالرحيل، وخلف أبا رافع على ميمونة، حتى أتاه بها، فبنى بها بسرف .

ثم أدلج، فسار حتى قدم المدينة، وكانت عدة المسلمين، سوى النساء والأطفال، ألفين، وأنزل الله: (لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا...) الآية .

وقعة مؤتة في السنة الثامنة

(و) في العام (الثامن) كانت (وقعة مؤتة) بضم الميم، فهمزة ساكنة، فمثناة فوق فهاء، قال ابن قرقور: أكثر الرواة لا يهمزونه، وهو مهموز، وهي بالشام، من عمل البلقان، دون دمشق، وكانت في جمادى الأولى .

فتح مكة

(و) فيه كان (فتح مكة) المشرفة، الذي هو أعظم الفتوحات الإسلامية، والتأييدات الإلهية، أعزّ الله به دينه ورسوله، وجنده وحرَمَهُ وبلده وبيته، وتمت به العزة للمؤمنين، وعظمت به عليهم البركات في الحرم الأمين، واستبشر به أهل السموات، وفرح به أهل الخيرات، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وأشرقت به الأرض ضياءً وابتهاجاً، ونار الكون حتى كأن به في تلك الليالي سراجاً، وكان في رمضان، شهر اليُمن والغفران، وسألخص قصته من [الشرح المذكور للمناوي]، فأقول طالباً من الحق فتح القلب، وغفر المساوي .

سبب الفتح: وذلك أنه لما وقع صلح الحديبية، على أنه لا يتعرض النبي ﷺ لمن دخل في عقد قريش، ولا يتعرضون لمن دخل في عقده، وكان ممن دخل في عقده خزاعة، وفي عقدهم بنو بكر، وكانا متعاديين، فخرج بعض بني بكر، وبيت من خزاعة، فاقتتلوا، فأمدت قريش بني بكر، فجاء عمرو بن سالم، وبديل بن ورقاء، في أربعين إلى المدينة، فأخبروه بمظاهرة قريش عليهم، واستنصروه، فقام يجر رداءه، ويقول: لا نُصرت إن لم أنصركم، بما أنصر به نفسي .

تخييره ﷺ قريش قبل الغزو: ثم بعث إلى أهل مكة ضمرة، يخبرهم بين إحدى خلال إما أن يودوا قتلى خزاعة، أو يبرأوا من خُلّف من نقض الصلح، أو ينبذوا إليهم عهدهم .

فأشار أبو سفيان بجحدان قريش، ومضى الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي ربيعة، إلى أبي سفيان، فقالا: هذا أمر لا بد أن يصلح، وإن لم يصلح لا يرعكم إلا محمد في أصحابه، فقال أبو سفيان: قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها، وأخبرهم بها .

أبو سفيان يحاول تجديد الصلح: وقدم أبو سفيان المدينة، يشد العقد، ويزيد في المدة، فدخل على بنته أم حبيبة، فذهب ليجلس على الفراش، فطوته، فقال: يا بنيَّة، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ .

قالت: هو فراش المصطفىﷺ ، وأنت مشرك نجس ، فقال: لقد أصابك بعدي شر .

قالت: هداني للإسلام، فأنت يا أبت سيد قريش وكبيرهم، كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام، وتعبد حجراً، لا يسمع ولا يبصر .

فقام، فأتى المصطفىﷺ، فقال: يا محمد، إني كنت غائباً في صلح الحديبية، فاشدد العقد، وزدنا في المدة، قال: هل كان قبلكم من حدث؟، قال :لا، قال: نحن على عهدنا وصلحنا .

قال: فنحن على مدننا وصلحنا.

وأعاد أبو سفيان عليه القول فلم يرد عليه .

وكلّم أبا بكر أن يكلم المصطفى ﷺ ، فقال: ما أنا بفاعل .

فكلّم عمر، فقال: أنا أشفع لكم، والله لو لم أجد إلا الدرة، لجالدتكم بها، وكلمات أخر، فقال: جزيت من ذي رحم شراً .

فأتى عثمان، فقال: ليس في القوم أقرب رحماً منك، فكلّم صاحبك، قال: جواري في جوار رسول الله ﷺ ، فأتى سعد بن عبادة وطالبه أن يجير، فقال: لا يجير أحد على رسول الله ﷺ ، فدخل على عليّ، وعنده فاطمة والحسن، فقال: يا عليّ، أنت أمسُّ القوم بي رحماً، جئت في حاجة وذكرها، قال: قد عزم المصطفى ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه .

وطلب من فاطمة أن يجير الحسن، فلم تفعل .

فقال لعلي: يا أبا الحسن، قد اشتد الأمر فانصحني، قال: ما أعلم شيئاً يغني عنك، لكنك سيد بني كنانة، قم فأجر بين الناس، ثم ألحق بأرضك، فقال: يأيها الناس، قد أجرت بين الناس .

ودخل على النبي ﷺ فقال: يا محمد، إني أجرت بين الناس .

قال: أنت تقول ذلك، يا أبا حنظلة؟.

ثم ركب بعيره، وانطلق فأتى قريشاً، فقالوا: هل أجار لك محمد؟، قال: لا، لكنه، قال: أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة .

قالوا: رضيت بغير رضا، وجئت بما لا يغني شيئاً، ما زاد على أن لعب بك الرجل تلعباً، قال: ما وجدت غير ذلك .

الاستعداد لفتح مكة: وأمر المصطفى ﷺ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على عائشة، وهي تجهز بعض الجهاز، وقال: أين ترينه يريد؟، قالت: لا أدري، ثم خرج فجلس بباب حجرته، وكان إذا جلس لم يأته أحد حتى يدعوه،

فدعا أبا بكر فناجاه طويلاً، فقال: كيف تأمرني في غزو مكة؟، فقال: يا رسول الله، قومك، حتى كاد يطيعه .

ثم قام فدعا عمر، فقال: هم رأس الكفر، زعموا أنك ساحر وكافر وكذاب، حتى ذكر كل سوء كانوا يقولونه ، وأيم الله لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة، فأجمع على السير، وأعلم الناس بذلك وأمرهم بالجد .

كتاب حاطب يحذر أهل مكة: فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش، بعلمهم به، وأعطاه امرأة، وجعل لها جُعلاً على أن تبلغه أهل مكة، وقال : أخفيه.

فأتى المصطفى ﷺ : الخبر من السماء، فبعث علياً والزبير، وقال: أدركا امرأة بعثها حاطب إلى قريش، بكتاب يخبرهم، فأحضراها وهدداها، فأخرجت الكتاب .

فقال لحاطب: ما حملك على هذا؟، فقال: يا رسول الله إني لمؤمن، ما تغيرت، لكن ليس في القوم من أصلي ولا عشيرتي، ولي بين أظهرهم أهل وولد، فصانعتهم .

فقال المصطفى ﷺ : قد صدقكم، فقال عمر: دعني أضرب عنقه، فإنه نافق، فقال: يا عمر، وما يدريك، أن الله أطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم .

ثم قال: اللّهمّ خذ العيون والأخبار من قريش، ثم أرسل إلى من حوله من العرب، فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه في الطريق ألفان، ولقى في الطريق أبا سفيان [بن الحارث] ابن عمه وأخوه من الرضاع، وكان أبو سفيان يألف المصطفى ﷺ ، فلما بعث عاداه وهجره، وهجاه، فلقيه بالأبواء، فأسلم، وسار حتى نزل بمر الظهران، وعميت أخباره عن قريش .

العباس يلتقي بأبي سفيان، ويستأمن له: وخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، يتجسسان الأخبار، وكان العباس لقى المصطفى ﷺ بالطريق مهاجراً بعياله من مكة، قال العباس: فلما نزل بمر الظهران، قلت: واصباحا قريش، إن دخل مكة عنوة قبل أن يستأمنوه، إنه لهلاكهم إلى آخر الدهر.

فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، وخرج لعله يجد بعض الحطّابة يأتي مكة فيخبرهم، وإذا هو يسمع كلام أبا سفيان وآخر معه، وسمع أبا سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط، فقال العباس: أبا حنظلة، قال: أبا الفضل، ما لك؟، قلت هذا رسول الله واصباحا قريش، قال: فما الحيلة؟، قلت: إن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب معي هذه البغلة لآتيه بك، فأستأمنه لك، فركب فجئت به، كلما مرّ بنار، قالوا: من هذا؟، فإذا رأوا البغلة، قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته.

حتى مررت بنار عمر، فلما رأى أبا سفيان، قال: عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك، بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو المصطفى ﷺ، وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة الرجل، فدخلت عليه، ودخل عمر، فقال: هذا أبو سفيان، اضرب عنقه، قلت: يا رسول الله، إني أجرته، قال: اذهب به إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به .

فغدوت به، فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟، قال: لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد، قال: ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟، قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك، أما هذه ففي نفسي منها شيء حتى الآن، فقال له العباس: أسلم قبل أن يُضرب عنقك، فأسلم بعد تمنع شديد، و تهديد كبير .

أبو سفيان رجل يحب الفخر: فقال العباس: يا رسول الله، إنه رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وفي رواية: من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فقال أبو سفيان: وما يسع المسجد، فقال: ومن أغلق بابه فهو آمن .

القبائل الفاتحة: فذهب لينصرف، فقال المصطفى ﷺ : يا عباس أحبسه بمضيق الوادي، حتى تمر به جنود الله، فيراها خشية أن يظن أبو سفيان قلة الناس، فيرتد إذا ذهب، فأدركه العباس فحبسه، فقال: أغدر يا بني هاشم؟، قال: إنا أهل النبوة لا نغدر، لكن اصبر حتى تنظر جنود الله .

فمرت به القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة، قال: يا عباس، من هذا؟، فيقول: سُلَيْم، فيقول: ما لي ولسليم، ثم تمر به قبيلة، فيقول: من هذا؟ فيقول مُزَيْنة، فيقول: ما لي ولمزينة، ثم تمر به قبيلة، فيقول: من هذا؟، فيقول: كنانة، فيقول له: ما لي ولكنانة .

حتى تعددت القبائل، فمر المصطفى ﷺ في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، والمصطفى ﷺ على ناقته القصواء، بين أبي بكر وأسيد ابن حضير، يحدثهما، قال: من هؤلاء؟ قال: رسول الله في المهاجرين والأنصار، قال: يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، قال: إنها النبوة، قال: نعم .

أبوسفيان يحذر أهل مكة: فجاء، فصرخ بأعلى صوته: هذا محمد، جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت

بلحيته، وقالت: الشيخ الحميت، قبح من طليعة نوم، قال: لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

الفتح: فلما انتهى المصطفى ﷺ إلى ذي طُوى، وقف على راحلته معتمداً بشقة رداء حمراء، وعلى رأسه عمامة سوداء، وإنه ليضع رأسه تواضعاً لله، حين رأى ما أكرمه به من الفتح، حتى إن عثنونه، كاد يمس وسط الرحل، وضربت له قبته بالحجون، ولم يدخل بيتاً، وكان يأتي منه للمسجد كل صلاة، وأمر ﷺ حين فرق جيشه من ذي طوى، الزبير أن يدخل بمن معه من كُداء، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل من كدى، ثم أخذ منه الراية وأعطاها لعلي، ودخل خالد بن الوليد، وكان على الميمنة من أسفل مكة، فلقيه بنو بكر وقاتلوه، فقتل منهم نحو عشرين وانهزموا.

ولما رأى ﷺ بارقة السيوف على الخيل، مع قصيص المشركين، قال: ألم أنه عن القتال، فقال المهاجرون: إن خالداً قوتل وبُدئ بالقتال، فلم يكن بدأ من أن يقاتل من قاتله، وقد كف يده ما استطاع .

من أمر ﷺ بقتلهم بعد الفتح: وأمر بقتل أنفار سمّاهم، منهم: عبد الله بن أبي سرح، ومنهم عبد الله بن خطل، بالتحريك، ومنهم الحويرث بن نقيد، وأمّن صفوان بن أمية، واستأمنته زوجة عكرمة بن أبي جهل، وهي يومئذ مسلمة له فأمنه، وأمن سهيل بن عمرو، وقال: من لقى سهيلاً فلم يحد إليه النظر، لعمري إن له عقلاً وشرفاً، فأخبره ابنه، فقال: والله كان براً صغيراً، وبراً كبيراً .

وأتاه السائب بن عبد الله، شريكه قبل البعثة، فقال: مرحباً بأخي وشريكي، كان لا يداري ولا يماري، فأسلم .

وأتته أم هانئ، أخت علي، وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة فيها أكثر العجين، وفاطمة بنته تستره بثوبه، فلما اغتسل صلّى ثماني ركعات الضح، ثم قال: مرحباً، وأهلاً بأم هانئ، ما جاء بك؟، قالت: نفر إلى رجلان من أحمائي، وقال: أخي والله، لأقتلهما، قال: أجرنا من أجرت يا أم هانئ .

ما فعله ﷺ بعد الفتح: فلما اطمأن الناس اغتسل، وعاد للبس السلاح، وحفّ الناس به، وهم يكبرون حتى ارتجت مكة تكبيراً، والكفار فوق الجبال ينظرون .

الطواف ودخول البيت المعظم وخطبته بعد الفتح: ثم جاء البيت فطاف سبعاً، على راحلته، يستلم الحجر بمحجنه، فلما قضى طوافه، أخذ المفتاح من عثمان بن طلحة، ففتح الكعبة ودخلها، ثم وقف على بابها، فقال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك ل،ه صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة ودم، أو مال يدعى، فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت، وسقاية الحاج، يا معشر قريش، إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعاظمها بالآباء، الناس لآدم، وآدم من تراب، ثم تلا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ) الآية .

محو آثار المشركين: ثم أمر عمر أن يمحو من مكة التماثيل، فمحيت، وقال: قاتل الله قوماً يصورون ما لا يخلقون، ثم غسل الكعبة بماء زمزم، ظهرها وبطنها، فلم يدع أثراً من المشركين إلا محاه، ودخل هو وأسامة وعثمان بن طلحة، وأغلقوا عليهم الباب، فكبّر في أرجائها، وحمد الله، وصلّى ركعتين بين الأسطوانتين، ومكث زمناً طويلاً، ثم خرج، ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟، قالوا: خير، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا، فأنتم الطلقاء .

ثم جلس بالمسجد، فقام علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة بيده، فقال: اجمع لنا الحجابة والسقاية .

قال: أين عثمان بن طلحة؟ ، فقال: هذا مفتاحك اليوم، يوم وفاء وبر، وقال: خذها خالدة مخلدة، إني لم أدفعها إليكم، ولكن دفعها الله إليكم، لا ينزعها منكم إلا ظالم .

ذل الأصنام وهلاكها: وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، مشدودة بالرصاص، وكان هبل أعظمها، وهو على باب الكعبة، فلما طاف جعل يشير بقضيب في يده إليه، ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحُقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾، فما أشار لصنم، إلا وقع على قفاه .

فضل الأنصار وحبهم: فلما حانت الظهر، أمر بلالاً أن يؤذن فوق الكعبة، ليغيظ المشركين، فلما أقام على الصفا يدعو، وقد احتفت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون إذ فتح الله عليه بلده، يقيم بها، فلما فرغ، قال: ما قلتم؟، قالوا: لا شيء، فلم يزل حتى أخبروه، فقال معاذ الله، المحيا محياكم، والممات مماتكم.

ثم أقام بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة، يقصر الصلاة . انتهى .

غزوة حنين

(و) فيه أيضاً غزى (حُنَيْناً) بالتصغير، واد بقرب الطائف، بينه وبين مكة ثلاث ليال، سمي بحنين بن خابية بن مهلاييل .

وسألخص هذه الغزوة، من [شرح الإمام المحلي على تائية الإمام السبكي] .

سبب الغزوة: وذلك أنه لما فتح مكة ﷺ ، اجتمعت هوازن وثقيف وبنو سعد بن بكر، وغيرهم إلى مالك بن عوف النصري لمحاربة المسلمين .

وفي الكفار دُرَيْد بن الصمة، شيخ كبير ليس فيه إلا التمييز برأيه في الحرب، وتجربته في الاختلاف .

فسمع دريد أصوات الإبل والغنم والحمير، وبكاء الأطفال، فسأل مالكاً عنه، فقال: سقت مع الناس أهليهم وماهم، يقاتلون عن ذلك، فقال: هل يرد المنهزم شيء، إن كانت لك لم ينفعك، إلا رجل برمحه وسيفه، وإن كانت عليك، فُضحت في أهلك ومالك، فقال: إنك قد كبرت وضعف رأيك .

وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك؟ غزوة حنين -

ثم قال للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد .

ولما بلغ المصطفى ﷺ اجتماعهم لحربه، أرسل عبد الله بن أبي حدرد، ليدخل فيهم، ليعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، ففعل .

ثم بلغ النبي ﷺ أن عند صفوان بن أمية دروعاً، فاستعار منه مائة درع مكملة بالسلاح، فأعارها إياه وهو على شركه .

التوجه للحرب: ثم توجه بالمسلمين لقتال هوازن من أوطاس، والمسلمون عشرة آلاف، وألفان ممن أسلم من مكة من الطلقاء، فانحدروا إلى الوادي، وكان القوم سبقوهم إلى الوادي، وكمنوا في شعابه ومضائقه، مستعدين لحربهم على غفلة من المسلمين.

المعركة: معركة حنين: فما رأوهم إلا والكتائب قد شدوا عليهم شدة رجل واحد، فاستمروا راجعين، لا يلوى أحد على أحد، وانحاز ﷺ ذات اليمين .

ثم قال: أيها الناس، هلموا، أنا رسول الله ﷺ ، أنا محمد بن عبد الله، وانطلق الناس.

من لم ينهزم عن رسول الله ﷺ : إلا أنه قد بقي مع المصطفى ﷺ نفر من أصحابه، كأبي بكر، وعمر، ونفر من أهل بيته، كعلي والعباس وأولاده، وأبو سفيان بن الحارث، وأخوه ربيعة، وأسامة، وأخوه لأمه أيمن .

شجاعته ﷺ : والمصطفى ﷺ يُركض بغلته قبل الكفار، والعباس آخذ بلجام البغلة، يكفها لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركابه .

روائح النصر: فقال رسول الله ﷺ : يا عباس، ناد أصحاب السَّمُرة، فقال العباس - وكان رجلاً صيتاً، بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة، قال: والله لكأن عطفهم حين سمعوا صوتي عطف البقر على أولادها، يا لبيك يا لبيك، يا عباس، فاقبلوا على الكفار، والدعوة في الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج .

فنظر المصطفى ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، وقال: هذا حين حمي الوطيس، ثم أخذ المصطفى ﷺ حصيات رمى بها وجوه الكفار، فقال: انهزموا، ورب محمد، فقال: والله ما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً .

غنائم هوازن: وجمع المصطفى ﷺ غنائم هوازن من الأموال والسبي، وكانت نحو ستة آلاف رأس، فأمر بسوقها إلى الجعرانة .

وفد هوازن: ثم ذهب إلى الطائف، فلما انصرف عنه، ونزل الجعرانة، أتى وفد هوازن إليه، فقالوا: إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء، فامنن علينا، فأنت والله خير الموكولين .

الشيماء أخت الرسول ﷺ : وكانت فيهم الشيماء بنت حليمة السعدية، أخته من الرضاعة، فوقفت بين يديه، وكلمته وأخبرته، أنها أخته من الرضاعة، وأنشدت أبياتاً منها:

أجلى الظلام بدر التمام ... وخير الأنام وذي السائم

نبي كريم شريف رحيم ... ودود حليم عن الجارم

إلى أن قالت:

أمي وأمك من قد عرفت ... وأين المزاح من اللازم

فلما سمع المصطفى ﷺ كلامها ونظمها، أقبل عليها، لا يحدث غيرها، ثم بسط رداءه لها، فاستوهبته السبي، فاعتق السبي كله، وردّ على هوازن سباياها .

تقسيم غنائم هوازن: ثم قسم الغنائم في الطلقاء، والمهاجرين دون الأنصار، فأعطى جماعة نحو ثلاثة عشر كل واحد مائة من الإبل، وأعطى صفوان بن أمية وهو مشرك يومئذ مائة من الإبل، وأعطى غيرهم ما بين المائة إلى الخمسين، وغير ذلك .

ولما كانت هذه العطايا في قريش، وقبائل العرب، وجد ناس من الأنصار في أنفسهم شيئاً .

فجمع النبي ﷺ من الأنصار على حَرّةٍ، ثم خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر الأنصار، وجدتم في أنفسكم من لعاعة الدنيا، تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى الإسلام، ألا ترضون أن تذهب الناس بالشاء والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، فو الذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، اللّهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار .

فبكى القوم حتى اخْضَلّت لحاهم، فقالوا: رضينا .

عمرته ﷺ من الجعرانة: ثم اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة، فلما فرغ قفل راجعا إلى المدينة، وكان مدة غيبته من حين خرج من المدينة إلى مكة فافتحها، وغزى هوازن وحاصر الطائف، إلى أن رجع إلى المدينة، شهرين وستة عشر يوماً .

غزوة تبوك

(و) في العام (التاسع) غزى (تبوك) وتسمى العسرة، وبينها وبين مكة أربع عشرة مرحلة، وبينها وبين المدينة إحدى عشرة مرحلة .

وسألخصها من [شرح المناوي المذكور].

سبب تلك الغزوة: وذلك أنه كان سببها، أنه بلغه أن هرقل تجمعت معه الروم بالشام، وأجلبت معهم لخم وجذام وعسفان وغيرهم، من متنصرة العرب، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء، ولم يكن لذلك حقيقة .

وأمر أصحابه بالتأهب لغزوهم، ولا يريد إلا الشام، وكان ذلك في شدة من الحر، وكان قلّ ما يخرج إلى غزوة إلا وارى عنها، إلا هذه فإنه بينها للناس، لبعد الشقة، وكثرة العدو، ليتأهب الناس لذلك أهبته .

وقال بعض المنافقين لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكاً في الحق، فنزل: (وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) الآية .

ثم إنه ﷺ جدّ في سفره، وحرّض أهل الغنا على النفقة والحمل في سبيل الله، فحمل رجال من الأغنياء، فحمل أبو بكر نصف ماله، وأنفق عثمان نفقة عظيمة .

وخرج في رجب، سنة تسع، فعسكر يوم الخميس، على ثنية الوداع، ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً، وعشرة الآف فرس، وضرب عبد الله بن أُبَـيْ معه على حدة العسكر أسفل منه نحو رباب، وكانوا فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين .

تخلف المنافقين: فلما سار المصطفى ﷺ تخلف ابن أُبَـيْ فيمن تخلف، وقالوا: يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحر، والبلد البعيد؟! .

ثم سار، ودفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر، ورايته العظمى إلى الزبير، وخلف علياً على أهله، وأمره بالإقامة، ومضى على سفره .

فلما مرّ بالحِجْر، سحب ثوبه على وجهه، واستحث راحلته، ثم قال: لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم، إلا وأنتم باكون خوفاً من أن يصيبكم ما أصابهم .

وقال: لا تشربوا من ماء بئرهم، ولا تتوضؤوا منه، وما من عجين عجنتموه فأعلفوه للناضح، ولا تأكلوا منه .

من معجزاته ﷺ : فأصبح الناس لا ماء معهم، فعطشوا، فجعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا كراشها، ويشربون ماءها، فقال أبو بكر: قد عودك الله في الدعاء، فادع لنا، فرفع يديه نحو السماء، فلم يرجعهما، حتى أرسل الله سحابة، فأمطرت حتى ارتووا وحملوا، وجعل يتخلف عنه الرجل، فيقال تخلف فلان، فيقول: دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك، لقد أراحكم الله منه، ولما انتهى إلى تبوك كان فيها ماء قليل، فاغترف غرفة بيده، فمضمض بها فاه، ثم بصقه فيها، ففارت حتى امتلأت، فهي كذلك حتى الساعة .

من نتائج هذه الغزوة: ثم أتاه بها بجيلة بن ورقاء، صاحب أيلة، فصالحه وأعطى الجزية، وأتاه أهل حرب وأدرج، فأعطوها، وكتب لهم كتاباً بالأمان .

بعث خالد إلى أكيدر دومة : ثم بعث خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دومة، وهو رجل من كِنْدة ،كان ملكاً عليها، وكان نصرانياً، فقال لخالد: تجده يصيد البقر، فخرج حتى إذا كان من حصنه بنظر العين، في ليلة مقمرة، وهو على سطحه معه امرأته، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت امرأته: ما رأيت مثل هذا قط، قال: فمن يترك هذا؟، فأمر بفرسه، فأسرج فركب، وخرج معه نفر من أهل بيته معهم

أخوه حسان، وخرجوا بمطاردهم، فلقيهم خيل المصطفى ﷺ فأخذوه وقتلوا أخاه، وكان عليه قباء ديباج، مخوص بذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى المصطفى ﷺ ، فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه، فقال: أتعجبون منه، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن منه وألين .

ثم قدم خالد على المصطفى ﷺ بتبوك بأكيدر، فحقن دمه وصالحه على الجزية ، ورجع إلى قومه، فأقام المصطفى ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة .

الرجوع من تلك الغزوة: ثم شاور أصحابه في التقدم إلى الشام، فقال عمر: إن كنت أُمِرْتَ السير فسر، فقال: لو أمرت به لم أستشر، فقال، إن للروم جموعاً كثيرة، وليس بها أحد من أهل الإسلام، وقد دنونا منهم، فلو رجعنا هذه السنة، حتى يحدث الله لك أمراً، فلم يتجاوز تبوك ورجع في المدينة .

حجة أبي بكر الصديق بالمسلمين

(و) فيه كانت (حجة) أبي بكر (الصدّيق) رضي الله عنه ، بالناس، وذلك أنه خرج من المدينة، في ثلاثمائة رجل، وساق أبو بكر خمس بدنات، وبعث المصطفى ﷺ معه عشرين بدنة، قلدها وأشعرها بيده، وعليها ناجية بن جندب، وعهد النبي ﷺ إلى أبي بكر أن يخالف المشركين، فيقف بعرفة، وكانوا يقفون بجمع، ولا يدفع من عرفة حتى تغيب الشمس، ويدفع من جمع قبل طلوع الشمس، ذكره الحاكم .

علي يبعث ببراءة: وأرسل ﷺ علي بن أبي طالب على أثره، فوجد أبا بكر نازلاً بالعرج، بفتح المهملة، وسكون الراء وجيم .

وذلك إن أبا بكر سمع في السحر رغا ناقة المصطفى ﷺ ، فقال: هذه القصواء، وإذا عليها عليّ، فقال له الصديق: أستعملك المصطفى على الحج؟، فقال: لا، لكن بعثني اقرأ على الناس، سورة [براءة، وأنبذ على كل ذي عهد عهده، ومبطلاً كل عقد سلف، وأنادي في الموسم أن لا يحج مشرك بالله، أي كافر بعد هذا العام، ولا يطوف بالبيت عريان، فلم يحج في العام بعد الذي حج فيه حجة الوداع، وأنزل الله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ .

عام الوفود

(ويسمى) هذا العام التاسع (عام الوفود) لكثرة القادم فيه على رسول الله ﷺ من جميع الأقطار، فإنهم كانوا منتظرين ما يقع له مع قومه، فلما حصل الفتح دخل الناس في دين الله أفواجاً .

حجة رسول الله ﷺ وأعماله فيها

(و) في العام (العاشر) حج ﷺ (حجة الوداع) وفي البخار: حجّ المصطفى ﷺ بعدما هاجر حجة واحدة، وتسمى حجة الوداع، وسألخصها من [شرح المناوي] المذكور .

وذلك أنه لما عزم المصطفى ﷺ على الحج، أعلم أصحابه فاستعدوا بأجمعهم، ووصل الخبر إلى ما حول المدينة من القرى، فتجهز بالمسلمين، وخرج وتلاحق الناس من كل جهة، حتى جاوزوا الحصر، وسافر يوم الخميس أو السبت، رابع عشر ذي القعدة بعد الظهر .

وخطب قبل ذلك، وعلّم الناس شرائط الحج وأركانه وآدابه، وسار حتى نزل بذي الحليفة وبات بها .

واستصحب معه أمهات المؤمنين، فطاف بهن في تلك الليلة، واغتسل لصلاة الصبح، ثم اغتسل بعد الظهر بخطمي وأشنان .

وقدّمت إليه عائشة طيباً فيه مسك، فطيّب به بدنه، ورأسه ولحيته قبل الإحرام، ثم نشر رداءه، أي إحرامه، وصلّى الظهر، وأحرم بالمكان الذي صلّى فيه.

ثم قلّد البدن بتعليق، وشق سنامها من الجانب الأيمن، ومسح بالدم، واختلف هل أحرم قارناً، أو متمتعاً أو مفرداً على أقوال معروفة .

وأجمعوا بأن إحرامه كان بالحج، ثم أدخل العمرة في الحج، فصار قارناً كما مرّ .

ولما صلّى الظهر، أحرم ولبّى، ثم ركب ناقته، فلما انبعثت به لبّى أيضاً، ثم لما صعد على طريق البيداء ولبّى، وكان حيناً يقول: لبيك بحجة وعمرة، وحيناً يقول: لبيك بحجة، وكان يرفع صوته بالتلبية، تعليماً للناس، ويقول: لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك .

وكان راكباً على بعير، عليه رحل، وجمع شعور رأسه، ولبده بخطمي .

ولما بلغ عسفان، قال: لقد مرّ به هود وصالح، عليهما السلام، على جملين أحمرين، خطامهما من ليف، وعليهما إزار من صوف ،يلبيان بالحج .

ولما بلغ سرف، حاضت عائشة، فبكت، فقال: لم تبكين؟، لعلك حضت، قالت: نعم، قال: لا تهتمي، هذا شيء كتبه الله على بنات آدم، وليس في حجك نقص، اعملي كما يعمل الحاج، لكن لا تطوفي بالبيت .

ولما وصل سرف، قال: من لم يسق الهدي، وأراد أن يجعل نسكه عمرة فليفعل، ومن ساق الهدي فليمض على نسكه .

ولما وصل إلى ذي طوى، بات بها ليلة الأحد، خامس الحجة، وصلّى بها الصبح، واغتسل، ودخل مكة بعد الشمس بهنيهة، من طريق الحجون، فلما وصل باب بني

شيبة، وشاهد الكعبة، دعا، وقال: اللّهم زد بيتك هذا تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً، وزد من حجه واعتمره تكريماً .

الدخول إلى المسجد وما فعله ﷺ : ولما دخل المسجد قصد الكعبة، ولم يصل تحية المسجد .

ولما حاذى الحجر استلمه، ولم يرفع يديه، ولم يكبر .

ثم أخذ في الطواف، وجعل الكعبة عن يساره، وقال بين الركن اليماني والحجر الأسود: (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ...) إلخ ، ورمل ثلاثة أشواط، وسار في البقية .

وكلما حاذى الحجر أشار إليه بمحجن، ثم قبّل رأس المحجن، وإذا حاذى الركن اليماني أشار إليه بالاستلام .

وقبّل الحجر، ووضع وجهه عليه، وقال حال استلامه: باسم الله، والله أكبر، وكلما حاذى الحجر، قال: الله أكبر .

ولما فرغ من الطواف، قام خلف المقام، وتلى قوله: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) .

ثم صلّى ركعتي الطواف، ثم توجه إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم خرج من أوسط ابواب الصفا، وقصد الصعود عليها، وتلى قوله تعالى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ الله).

ثم قال: ابدأ بما بدأ الله به، ثم صعدها قدر ما يمكن معه، من مشاهدة البيت، ثم استقبلها وكبّر، وقال الذكر المشهور، ثم هبط، وكان يسعى ماشياً، يسير من الصفا إلى المروة وعكسه .

فلما اشتد الزحام، ركب ناقته وتمم سعيه راكباً .

وأما طواف الوداع فمشى فيه، وكان يختم السعي بالمروة، وكلما وصلها قرأ الأذكار والدعوات .

ولما أتم السعي قال لأصحابه: من لم يسق الهدي فليجعلها عمرة، ويتحلل، ثم أقاموا على ذلك إلى يوم التروية .

التوجه إلى منى: ولما مضى أربعة أيام، الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، وتضحى النهار من يوم الخميس، توجه بالناس إلى مِنى، ولما وصل إلى منى نزلها، وصلّى الظهر والعصر، وبات بها ليلة الجمعة .

المسير إلى عرفة: ولما ارتفعت الشمس، سار على طريق ضب إلى عرفة، وكان بعض أصحابه يكبر، وبعضهم يلبي، ولم ينكر على أحد .

ولما بلغ نَمِرة وجد قبته قد ضربت هناك، فنزل وأقام حتى زالت الشمس، ثم ركب ناقته، وخطب خطبة بيّن فيها قواعد الإسلام، وأقلع أساس الشرك والجاهلية، وذكر ما كان محرماً في جميع الملل، وجعل كل رباً كان في الجاهلية تحت قدمه، ووصى أمته بملاطفة النساء، وأمرهم بالتمسك بالقرآن، وأخبرهم أنهم لن يضلوا ما داموا متمسكين به، ثم سألهم ماذا تشهدون، قالوا: نشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، فرفع أصبعه نحو السماء، وقال: اللّهم أشهد- ثلاثاً- ثم قال: ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

وأمر بلالا أن يؤذن، فأذّن وأقام، ثم صلّى الظهر والعصر جمعاً وقصراً، وصلّى معه أهل مكة كما صلّى .

ثم سار إلى عرفة، ولما قرب من الصخرات الكبار، استقبل القبلة ووقف على راحلته، وأخذ في الدعاء حتى غربت الشمس، ثم سار وقال: عرفة كلها موقف،

وكان في حال الدعاء، رافعاً يديه على صدره، كالسائل المسكين، وكان أكثر دعائه يومئذ: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير .

ونزل في عرفة: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) الآية.

الإفاضة من عرفة: ولما أفاض بعد الغروب، كان أسامة رديفه، يقول: أيها الناس ابتدءوا مهلاً مهلاً، ليس الخير في السبق، ولا التقوى في العجلة، ورجع في طريق المأزمين .

الذهاب إلى المزدلفة: وسار حتى أتى المزدلفة، فصلى المغرب قبل أن تناخ الجمال، ولما حلوا رحالهم صلى العشاء، ولم يصل بينهما صلاة، ثم بات بمزدلفة إلى أن تنفس الصبح، ورخص لضعفاء قومه أن يتقدموا إلى منى قبل الفجر، ولا يرمون إلا بعد الطلوع، وأرسل جمعاً من النساء لرمي الجمار في الليل، لخوف الزحام .

ولما طلع الفجر صلّى الصبح لأول وقتها، ثم جاء إلى المشعر الحرام، فوقف به، واستقبل، ودعا إلى قرب طلوع الشمس .

الذهاب إلى منى ورمي الجمار: ثم دفع، وقد أردف الفضل بن العباس خلفه، بعد أن أمره بأن يلقط حصى الجمار، فالتقط سبعاً، وقال: أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين .

ولما بلغ بطن محسر، ساق راحلته، وأسرع الخروج إلى أن هبط في الوادي، الذي تجاه جمرة العقبة، فقام والكعبة عن يساره، ومنى عن يمينه، ورمى الجمار وهو راكب واحدة واحدة، يكبّر مع كل واحدة، وبعد الرمي قطع التلبية .

ثم رجع إلى منزله بقرب مسجد الخيف، وخطب خطبة بليغة، بلغ صوته إلى جميع أهل الخيام في خيامهم، وهذا من معجزاته ، وأعلم فيها بحرمة يوم النحر وفضله، وأمرهم بتعلم المناسك، وقال لعلي: لا أحجّ بعد عامي هذا، وأمر بالسمع والطاعة للأمراء الداعين إلى كتاب الله، وأنزل الأنصار والمهاجرين في منازلهم وقال: لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، ومن جنى جناية فعلى نفسه، وقال: ليبلغ الشاهد منكم الغائب .

نحر الهدى والحلق: ثم سار إلى المنحر، ونحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، وهن قيام معقولات، وهذا عدد سنين عمره، وأمر علياً بنحر تمام المائة، فنحر سبعاً وثلاثين، وأمره أن يتصدق بجلالها، وأن لا يعطي أجرة الجزار منها .

ثم أعلم أن منى كلها منحر، وطلب الحلاق وهو معمر بن عبد الله العدوي، فحلق رأسه، وأمره أن يبدا بالجانب الأيمن، فلما فرغ قسّم الشعر على من حضر في ذاك الجانب، ثم حلق الأيسر وأعطى جميعه لأبي طلحة، وقلّم أظفاره وقسّمها، وحلق أكثر أصحابه، وقصر بعضهم.

قال العلامة الدميري في [شرح المنهاج]، ناقلاً عن السهيلي: لم يقصر يومئذ، إلا رجلان: عثمان وأبو قتادة الأنصاري .

طواف الإفاضة (الركن): ثم سار إلى مكة، قبل الزوال، وطاف طواف الإفاضة.

ثم جاء إلى زمزم، فوجدهم ينزحون الماء، فقال: لو لا أخشى أن تُغلبوا لنزعت معكم، ثم شرب منها قائماً .

الجمرات الثلاث: ثم رجع من حينه إلى منى، وصلّى الظهر بها، وأقام في اليوم الثاني حتى زالت الشمس، فسار على قدميه قبل أداء الظهر، نحو الجمرة الأولى،

ورمى سبعاً يكبّر مع كل واحدة، ولما فرغ من الرمي تقدّم قليلاً، واستقبل ودعا قدر البقرة، ثم أتى الجمرة الوسطى، ورمى كالأولى، ودعا قدر ما دعا في الأولى، وسار نحو جمرة العقبة واستقبلها، وجعل الكعبة على يساره، ومنى عن يمينه، ورمى ورجع ولم يستقبل بالدعاء .

إقامته ﷺ بمنى : ولم يتعجل في النفر بل أقام ثلاثاً، وبعض الرابع، ثم سار إلى المحصَّب، فنزل به، فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ونام قليلاً من الليل، ثم ركب وسار إلى مكة، وطاف للوداع، ولم يرمل، ثم توجه إلى المدينة . انتهى.

افتقاد العالم نور النبوة

(و) العام (الحادي عشر) من تاريخ الهجرة، كان (وفاتـه) عـلى الأصـح ﷺ ، صلاة لا يحصرها قرطاس ولا مداد ولا قلم، (وشرّف) شأنه، (وكـرّم) وزاد تكـرار ذلك، وعظّم، آمين .



وفيه فصلان:

الفصل الأول

في أوصافه الخَلقية ﷺ

الفصل الثاني

في أوصافه الخُلقية ﷺ

الفصل الأول

في أوصافه الخَلقية ﷺ

وساق الكلام في الفصل الأول (في شؤونه) جمع شأن، (الخَلْقية) بفتح فسكون، أي صورته الظاهرة، (والخُلُقية) بضمتين، أي صورته الباطنة، وهي نفسه وأوصافها، ومعانيها التي تخصها، (ونعوته) أي أوصافه (الحسية) الظاهرة (والمعنوية) الباطنة .

أوصافه الظاهرة ﷺ : (أما الخَلقية) أي الظاهرة، وقدمها لأن ذلك أول ما يدرك من صفات الكمال، والظاهر عنوان الباطن كما قال الرجال .

فكان المصطفى (ﷺ) وشرّف وكرّم، وقد ذكر المؤلف صفاته على الوجه التام، جامعاً لها من كلام الواصفين، كعلي، وهند بن أبي هالة، وأم معبد وغيرهم، والأكثر من وصف هند بن أبي هالة فقال:

كان ﷺ (فخماً) بفاء مفتوحة ومعجمة ساكنة أو مكسورة، أي عظيماً في نفسه، وقيل المراد الجسم، وفخامة الوجه بلله وامتلاؤه بالمهابة والجمال، (مُفَخَّماً) بفاء وخاء معجمة، أي عظيماً في صدور الصدور، وعيون العيون، لا يستطيع مكابر أن لا يعظمه، وإن حرص على ترك تعظيمه.

(يتلألأ وجهه) أي يستنير ويشرق ويضيء، (كالقمر) أي مثل إشراقه واستنارته، (ليلة البدر) وهي ليلة رابعة عشرة، وسمي بدراً لأنه يسبق طلوعه مغيب الشمس.

(أطول من المربوع) عند إمعان النظر وتحقيق التأمل، (واقصر من المشذّب) اسم مفعول، هو البائن الطول في نحافة، كذا في [النهاية]، (عظيم الهامة) بالتخفيف، الرأس، وعظم الرأس ممدوح، لأنه أعون على الإدراكات، (رَجِل الشعر) بفتح الراء، وكسر الجيم وفتحها وسكونها وضمها قليلاً، أي كان بين

الجعودة والسبوطة، (إن انفرقت عقيقته) أي شعر رأسه الذي على ناصيته، والعقيقة كالحقيقة، وأصل العق الشق، (فَرَق) أي جعل شعر نصفين، نصفاً عن اليمين ونصفاً عن اليسار، وقيل بالمشط وقيل بذاته، (وإلا) بأن كان مختلطاً متلاصقاً لا يقبل الفرق بدون ترجل، (فلا) يفرق شعره بل يتركه على حاله، معقوصاً أي وفرة واحدة .

والحاصل أنه إذا كان زمن قبول الفرق فرقه، وإلا تركه غير مفروق، وهذا أولى من قول بعضهم، المعنى إذا انفرق بنفسه تركه مفروقاً، لأنه لا يوافقه قوله، وإلا فلا، إذ يصير معناه، وإلا فلا بتركه مفروقاً، وهو ركيك المعنى والقبول، وإلا فلا يفرق، وهذا بناء على جعل قوله والا فلا كلاما تاماً، والبعض جعل قوله فلا (يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفَّره) أي جعله وفرة، أي مجموعاً كاملاً واحداً. اوفره تارة بأنه لا يجاور شحمة أذنيه إذا عفاه من الفرق.

توفر الشعر وبذلك يحصل الجمع بين الروايات المختلفة، في كون شعره وفرة وكونه جمة، فيقال: ذلك باختلاف أزمنة عدم الفرق والفرق .

(أزهر اللون) أى نيره حسنه مشرقه، وهو المتوسط بين الحمرة والبياض، فالمراد أبيض مشرب بحمرة، (واسع الجبين) هو كما في [الصحاح] : فوق الصدغ، وهو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها، والمراد بسعتهما امتدادهما طولاً وعرضاً، وهو بمعنى صلت الجبين في رواية، (أزجّ الحواجب) بمعنى مقوس الحاجبين، مع وفور الشعر وطوله في طرفه وامتداده، والزج بزاي وجيم محركة، استقواس الحاجبين، مع طول كذا في [القاموس]، (سوابغ) بالسين والصاد والسين أعلى، جمع سابغة أي كاملات، (من غير قرن) مكملاً للوصف

المذكور، والقرن بالتحريك وهو اقترانهما، بحيث يلتقي طرفاهما، قال الزمخشري: والمراد أن حاجبيه سبغاً، حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا، (بينهما) أي الحاجبين، (عرق كاسح أجوف ،يكون فيه الدم، (يدره) أي يجعله، (الغضب) ممتلئاً، ويظهره الغضب بإثارة ما فيه من الدم، ويهيجه أي يقيمه .

(أقنى) بقاف فنون مخففة، من القنا، وهو ارتفاع أعلى الأنف، وأحْدِيداب وسطه، وهو بمعنى قول ابن الأثير، هو السائل الأنف المرتفع وسطه، (العرنين) بكسر المهملة وسكون الراء وكسر النون الأولى، ما صلب من عظم الأنف أو كله، أو ما تحت مجتمع الحاجبين، والجمع عرانين، وعرانين الناس أشرافهم، (له) الهاء للعرنين، واللام للاختصاص ،(نور) بنون مضمومة، الضوء أو شعاعه، (يعلوه) أي العرنين، (يحسبه) بكسر السين وفتحها، أي يظنه، (من لم يتأمله) يمعن النظر فيه والتأمل، إعادة النظر في شيء مرة بعد أخرى، حتى يعرفه ويحققه، (أشمّ) والشمم ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاه، وإشراق الأرنبة، يعني له نور يعلوه مستوياً، بحيث يرى أعلاه مستوياً قبل التأمل والتمييز .

(كث اللحية) بفتح الكاف، غليظها كذا في [الصحاح] و[القاموس] .

(أدعج) العينين، وهو بمهملتين وجيم، أي شديد سواد الحدقة مع سعة العين.

(سهل الخدين) غير مرتفع الوجنتين، وهو بمعنى خبر البزار والبيهقي: كان أسيل الخدين، قال المناوي: وذلك أعلى وأغلى وأحلى عند العرب .

(ضليع الفم) بضاد معجمة مفتوحة، عظيمه واسعه، والعرب تمدح سعته، وكان لسعته يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، وهو دليل على قوة الفصاحة، (أشنب أي لأسنانه غاية البريق واللمعان والبياض، بحيث إذا تكلم يخرج كالنور من بين

ثناياه، (مفلّج) بفاء وجيم، وفي [القاموس] مفلج الثنايا منفرجها، (الأسنان) أي الثنيتين، كما في خبر الحبر .

(دقيق) بالدال، (المَسْرُبة) بفتح الميم وسكون السين المهملة، وبضم الراء وفتحها، شعر ما بين الصدر والسرة، (كأن عنقه) بضم المهملة وبضم النون وسكونها، يذكر ويؤنث، (جِيد) بكسر فسكون، وهما بمعنى، وإنما عبر به تفنناً، وكراهة التكرار اللفظي، وقيل هو مقدمه، وقيل مقلده، (دُمْية) كعُجمة، بمهملة ومثناة تحتية، الصورة المنقوشة من نحو رخام أو عاج، والمراد مطلق الصورة التي بولغ في تحسينها، (في صفاء الفضة) أي لون عنقه أبيض كالفضة، فشبّه عنقه بالدمية في الاستواء والاعتدال، وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال، وبالفضة في اللون والإشراق والضياء والجمال .

(معتدل الخَلْق) بفتح أوله في جميع صفات ذاته، لأنه تعالى حماه خَلْقاً وخُلُقاً، وآمة أي قامة من الإفراط والتفريط، والمراد أنه معتدل الصورة الظاهرة، بمعنى أن أعضاءه الشريفة مناسبة غير متنافرة، وكل متناسب معتدل، (بادناً) ضخم البدن، لا مطلقاً، بل بالنسبة لما يأتي من كونه شثن الكفين والقدمين، وكما في بعض الأوصاف: جليل المشاش والكتد، والـمُشاش بضم فمعجمتين، رءوس المناكب، والكتد بمثناة فوقية، تفتح وتكسر، مجتمع الكتفين وهو الكاهل .

ولما كانت البدانة قد تكون من الأعضاء، وقد تكون من كثرة اللحم والسمن المفرط المستوجب لرخاوة البدن، وهو مذموم أردفه بما ينفي ذلك، فقال (متماسكاً) يمسك بعض أجزائه بعضاً، من غير ترجرج ولا استرخاء، فكان على الخَلق الأول، لم يضره السمن، فهو لما بلغ السن الذي شأنه استرخاء اللحم، كان كما كان شاباً،

(سَوَاء) بفتح السين والواو والألف الممدودة، (البطن والصدر) أي بطنه وصدره مستويان .

(مسيح الصدر) بفتح الميم وكسر السين المهملة، بعدها مثناة تحتية، فحاء مهملة، بمعنى أنه عريض، (بعيد) بفتح فكسر، (ما بين المنكبين) والمنكب مجمع العضد والكتف، وأراد لبُعد ما بينهما أنه عريض أعلى الظهر ويلزمه عرض الصدر.

(ضخم الكراديس) أي عظيم رءوس العظام وغليظها، قال في [الصحاح]: الضخم الغليظ من كل شيء، وفي [المصباح]: الفخم العظيم، (أنور المتجرد) بكسر الراء اسم فاعل، ويفتحتها وشدها، قيل وهو أشهر، أي مشرق العضو الذي يتجرد عن الشعر، فهو على غاية من الحسن ونضاحة اللون، (موصول ما بين اللبة) بالفتح والتشديد، النقرة التي فوق الصدر، أي موضع القلادة منه، (والسرة) بضم المهملة، ما بقي بعد القطع، (بشعر يجري) يمتد شبهه بجريان الماء، وهو امتداده في سيلانه، (كالخط) الطريقة المستطيلة في الشيء، وهو واحد الخطوط في التشبيه، (عاري الثديين) بفتح أوله، وهو أعلى الصدر، (مما سوى ذلك) أي ليس في ثديه شعر غيره .

(أشعر) أي كثير شعر (الذراعين والمنكبين وأعالي) جمع أعلى، (الصدر) أي كان على هذه الثلاثة شعر غزير، وهذا من تتمة الصفتين المارتين، والأشعر ضد الأجرد، (طويل الزندين) تثنية زند، قال الزمخشري: هو ما انحسر عنه اللحم من الذراع .

(رحب الراحة) أي واسع الكف حساً ومعنًى، والراحة بطن الكف، (شثن) بمعجمة مفتوحة ومثلثة ساكنة، (الكفين) يعنى يميلان إلى الغلظ من غير قصر، ولا خشونة، فالمراد غلظ العضو في الخَلق، لا خشونة الجلد، (والقدمين) تثنية قدم

كذلك، (سابل الأطراف) بسين مهملة ولام، ممتد الأصابع طويلهما طولاً معتدلاً، بين الإفراط والتفريط من غير تكسر جلد، ولا تشميخ، بل كانت مستوية مستقيمة .

(سبط العصب) ، قال ابن الأثير في وصفه ﷺ سبط العصب: والسبط بسكون الباء وكسرها، الممتد الذي ليس فيه تعقد ولا نتوء، والعصب يريد بها ساعديه وساقيه، وكذا قال التسمني في [حاشيته على الشفا].

(خمصان الأخمصين) بفتح الخاء، قال السيوطي: وبالضم والتحريك أيضاً، قال الصنعاني، قال الزمخشري: يريد أنهما مرتفعان من الأرض، ليس بالأرح الذي يمساه أخمصاه. انتهى .

وأخمص القدم هو الموضع الذي لا يمس الأرض عند الوطء من وسط القدم، سمي أخمصاً لضموره، والخمصان المبالغ فيه أي أن ذلك المحل من بطن قدميه، شديد التجافي عن الأرض، كذا في [النهاية] .

وقال ابن العربي: إذا كان معتدل الخمص لا مرتفعه جداً، ولا منخفضه كذلك، فهو أحسن .

(مسيح القدمين) أي أملسهما مستويهما لينهما، بلا تكسر ولا تشقق جلد، فمن ثم كان (ينبو) يقال نبا تجافى وارتفع (عنهما الماء)، أي إذا صب عليهما الماء مرّ سريعاً لملاستهما ولينهما .

(إذا زال) أي ذهب وفارق، (زال تقلعاً) أي إذا مشى رفع رجليه رفعاً بقوة، كأنه أقلع عن أرض ولا يجرهما، (ويخطو) أي يمشي (تكفأ) جملة مؤكدة، معنى قوله زال تقلعاً، وهو بمعنى التكفو، (ويمشي) حيث عبر عن المشي بعبارتين فراراً من كراهة لفظه، (هوناً) بالنون كضرباً، نعت لمصدر محذوف أي مشياً هوناً، (ذريع)

قال في [المصباح]: الذريع السريع وزناً ومعنىً، (المشية) بالكسر، أي مع كون مشيه بسكينة، كان يمد خطوه حتى كأن الأرض تطوى له، (إذا مشى) ظرف لقوله ذريع المشية، أو لقوله (كأنما ينحط من صبب) أي محل منحدر، بيان لقوله ذريع المشية .

(وإذا التفت التفت) عطف على الشرطية الأولى، أعني إذا زال زال تقلعاً، (جميعاً) أي لا بسارق النظر، ولا يلوي عنقه يمينه ولا يساره .

(خافض) من الخفض ضد الرفع، (الطرف) أي العين، قال في [الكشاف]: الطرف تحريك أجفانك إذا نظرت ،فوضع موضع النظر، والمراد إذا نظر إلى شيء خفض بصره، ولا ينظر إلى الأطراف والجوانب بغيز سبب .

(نظره إلى الأرض أطول) أي أكثر (من نظره إلى السماء) أي نظره الأرض حال السكوت وعدم التحدث، أطول من نظره إلى السماء والنظر، كما في [الصحاح]: بفتحتين، تأمل الشيء بالعين .

(جُلَّ نظره) بضم الجيم، أي معظمه وأكثره (الملاحظة) وهي النظر بلحاظ العين، بالفتح أي مؤخره، والمراد أن أكثر نظره في غير أوان الخطاب الملاحظة .

(يسوق أصحابه) أي يقدمهم بين يديه، ويمشي خلفهم كأنه يسوقهم، لأن الملائكة كانت تمشي خلف ظهره، فكان يقول لصحبه: اتركوا خلف ظهري لهم، (ويبدأ) من البدء بمعنى الابتداء، (من لقيه) حتى الصبيان، (بالسلام) أي التسليم، وهذا من وصف هند بن أبي هالة .

(وكان له عكن ثلاث، يغطي الإزار واحدة منها عبل ما تحت الرجلين الإزار بادناً) وقد تقد الكلام عليه، (في آخر عمره) ﷺ (لم يضره السن) أي الكبر، (يكاد يكون على الخَلق الأول) من تماسك بدنه، وقد قدمنا الكلام على هذا المعنى .

(وكانت) ﷺ (أصابعه) جمع أصبع (كأنها قضبان) جمع قضيب، وهي العود أو الغصن، (فضة) أي كقضبان الفضة في البريق واللمعان، ويفوق ذلك في الحسن والاعتدال .

(وكفه ألين من الخز) والكف الراحة، وقد ورد في الصحيح: أن كفه كان ألين من الحرير والديباج، وهذا لا ينافي وصفه بالشثن، بل يكون جمع مع الغلظ والقوة لين الجلد، (كأنه كف عطّار) وشبه به لكثرة ملامسته للطيب، (يضع يده) الشريفة (على رأس الصبي فيعرف) ذلك الصبي (من بين الصبيان بريحها) وطيبها .

وعرقه) بالتحريك، رشح بدنه الشريف، (كاللؤلؤ) بهمزتين وتركهما، وهمز الأول دون الثانية وعكسه، وقد جاء في عدة أحاديث: أن عرقه كان كاللؤلؤ، وفسّره المؤلف بقوله: (في البياض) أي في بياضه وصفائه، (و) كان العرق (كالمسك في الرائحة)، روى الطبراني والبيهقي عن وائل ابن حُجر، قال: كنت أصافح المصطفى ﷺ أو يمس جلدي جلده، فأتعرفه بعدُ في يدي، وإنه لأطيب رائحة من المسك.

(يقول ناعته) أي واصفه بالجميل، وذلك أن من أراد أن يصفه وصفاً تاماً بالغاً، فيعجز عن وصف،ه فيقول: (لم أر) وهي بصرية، (قبله ولا بعده مثله) من يساويه صورة وسيرة وخَلقاً وخُلقاً، وهذا من كلام عليّ في وصفه ﷺ .

(وبين كتفيه) تثنية كتف، (خاتم) بفتح التاء وكسرها، وأصله ما يختم به، وإضافته إلى (النبوة) لكونه علامتها، وآية تمامها، إذ الشيء يختم بعد تمامه، (مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء)، وتلك الشامة (تضرب إلى صفرة وحولها شعرات) جمع شعرة، (متواليات) متتابعات، (كأنها عرف فرس) هذا ما ذكره المؤلف، وهو ما عليه البعض .

وقد تكلم في ذلك الإمام المناوي في [شرحه على الشمائل]، وقد كثر الكلام في صفتها ولونها وكبرها وصغرها، ولعله كان يتفاوت في ذلك باختلاف الأوقات. انتهى .

الفصل الثاني

في أوصافه الخُلقية ﷺ

(فصل وأما) أوصافه ﷺ (الخُلُقية) بضمتين أو ضم فسكون، وهي صورته الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها الخاصة .

خلقه ﷺ القرآن الكريم: (فكان ﷺ) وشرّف وكرّم (متخلقاً) ومتصفاً (بأخلاق الرحمن) وكيف وهو الحاث على التخلق بها لذوي الإيمان، وقد وصفه الله بها في القرآن فقال: (رءوف رحيم)، فتأمل بالبيان، أما تنظر: إذ كان خلقه القرآن.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن، كما في مسلم عنها، أي: ما دلّ عليه القرآن، فهو إذا (قد حوى الكمالات الباطنة والظاهرة)، فكان يرضى في محل الرضا، ويغضب في محل الغضب، لأسرار فاخرة، وكمالات خلقه لا تحصر جزئياتها، ولا تنال بكد، وهي سجية فيه، له الله أعطى، فما أسناها وأنجدها، فلما كانت لها كمال الشرف نال بها أقصى المنح الزاهرة، (وبها ساد أهل الدنيا والآخرة) فهو سيد أهل الدارين، كيف وآدم فمن دونه يحشرون تحت لوائه بلا مين .

وإنك لعلى خلق عظيم: (وكان أكرم على الله من كل كريم) وأحبّ لديه من كل محبوب فخيم، (ولذا قال) الله (تعالى) فيه: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)، ثم زاد في المدح بإتيانه ب [على] المشعرة بأنه استعلى على محاسن الأخلاق، واستولى عليها فلم يصل إليها غيره، ووصف بالعِظم دون الكرم، الغالب في وصفه به، لأنه كرمه يراد به السماحة واللين، وخلقه غير مقصور عليه، بل كما كان عنده غاية الرحمة للمؤمنين، فعنده غاية الغلظة على غيرهم، وفيه الإنعام والانتقام .

ولم يكن همه سوى الله، فعاشر الخلق بخُلقه، وباينهم بقلبه، فكل خُلقٍ حميد مندرج تحت خُلقه .

فمن مكارم أخلاقه ﷺ : (فمن مكارم أخلاقه) التي وسعت العالمين، (ومحاسن آدابه) التي أدبّه ربه المتين، كما في الحديث: أدبني ربي فأحسن تأديبي، (وأعراقه أصوله الفخام أهل الكرم والاحترام، (أنه كان) ﷺ (أحلم الخلق) وأشفقهم وأراف بهم من أنفسهم، ومن الوالدة بولدها ، (وأشجعهم) أي أقواهم قلباً، وأكثرهم حركة لملاقات العدو .

روى الإمام أحمد، عن علي، قد قال: لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ بالمصطفى ﷺ وهو أقربنا إلى العدو.

وفي الصحيحين، عن أنس، رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس ، وأشجع الناس .

(وأعدلهم) وفي الصحيح: ويحك فمن يعدل؟، إن لم أعدل، خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل .

(وأصدقهم لهجة) بسكون الهاء وجيم متحرك، أي لساناً، يعني كلاماً، والمعنى كلامه أصدق كلام، لا مجال لجريان صورة الكذب عليه.

(وألينهم عريكة) أي: أحسنهم معاشرة، وألين أفعل، من اللين، ضد الصلابة، والعريكة الطبيعة، ومعنى لينها انقيادها للخلق في الحق، وكان في غاية التواضع، وقلة الخلاف والنفور .

روى أبو نعيم: كان رسول الله ﷺ أشد الناس لطفاُ، والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا أمة، أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه، وما سأله سائل إلا أصغى إليه، فلم يتصرف يكون هو المنصرف عنه، وما تناول أحد يده إلا ناوله إياها، فلا ينزعها حتى يكون هو الذي ينزعها منه .

(وأكرمهم عشرة) أي معاشرة .

وعن أبو نعيم، عن أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما سبني قط، ولا ضربني ضربة، ولا انتهرني، ولا عبس في وجهي، ولا أمرني بأمر فتوانيت عنه، فعاتبني عليه، وإن عاتبني أحد، قال: دعه، فلو قُدّر شيء كان .

(وأعظمهم حياء) أي أشدهم حياءً، وفي لفظ حديث الشيخين وغيرهما: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها .

(وأسكنهم في غير كبر) أي كثير السكوت، لكن لا بكبر، بل تركاً لما لا فائدة فيه من الكلام، واشتغالاً بمراقبة الملك العلّام، (وأفصحهم) كلاماً، (وأبلغهم مقالاَ، (في غير تطويل) ولا تعجيل، بل ترتيل كما سيوضحه بعد هذا، (وأعفهم) وهو من العفة، وهو الكف عن الحرام والتزاهة عما لا يليق .

وفي الحديث: ما مست يده يد امرأة قط لا يملك رقها، ومبايعته للنساء كانت بالكلام، أخرج الترمذي وابن ماجه والنسائي: أن أميمة بنت رقيقة، أتته في نسوة يبايعنه، قال: إني لا أصافح النساء، وإنما قولي لمائة امرأة كقولي أو مثل قولي لامرأة واحدة .

(وأجودهم) وأكرمهم وأكثرهم عطاء، وتقدم كلام عائشة، وقد أعطى رجلاَ واحداً ملء ما بين جبلين غنماً، كما في البخاري، وغير ذلك مما لا يحصر، (لا يبيت عنده) ﷺ (دينار ولا درهم) وفي الصحيح، عن عقبة: صلّى المصطفى ﷺ ذات يوم العصر، فلما سلّم أسرع إلى البيت، فأخذ الناس في ذلك، فلما أتى، قال: إني تذكرت وأنا في الصلاة تبراً عندي، فكرهت أن أمسي وعندي منه شيء، وكم مثل ذلك، (وما سئل قط) حاجة يقدر عليها من الخير، (فقال لا)، وفي حديث الترمذي:

فمن سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، يقبل الهدية) من الخلق، (ولو كانت الهدية (جرعة لبن و) كذا لو كان (فخذ أرنب) يقبله أيضاً، (ويكافئ) أي يجازي (بأكثر منها)، وفي المناوي وغيره، عن عائشة: يقبل الهدية ويثيب عليها، (ويأكلها) أي الهدية، (ولا يأكل الصدقة) كما مرّ في قصة سلمان، وكذا في الخصائص كما سيأتي، (يعظم) أي يبجل (النعمة) الظاهرة والباطنة، (وإن دَقّت) صغرت وقلَّت، ويقول: اشكروا آلاء نعم الله، فقلما زالت عن قوم فعادت إليهم .

(لا يذم شيئاً) من النعمة (لم يذم ذواقاً) أي مذوقاً، لأن ذمه شأن المتكبرين، (ولا يمدحه) لأن مدحه شأن المكثرين، وذوي الشرهة والنهمة والحرص، روى الشيخان عن أبي هريرة: ما عاب المصطفى ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه .

(وكان) ﷺ (أخوف الخلق لله تعالى) أي أشدهم خوفاً من الحق، خوف تعظيم وهيبة، لمعرفته بكماله سبحانه وتعالى، (متواصل الأحزان) أي لا ينفك حزنه عن حزن يعقبه، لعلمه أنه سبحانه وتعالى لا يحب الفرحين، والحزن وصية الأنبياء قديماً وصفتهم، إذ هو حالة خوف، وهو على قدر المعرفة، قال بعض العارفين:

على قدر علم المرء يعظم خوفه   فلا عالم إلا من الله خائف

وتواصل أحزانه لمزيد تفكره، واستغراقه في شهود جلال الذات الأحدية، (دائم الفِكرة) بالكسر، تردد القلب بالنظر والتدبر، لطلب المعاني، وكيف لا يدوم فكره وقد جعل متكلفاً بأمور خلائق لا يحصيها إلا الخالق .

(ليست له راحة) وكيف يستريح، والراحة فرع فراغ الخواطر، وله الفكر المتواتر، والصلاة والجهاد والتعليم والاعتبار، والاهتمام بإظهار الإسلام، والذّب عن أهله، وحماية بيضته، (كثير البكاء) من خشيته لربه وشوقه إلى كمال الجمع .

وفي [الشمائل] : عن مُطَرّف، قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كازيز المرجل من البكاء، والمرجل القِدْر، (و) كثير (الضراعة) للحقِّ جلَّ وعلا، (و لا يتكلم في غير حاجة) لنفسه أو للناس، كيف وهو القائل: من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وقد عصمه الله أن ينطق بالهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

(طويل السكوت) أي الصمت، لأن طول الفكر يستلزم طول الصم،ت لمنافاة الفكر للنطق، فطول السكوت من لوازم دوام الفكر.

(يفتتح الكلام) من الافتتاح، (ويختتمه) من الختم، (بأشداقه) والمراد بالجمع ما فوق الواحد، جمع شدق بكسر أوله، وهو طرف الفم، أي أنه يستعمل جميع فمه للتكلم، ولا يقبض على تحريك شفتيه كفعل المتكبرين .

(ويتكلم بجوامع الكلم) أي بكلمات قليلة الحروف، جامعة لمعان كثيرة، وهذا تسميه علماء المعاني مقام الإيجاز والإطناب، (فصلاً) أي كلامه فصلاً، أي فاصلاً بين الحق والباطل، (لا فضول فيه) أي لا زيادة، وفضول الكلام ما زاد على المعنى المراد من الفحوى، (ولا تقصير) أي خلل ونقص عن أداء المراد، يعني ليس بمكثر ولا مقصر، أي لا يكثر فيعي، ولا يقصر فيخل .

وفي [الشمائل]، عن الحسن بن علي، رضي الله عنه ، سألت خالي هند بن أبي هالة، وكان وصّافاً، قلت: صف لي منطق رسول الله ﷺ، ثم قال: كان رسول الله ﷺ متواصل

الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحة، طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي ولا بالمهين، يُعظم النعمة وإن دقّت، لا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه .

ولا تغضبه الدنيا، ولا ما كان لها، فإذا تُعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، و يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، وضرب براحته اليمنى بطن إبهام اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، جُل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حَبِّ الغمام .

(و) كان (يعيد الكلمة ثلاثاً) أحياناً، أي يكررها ثلاث مرات، في بعض الأوقات، (لتعقل عنه) لكمال هدايته، ولشفقته على أمته والتعقل التدبر .

وفي [الشمائل] عن أنس، كان رسول الله ﷺ : يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه.

(يغضب لربه) أي لغضب ربه بانتهاك الحرمة، (ولا) يغضب (لنفسه) لكمال حسن خُلقه، ولا يقتص لها بل يعفو عن المعتدي عليه، وذلك أنه لم يبق فيه حظ من حظوظها وشهواتها وإراداتها، وإنما تمحضت حظوظه وأغراضه وإراداته لله سبحانه وتعالى، فهو قائم بأمر ربه معرض عن الجاهلين.

روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها : ما رأيت المصطفى ﷺ منتصراً من مَظْلَمة ظُلمها فقط ما لم يُنْتَهَك من محارم الله شيء، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان من أشدهم في ذلك غضباً.

(ينفذ الحق) من أوامر مولاه، (وإن عاد بالضرر عليه) لأن مراضيه في رضاء الله.

(وإذا أهمه أمر أكثر) ﷺ (من مسّ لحيته) الشريفة، فيعرف بذلك كونه مهموماً .

وأخرج أبو نعيم، عن عائشة كان إذا أهتم أكثر من مس لحيته .

أن (من رآه بديهة) يعنى فجأة من غير مخالطة، ومعرفة أخلاقه وقبل النظر في أخلاقه العلية، وأحواله السنية، (هابه) أي عظمه وخافه، (ومن خالطه) وعاشره (بمعرفة) أي لأجل المعرفة (أحبه) لما يشاهده من محاسن أخلاقه، ومزيد شفقته وتواضعه، وباهر عظيم تألفه، وهذا مأخوذ من حديث الترمذي في [الشمائل] عن علي إذ فيه: من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

(لطيف الظاهر والباطن) يلاقي بالبشر كل من رآه ، احتوى على مكارم الأخلاق، وانطوى ظاهره وباطنه على كمال الإشراق بصفات الخلّاق، فيا عظيم شأن الرسول المصداق، (يعرف في وجهه غضبه ورضاه).

روى أبو الشيخ في كتاب [أخلاق المصطفى ﷺ] ، عن ابن عمر: كان المصطفى يعرف رضاه وغضبه في وجهه .

(وكان) ﷺ (أجلهم) أي أكثرهم (تواضعاً) كيف وقد خيّر أن يكون نبياً ملكاً، أو نبيا عبداً، فاختار الثاني، وقال لأصحابه: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ، إنما أنا عبد الله، (لا يدعوه) ﷺ (أحد إلا قال له: لبيك) وأي تواضع أعظم من هذا، والقصد الإجابة له سواء دعاه إلى ضيافة أو حاجة .

وفي [البخاري] وغيره: لو دعيت إلى كراع لأجبت .

وقد روى الترمذي وغيره، عن أنس: أنه كان يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، (ويجلس للأكل) في الطعام (مع العبيد ويقول: آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، وفي [طبقات ابن سعد]: كان له عبيد وإماء، فلا يترفع عليهم في مأكل إلا في ملبس .

وفي [شمائل الضحاك]، عن أبي سعيد الخدري أنه ﷺ : كان يأكل مع خادمه، (ويجالس الفقير) والمسكين (ويواكله) .

وفي الصحيحين، من حديث أبي هريرة: أنه كان يواكل المسكين، (ويمشي مع المسكين والأرملة) إذا أتياه (لقضاء حوائجهما).

أخرج النسائي، من حديث ابن أبي أوفى قال: كان لا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي حاجته .

(من جالسه) أي جلس معه، (أو قاومه) أي وقف معه (لحاجة) عنده (صابره) غلبه في الصبر على المجالسة والقيام، لا يقطع كلامه ولا يظهر الملل والسآمة، بل يستمر معه، (يكون) الذي جالسه أو قاومه (هو المنصرف عنه) ﷺ (وإن أخذ أحد بيده) ﷺ (فيرسلها) أي يدعها (حتى يرسلها الآخذ) أي حتى يتركها الآخر.

و(من سأله) ﷺ أي إنسان كان (حاجة) أي حاجة كانت (لم يرده) من سؤاله (إلا بها) أي إن تيسر عنده، (أو) رده (بميسور من القول) إن لم تتيسر لفقد مانع يقتضيه .

(قد وَسِع) بالكسر، يقال: وسعت الشيء إليك أسعه فهو واسع، (الناس) أجمعين حتى المنافقين، (بسطه) أي بشّره وطلاقة وجهه، (وخلقه) وإمداداته الباطنة

والظاهرة، حتى رضي كل منهم بخلقه، لعلمهم بأنه لا يجاوز الحد، (فصار لهم) أي للناس (أباً) في الشفقة والرحمة، وأعظم من الأب، إذ غاية الأب أن يسعى في إصلاح الظاهر، وهو يسعى في صلاح الظاهر والباطن .

(وصاروا عنده) ﷺ (في الحق سواء) لسلامته من الأغراض النفسانية الحاملة للإنسان على إتباع هواه، البعيد عنه من الخلق، والقريب عنده سواء، فيواصل كل إنسان منهم بما يستحقه، ولا يطمع أحد منهم أن يتميز على أحد عنده لكمال عدله .

(وإذا انتهى إلى القوم) أي الصحب، (جلس حيث ينتهي به المجلس) أي يجلس في أي مكان يلقاه خالياً، ولا يترفع على أصحابه لمزيد تواضعه ومكارم أخلاقه، حتى لم يتكلف خطوة زائدة على الحاجة، لحظ نفسه حتى يجلس صدر المجلس، (ويأمر بذلك) أي بالجلوس حيث انتهى به المجلس، إعراضاً عن الرعونة أي تكبر النفس وأغراضها الفاسدة، المعلمة لمزيد التكبر والترفع .

وعن البيهقي وغيره: إذا انتهى أحدكم إلى المجلس، فإن وسع له فليجلس، وإلا فلينظر إلى أوسع مكان يراه، فيجلس فيه، (ويعطى كلا من جلسائه) أي يعطي كل واحد من جلسائه، (نصيبه) أي شيء، كان بقدر نصيبه وحظه من البِشْر والكرامة اللائقين، (حتى لا يحسب جليسه) وأحد جلسات، (أن احداً) من أمثاله وأقرانه، (أكرم عليه منه) دفعاً للتحاسد والتباغض والتقاطع، المنهى عنه في غير ما حديث، فلكمال خلقه وحسن معاشرته، ظنّ كل من جلسائه - لما تبين له من عظيم بشره وتقريبه - أنه أقرب الناس إليه، وهذا هو الكمال الأعظم .

(مجلسه) ﷺ (مجلس حلم) بكسر الحاء وسكون اللام، (وحياء) عظيم، يعني أنه كان مشغولاً في مجلسه، لتكميل القوة النظرية والعلمية، كما قال سبحانه وتعالى: (وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) .

وأما الحياء فقد كانوا يجلسون معه على غاية من الأدب، كأنما على رءوسهم الطير، (وصبر) منه على جفائهم، (وأمانة) منهم على ما يقع فيه.

فالمراد أنه مجلس أعماله هذه الأمور أو مجلس اكتسابها، لأن مجلسه مجلس تذكير بالله، وترغيب فيما عنده وترهيب من سطوة انتقامه، (لا تُرفَع) بالبناء للمفعول، (فيه) أي في المجلس، (الأصوات) لأن من أحظاه الله بهذه الأثرة، وخصه بذلك الاختصاص الأقوى، كان أدنى ما يجب له من التأدب والإجلال، أن تخفض بين يديه الأصوات، ويخافت لديه بالكلام، وقيل المعنى لا خصومة فيه ولا جدال .

(ولا تُؤْبَن) بضم المثناة الفوقية، فهمزة ساكنة، فموحدة مخففة مفتوحة، وتشدد أيضاً فنون، قال الزمخشري: من الأبن، وهو العقد في العقبان، لأنه يصيبها، فالمراد به العيب أي لا تعاب، (فيه الحرم) جمع حرمة، وهي الأهل وما يحميه الرجل ويصونه ويحفظه عن الضياع، يعني لا تقذف فيه ولا تعاب ولا تغتاب حرم الناس، بل مجلسه مصون عن رفث القول وقبحه، (ولا تنثين) بفوقية فنون فمثلثة، أي لا تشاع ولا تذاع، (فلتاته) أي زلاته وهفواته، واحدها فلتة وهي الهفوة، وكل ما يفعل من غير تدبر، إما عمداً أو غفلة، يعني إذا فرطت من بعض حاضريه سقطة، لم تنشر عنه، وجعل بعضهم المراد لا فلتات فيه، لأن مجلسه أعلى من أن يكون فيه فلتة، والفلتة بضم ويفتح، والفلتات تحرك وتسكن .

(يتعاطفون فيه) فيما بينهم، (بالتقوى) فأتقاهم أكثرهم تعظيماً وإكراماً، (متواضعين) له ﷺ ولبعضهم بعضاً، ولكل من آوى إلى ذلك المجلس، (يوقرون) أي يعظمون (فيه) أي في مجلسه (الكبير) بفتح الكاف، (ويرحمون فيه الصغير) فيما بينهم، ورد: ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ولا يوقر كبيرنا .

(ويرفدون) مع الشفقة، (ذا الحاجة) فتقضى له، (ويحفظون الغريب) أي يحفظونه حقه، ويرغبون وده وإكرامه، ويدفعون عنه كربة الغربة، ويحفظونه من المسائل التي يعتنون بحفظها وضبطها وإتقانها .

وهذا جله من وصف عليّ في [شمائل الترمذي] ، حين سأله الحسن عن مجلسه؟، فقال: كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره، حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حياء وعلم وأمانة وصبر، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثين فلتاته متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويرفدون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب .

(الذين يلونه من الناس) أي الذين يقربون منه في المجلس، لاكتساب الفوائد ونشرها وتعليمها، (خيارهم) لأنهم المستفيدون لكلامه، المبلغون لمن وراءهم، (وأفضلهم عنده) ﷺ (أعمهم نصيحة) وأكثرهم نفعاً وشفقة له، ولأمته في الدنيا والآخرة والدين، وأصل النصح لغة: الخلوص .

(وأعظمهم عنده) ﷺ (منزلة) ومكافأة (أحسنهم مواساة).

وفي [القاموس] هي بالهمز المدارات، وبالواو لغة، والمعنى أحسنهم في إصلاح أحوال الناس بالمال والنفس، (وموازرة) أي معاونة في مهمات الأمور، تحمل الثقل عنهم، (ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثواباً) عليه من ربه .

(وإذا تكلم) أي أخذ في الكلام، (أطرق جلساؤه) أي سكتوا وأرخوا أعينهم، ينظرون إلى الأرض، لا لكبر منه ولا لسوء خلق، بل لما أُلبس من العزة والمهابة، حتى من شدة إطراقهم (كأنما على رءوسهم الطير) من شدة أدبهم بين يديه ﷺ ، والطير لا يقع إلا على ساكن .

(وإذا سكت) ﷺ (تكلموا) بأدب وسكينة ووقار، وهذا من عظيم أدبهم بحضرته وإجلالهم له، ومهابته عندهم، وتخلقهم بأخلاقه، (لا يتنازعون عنده الحديث)، أي لا يختصمون فيه، أو لا يؤاخذ بعضهم بعضاً عنده، في الحديث وكيف ما كان أردفه بما هو كالمفسر له، حيث قال: (من تكلم عنده أنصتوا) أي استمعوا (له حتى يفرُغ) بضم الراء، ويتم يعني لا يتكلم في مجلسه اثنان معاً، لكونه خلافاً للأدب.

(حديثهم) عنده (حديث أولهم) أي لا يتحدث أولاً، إلا من جاء أولاً، فلا يتكلم من بعده إلا إذا فرغ كلامه، فإن تكلم أحد قبل فراغه، لم يصغ إليه أخذاً بالعدل، والمراد بأولهم أفضلهم ديناً .

(يضحك) أي يتبسم (مما يضحكون منه) رضي الله عنهم، (ويتعجب) ﷺ (مما يتعجبون) منه تأنياً لهم، وجبراً لقلوبهم، والعجب مما يُتعجب من مثله ويستغرب وقوعه .

(ويصير للغريب على الجفوة) بالفتح، أي السقطة والغلطة وسوء الأدب، مما كان يصدر عن الواحد من جفاة العرب، (في المنطق) والكلام وهذا أيضاً، من وصف علي في [الشمائل] .

(ولا انتهر خادماً) له ﷺ (ولا قال له) أي للخادم، (فى شىء صنعه) أي فعله، (لم صنعت؟) أي لم فعلته؟، (ولا في شيء تركه، لم تركته؟، بل يقول:) ﷺ (لو قُدر يكون) .

وفي [الشمائل]، عن أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف قط، ولا قال لشىء صنعته، لِمَ صنعته؟، ولا لشيء تركته لم تركته؟، وزاد في رواية: ولكن يقول: ما قدّر الله، وما شاء الله، ولو قدر الله كان، ولو قضى لكان، وما ذلك إلا لكمال معرفته، بأنه لا فاعل ولا معطي ومانع إلا الله تعالى .

(ولا ضرب بيده) الكريمة الشريفة، (أحداً إلا في الجهاد) .

وفي [الشمائل]، عن عائشة: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادماً ولا امرأة .

(ولما قيل له ادع على الكفار)، والقائل عمر أو غيره: لما شُجّ وجهه وكسرت رباعيته، يوم أُحُد وفي غير أحد، قد قيل له أيضاً: فلما قيل له في بعض الوقائع، (قال إنما بُعثت رحمة، اللّهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) بالعاقبة .

(لم يكن فحاشاً) أي كثير الفحش، وصيغة المبالغة فيه، وفي ما بعده غير مرادة، فلم يكن ذا فحش أصلاً، في أقواله ولا في أفعاله ولا في صفاته، وهو ما خرج عن مقداره حتى يستقبح .

روى الترمذي وغيره، عن عائشة: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، أي لم يكن له الفحش خلقاً ولا تكسباً، (ولا لعّاناً) بالتشديد، كثير اللعن، ولا قليله، لأن اللعن الطرد عن رحمة الله، (ولا بخيلاً) أي مانعاً لسائل سأله، ما فضل عن حاجة عياله عنده، وكان المصطفى ﷺ في أعلى منازل الجود والكرم، (ولا جباناً) أي ضعيف القلب عن القتال، بل كان أشجع الناس كما مضى تقريره، (ولا صخّابَاً) أي صياحاً بالضجر، واضطراب الصوت للخصام، (في الأسواق) وإذا لم يكن فيها كذلك، ففي غيرها أولى .

وفي [الشمائل] عن عائشة، أنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخّاباً في الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح .

.(ولم يواجه أحداً بما يكره).

وفي [الشمائل]، عن عائشة قالت: استاذن رجل على رسول الله ﷺ، وأنا عنده، فقال: بئس ابن العشيرة أو أخ العشيرة، ثم أذن له، فألان له القول، فلما خرج قلت: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له القول، فقال: يا عائشة، إن من أشر الناس من تركه الناس، أو ودعه الناس اتقاء فحشه .

(يكرم أهل الفضل) الكرام، إذا أتوا إليه (ويتألف أهل الشرف) ويقبل عليهم، ليقبلوا منه وينتفعوا .

(ويكرم كريم كل قوم) أي أفضلهم ديناً ونسباً، والكرم ضد اللؤم والدناءة، (ويوليه) أي يجعله والياً وحاكماً (عليهم) وهذا من تمام حسن نظره، وعظيم تدبيره، إذ القوم أطوع لكبيرهم، وأخوف منه مع ما فيه من الكرم الموجب للرفق بهم، والاعتدال لأمره معهم .

(ويُحذّر الناس) بضم الياء وتشديد الذال، أي يخوفهم من عذاب الله وأليم عقابه، (ويحترس منهم) أي يتحفظ من كثرة مخالطتهم، المؤدية إلى سقوط هيبته وجلالته من قلوبهم، لكن لا يفرط في ذل،ك بل يحترس (من غير أن يطوي عن أحد منهم (بِشْره) بكسر فسكون، طلاقة وجهه وبشاشته، (و) لا (خُلقه) بضم الخاء المعجمة، حسن مجالسته .

(ويتفقد أصحابه) يتعرف ويطلب من غاب منهم، وذلك من مكارم الأخلاق، (ويسأل الناس) أي عامتهم أو خواص صحبه، (عن ما في الناس) من المحاسن والمساوئ، ليعامل كلا بمقتضى حاله، أو عن ما وقع بينهم، ليدفع ظلم الظالم ويقوي الضعفاء ويسعفهم .

(ويستحسن) أي ينسب إلى الحسن (الحسن) الواقع من غيره، أي يظهر حسنه بمدحه أو بمدح فاعله (ويصوّبه) أي يجعله صواباً ممدوحاً، (ويقبح القبيح) الواقع من غيره، أي يصفه بالقبح أو يظهر قبحه بذمه، أو يذم فاعله ولا يبالي به، وإن عظم قدره، (ويوهنه) أي يجعله ضعيفاً، فإذا ضعف اجتنبه الناس، وهذا من وصف عليّ أيضاً في [الشمائل] حين سأله الحسن عن مخرجه ﷺ، فقال علي:

كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه عن ما لا يعنيه، ويؤلف ولا ينفر، ويكرم كريم قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد منهم بِشْره ولا خُلقه، وينفقد أصحابه، ويسأله الناس عن ما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهنه، إلى آخر ه.

(ويمزح) بالقول وكذا بالفعل، (و) مع ذلك (لا يقول إلا حقاً) لعصمته .

وفي الترمذي عن أبي هريرة، أنهم قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا، قال: إني لأمزح ،ولا أقول إلا حقاً، وروى البخاري وغيره عن أنس ،قال: كان المصطفى ليخاطبنا حتى يقول لأخ لي: يا أبا عُمَيْر ما فعل النُغَيْر .

(ويوري) إذا أراد غزوة ورأى غيرها، (ولا يفوه) أي لا يتكلم (إلا صدقاً) كيف وهو الصادق المصدوق .

(وكان أكثر جلوسه محتبياً بيده) أي يجمع ساقيه إلى بطنه مع ظهره بيديه، عوضاً عن جمعهما بالثوب .

وروى أبو داود والترمذي والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري: أنه ﷺ كان إذا جلس في المسجد ،وفي رواية: في المجلس، احتبى بيديه .

(ويؤثر الداخل) عليه (بوسادته ويبسط له ثوبه) روى الطبراني، عن سلمان، قال: دخلت على المصطفى ﷺ وهو متكئ على وسادة، فألقاها إليّ، الحديث، (وإن أَبى) أي امتنع، (عزم عليه حتى يفعل) ويأخذها .

(ولا يقبل الثناء) أي المدح، (إلا من مكافي) أي مجاز يعني ممن يكافئ بثنائه، ما يرى للمثني عليه، أي يماثل به ويقتصد في مدحه غير مجازف ولا مُطْر بنحو ما أطرت النصارى عيسى، وأراد بقوله إلا من مكافئ، المتحلي بالإسلام ظاهراً وباطناً لا كالمنافق، وهذا من وصف علي أيضاً في [الشمائل] .

(يدخلون روّاداً) بضم أوله وتشديد الواو، أي طلاباً للمنافع في دينهم ودنياهم، المكملة لعقولهم ونفوسهم، فهو جمع رائد من الرود وهو الطلب، (ولا يفترقون إلا عن ذواق) فعال، بمعنى مفعول، أي ذوق طعام حسياً غالباً، وروحانياً من العلوم والمعارف دائماً، فهو لأرواحهم بمنزلة الإدام لأجسامهم، (ويخرجون)

من عنده (أدلة) جمع دليل، أي علماء يدلون الناس على ما علموا من الخير، ولهذا قال ﷺ : أصحابي كالنجوم، (لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر) الله تعالى، أي إلا حال كونه متلبساً بالذكر، وهذا أيضاً من وصف علي في [الشمائل] .

(ولا يوطن الأماكن) أي لا يتخذ بمصلاه موضعاً، (وينهى) غيره (عن إبطانها) من اتخاذ موضع معلوم .

وفي [الشفاء] لعياض، من وصف علي له ﷺ : ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها .

(وكان يخصف) بكسر الصاد (نعله) أي يخرزها، (ويرقع ثوبه) بيده ويخيطه .

روى ابن عساكر، عن أبي أيوب الأنصاري: أنه ﷺ كان يركب الحمار، ويخصف النعل، ويرقع القميص، ويلبس الصوف، ويقول: من رغب عن سنتي فليس مني .

(ويفليه) بفتح المثناة التحتية، وسكون الفاء بعدها لام، يفتشه ليلتقط ما فيه من نحو قمل

(ويحلب شاته، ويخدم أهله)، وفي [الشمائل]، قيل لعائشة: ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟، قالت: كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه ويحلب شاته، ويخدم نفسه، قال علي لعمر ، رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين إن سرك أن تلحق بصاحبيك، فارقع القميص، وانكس الإزار، واخصف النعل، وقصر الأمل، وكُل دون الشبع، تلحق بهما .

(ويمشي متنعلاً) أي بنعال وحافياً في الطرق بلا نعل ولا خف، (ووحده أيضاً يمشي (بين أعدائه) لا يبالي بهم وثوقاً بربه، (و) أيضاً (إلى بساتين) بكسر المثناة

الفوقية، جمع بستان، (إخواته) جمع أخ، وهو المشارك لواحد في الولادة من الطرفين، أو أحدهما، أو الرضاع، ويستعار في كل مشارك لغيره في قبيلة أو دين أو حرفة أو معاملة أو مودة، أو غيرها من المناسبات، وقصده بذلك المشي إكراماً لهم .

وفي الترمذي: أنه ذهب إلى بستان أبي الهيثم بن التيهان، هو وأبو بكر وعمر، فبسط لهم بساطاً، ثم انطلق إلى نخلة، فجاء بقنو، فوضعه بين أيديهم، فقال ﷺ : أفلا تنقبت لنا من رطبه، فقال: يا رسول الله، إني أردت أن تختاروا من رطبه وبسره، فأكلوا وشربوا، فقال ﷺ : هذا والذي نفسي بيده من النعيم، الذي تسألون عنه يوم القيامة، ظل بارد ورطب طيب، وماء بارد ... الحديث بطوله.

(ويعود المرضى) الشريف منهم والوضيع، (حتى) عاد (بعض الكفار والمنافقين)، روى الترمذي وغيره، عن أنس: أنه كان يعود المرضى، وعاد عمه أبا طالب وهو مشرك، وعاد يهودياً كان يخدمه .

(ويشهد الجنائز) أي يحضرها، (ويزور القبور) أي المقابر، (ويسلم عليهم ويستغفر لهم) أي يطلب لهم المغفرة من الله .

(ويركب الفرس) وكانت له على الصحيح نحو سبعة أفراس، (و) يركب (البعير) حتى إنه دخل مكة يوم الفتح وهو على بعير، وفي الصحي] عن قدامة: رأيت رسول الله ﷺ في حجته، يقف على ناقة صهباء، (و) يركب (الحمار بإكاف) بكسر الهمزة، وهو برذعة لذوات الحوافر .

روى الشيخان، عن أسامة: أنه أردفه، (و) هو على حمار أيضاً، (عرياً) أي بغير إكاف، ويفعل ذلك من غير تكبر مبالغة في التواضع.

روى ابن سعد في [طبقاته]، عن حمزة بن عبد الله بن عتبة، مرسلاً: أنه ﷺ كان يركب الحمار عرياناً، ليس عليه شيء .

(وأكثر ركوبه للأولَيْن) أي الفرس والبعير، (وأهدي له البغل فركبه)، وبغاله على الصحيح خمسة منها: دُلْدُل، بضم الدالين، أهداه له المقوقس، وكان يركبها في السفر، قال الخضير: كان ذكراً لا أنثى .

(و) يركب (منفرداً) أي وحده، (ويردف أحياناً عبده وزوجته، وغيرهما) وقد أردف أسامة، والفضل بن العباس، وأبا بكر وعلياً وعثمان، وصفية بنت حيي، وآمنة بنت أبي الصلت وغيرهم .

(وكان دائم البشر) بكسر أوله، طلاقة الوجه وبشاشته، (سَهْل الخُلق) بضم الخاء، أي ليس بصعبه، أو ليس بخشنه، فلا يصدر عن خلقه أذى بغير حق، وهذا من وصف علي في [الشمائل] .

(حسن العشرة) أي المعاشرة والمخالطة، (حتى لأزواجه) ويلاطفهم ويحاسنهم، (ويسوي بينهم في النفقة) عليهم (والإيواء) وقسم الليلة، (ويقول) ﷺ (اللّهم هذا قسمي فيما أملك) أي فيما أقدر عليه، (فلا تلمني فيما تملك، ولا أملك، يعني) بذلك (المحبة والوقاع) .

وفي البخاري وغيره، عن عائشة: كان يقسم بين نسائه، فيعدل، ويقول: اللّهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك، ولا أملك .

(ولا يقول في) حال (الرضى والغضب) قط (إلا الحق) .

روى أبو داود عن ابن عمر، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من المصطفى ﷺ، أريد حفظه، فنهتني قريش، قالوا: تكتب كل شيء ورسول الله بشر يتكلم في

الرضا والغضب، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأومة بأصبعه إلى فيه، فقال: اكتب، فو الذي نفسي بيده، ما خرج منه إلا الحق .

(وإذا وعظ) الناس (احمرت عيناه وعلا صوته) أي رفع صوته، واشتد غضبه، (كأنه منذر جيش) .

روى ابن ماجه وابن حبان وغيرهما، عن جابر: أنه ﷺ كان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، كأنه منذر جيش، يقول صبّحكم ومسّاكم .

(ولا يُقام لغضبه) ﷺ (إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له) وينفذ أمر الله فيه .

(ولا يغضب لنفسه) أي لأجل نفسه، (ولا ينتصر لها) .

روى الشيخان عن عائشة: ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين، إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً، كان أبعد الناس منه، وما انتقم لنفسه، إلا أن تُنتهك حرمات الله، فينتقم لله .

(وإذا سُرّ استنار وجهه) أي ضاء، (كأنه قطعة قمر).

روى الشيخان، عن كعب بن مالك، قال: كان المصطفى ﷺ إذا سرّ استنار وجهه؛ كأنه قطعة قمر، قال ابن حجر: لعله كان متلثماً، والمحل الذي يبين فيه السرور جبينه، وفيه يظهر السرور، فوقع الشبه على بعض الوجه فناسب تشبهه ببعض القمر، والتشبيه وارد على عادة الشعراء، وإلا فلا شيء يعدل حسنه .

(لا يترك أحداً) من الناس (يقوم) أي يقف (بين يديه) .

وفي الترمذي، وأبي داود عن معاوية: من أحبّ أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار، (ولا يمشي خلفه) أحد (ويقول: خلوا ظهري للملائكة)،

روي ابن سعد في [الطبقات]، عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، مرفوعاً: امشوا أمامي، وخلوا ظهري للملائكة .

وفي [المستدرك]، عن جابر أيضاً: كان إذا مشى مشى أصحابه أمامه، وتركوا ظهره للملائكة .

(ولا يجزي) كيرمي، (سيئة بمثلها) أي يجازي الكلام القبيح بمثله، (بل يعفو أي بل يقابل بالعفو، (ويصفح) ويسامح، (ويجود) بذلك، (ويمنح) العطاء الجزيل.

وفي [الشمائل]، عن عائشة أنها قالت: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح.

أكله صلى الله عليه وسلم : (وكان يأكل ما وجد) من الطعام، (ولا يتكلف ما نقد) ما لم يجد، (ولا يرد طعاماً ولا يعيبه) أي يذمه، (إن أعجبه أكل) منه (وإلا تركه) .

روى الشيخان، عن أبي هريرة، قال: ما عاب المصطفى صلى الله عليه وسلم طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه .

(أكل لحم الإبل) روى الشيخان: أنه أكل حمار الوحش والجمل والأرنب، (و) أكل لحم (الغنم) وقد مرّت قصة الشاة التي عند أبي الهيثم، وغيرها .

(و) أكل لحم (الدجاج) .

وفي [الشمائل]، عن زهدم بن مُضَرّب الجرمي، قال: كنا عند أبي موسى، فأتي بلحم دجاج، فتنحى رجل من القوم، فقال: ما لك؟، قال: إني رأيتها تأكل شيئاً، فحلفت أن لا أكلها، فقال: ادن، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الدجاج .

(و) أكل (السمك) وفي مسلم: أنه أكل من دواب البحر، (و) أكل (الرُّطب) بضم ففتح، ثمر النخل إذا أدرك ونضج قبل أن يتتمره، واحدته رطبة، (و) أكل

(التمرو) أكل (الخبز بتمر) كما في [الشمائل]، عن يوسف بن عبد الله، قال: رأيت النبي ﷺ أكل كسرة من خبز شعير، فوضع عليها تمرة، وقال: هذه إدام هذه، (و) أكل الخبز (بِخَلٍّ).

وفي [الشمائل]، عن أم هاني رضي الله عنها، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ، فقال: أعندك شي؟،ء فقلت: لا، إلا خبز يابس وخل، فقال: هاتي، ما أفقر من أدم بيت فيه خل ،(وبشحم وبزيت) وفي [الشمائل] : كلوا الزيت، وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة .

قال المناوي: ومناسبته للبركة، أن الأمر بأكله يستدعي أكلهﷺ له، (وبزبد و) أكل (كبد الغنم مشوياً، و) و أكل (القديد) وهو لحم مملوح، مقدد مجفف في الشمس، وفي السُّنن عن رجل: ذبحت لرسول الله ﷺ شاة، ونحن مسافرون، فقال: أصلح لحمها، فلم أزل أطعمه منها إلى المدينة .

قال ابن العربي: وقد أكل المصطفى الحنيذ والقديد، قال المناوي: والقديد أنفع، وهو الذي يداوم عليه المرء، ويصلح به الجسد، وهو الذي أثنى عليه الشرع، (و) أكل (الجبن) وهو يصنع من اللبن، (و) أكل (الثريد) بفتح المثلثة، فعيل، بمعنى مفعول، وتقول: ثردت الخبز ثرداً، وهو أن تفته ثم تبله بمرق، وقد يكون معه لحم.

روى أبو داود: كان أحبّ الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز، والثريد من الحيس، (ويحب اللحم) .

وفي [الشمائل] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: أتاني النبي ﷺ في منزلي، فذبحنا له شاة، فقال: فكأنهم أُعلموا أنّا نحب اللحم... إلخ .

(ويعجبه الذراع وسُمّ فيه) كما في [الشمائل] عن ابن مسعود: كان النبي ﷺ يعجبه الذراع، وقال: وسُمّ في الذراع، والقصة تقدمت.

(و) كان يعجبه (الدُّباء) بضم الدال وشد الموحدة وبالمد، وهو القرع، ثمر شجر اليقطين، وفي رواية لمسلم: كان المصطفى ﷺ يأكل الدباء وتعجبه، (ويتبعها من جوانب) أي حوالي وأطراف (القصعة) بفتح القاف وسكون الصاد.

وفي [الشمائل] عن أنس: أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه له، قال أنس: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير، ومرق فيه دباء وقديد، قال أنس: رأيت رسول الله ﷺ يتبع الدباء حوال القصعة، فلم أحب الدباء إلا من يومئذ.

(و) كذا تعجبه (العجوة) وهي نوع من التمر، (و) كذا يعجبه (العسل) أي عسل النحل، (و) كذا تعجبه (الحلوى) بالمد والقصر، كما في [القاموس].

وفي [الشمائل] عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ يحب الحلوى والعسل، (والهندباء) وهي بقلة معتدلة نافعة للمعدة والكبد والطحال، كذا في [القاموس]، (والبقلة الحمقا) أي خضرة وهي الرجلة.

(و) كان (أحب الفاكهة) وهي في [المصباح] وغيره، ما يتفكه به، أي يتنعم بأكله رطباً كان، أو يابساً كتين، وبطيخ وغيرهما، وأحبها (إليه العنب) بكسر العين، والبطيخ بكسر الباء، وذكر أبو نعيم في [الطب]، عن معاوية: أنه كان ﷺ يحب من الفاكهة العنب والبطيخ.

(و) يأكل (البطيخ بخبز و) كذا (بسكر ويستعين بيديه جميعاً) وكان يأكل الرطب والقثاء، روى أحمد، عن عبد الله بن جعفر، قال: آخر ما رأيت المصطفى ﷺ في إحدى يديه رطبات، وفي الأخرى قثاء، يأكل من هذه وبعض من هذه .

(وربما أكل) ﷺ (العنب خرطاً) أن يضعه في فيه، فيأخذ حبه، ويخرج عرجوناً.

وفي الطبراني، عن ابن عباس: كان ﷺ يأكل العنب خرطاً .

(وكان أكثر طعامه التمر والماء)، وفي [الشمائل]، عن عائشة، قالت: إنّا كنا آل محمد، نمكث شهراً ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمر والماء، (وإذا لم يجد) شيئاً (صبر وشد على بطنه الحجر) .

وفي [الشمائل] عن أنس، عن أبي طلحة، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه حجرين.

(وكان) ﷺ (أحياناً لا يجد) لإعراضه عن الدنيا وما فيها، (من الدقل) رديء التمر ويابسه، (ما يملأ بطنه) ﷺ (ويبيت الليالي المتتابعة) أي المتوالية، (طاوياً) أي لا يأكل شيئاً .

وفي [مسند الحارث]، عن أبي أسامة عن أنس: أن فاطمة جاءت بكسرة خبز إلى المصطفى ﷺ ، فقال: ما هذه؟، قالت: قرص خبزته، فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه، قال: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك، منذ ثلاثة أيام، (وأهله لا يجدون عشاء) ومع ذلك كلهم في غاية الرضا عن الله تعالى .

أخرج ابن جرير عن عمران بن حصين، قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذ قدمت فاطمة، ووقفت بين يديه، فنظرت إليها، وقد ذهب الدم من وجهها، وغلبته

الصفرة من شدة الجوع، فنظر إليها، وقال: ادنِ، فدنت ثلاثاً، حتى قامت بين يديه، فوضع يده على صدرها في محل القلادة، وفرج بين أصابعه، ثم قال: اللّهم مشبع المجاعة لا تجوع فاطمة، قال عمران: فنظرت إليها، وقد غلب الدم على وجهها، وذهبت الصفرة .

(وكان أكثر خبزهم الشعير)، وفي [الشمائل] عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طارياً هو وأهله، ولا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير، (ولم يشبع منه ولا أهله) .

وفي [الشمائل] قالت عائشة: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين، وفيها أيضاً عنها: ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين، حتى قبض رسول الله ﷺ، (و) كان (يمضي الشهر وما يوقد في بيته) ﷺ (الجمر ما هو إلا الماء والتمر) كما مر قريباً .

(ويأخذ ما يأكله بنفسه) ﷺ (وما تشهى طعاماً) بل يأكل ما يجده، (ولا اقترحه) على أحد (ولا يأكل وحده) ﷺ (ويأكل لحم الطير).

وفي [الشمائل] عن سفينة، مولى المصطفى ﷺ، قال: أكلت مع رسول الله ﷺ لحم حبارى، وهو طير طويل العنق، (ولا بصيده) كان (يعاف الضبّ، و) كذا (الطحال) لدناءتهما .

(وما جمع) ﷺ (بين مشوي) أي مصموط، (ومطبوخ وقديد) وتقدم تعريفه، (ولا رطب ولحم وحليب، وأتي) ﷺ (بلبن وعسل، فردّه، وقال: أدمان) بضم فسكون تثنية، أدم أي لبن وعسل، (في إناء) واحد، (لا آكله، ولا أحرمه) بل أتركه زهداً وورعاً، ومع ذلك (أكره الفخر).

وروى الطبراني في [الأوسط]، والحاكم، عن أنس: أدمان لا آكلهما، ولا أحرمهما .

(ويضع السفرة) وأصلها طعام، يتخذه المسافر، والغالب حمله في جلد مستدير، فتقل اسمه إلى ذاك الجلد، فسمي به لذلك، (على الأرض)، قال ابن العربي: الأكل على الأرض من التواضع، (وما أكل على خوان) بكسر أوله المعجم وبضم، ويقال كما في [المصباح] وغيره، الخوان مرتفع له قوائم، ويهيئ ليؤم كل طعام عليه، وهو فارسي معرب، يعتاد المتكبرون الأكل عليه، لئلا تنخفض رءوسهم، (ولا في سُكُرُّجة) بضم أحرفه الثلاثة، مع تشديد الراء، وقيل الصواب فتح رائه، وهو ماء في سفرة ذات جدار، وقيل: إناء صغير يؤكل فيه القليل من الطعام، ويجعل ما يشتهي ويهضم، يوضع حول الطعام على المائدة .

وفي [الشمائل]، عن قتادة عن أنس، قال: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة، ولا خُبِز له مرقق، قال: قلت لقتادة، فعلى ما كانوا يأكلون؟، قال: على هذه السفرة .

(و) كان (يأكل بثلاثة أصابع) إن كفت (و) إلا (يستعين بالرابع).

روى الترمذي، عن كعب بن مالك: كان رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاثة ويلعقها، وعينها بعض الرواة: بأنها الإبهام والتي تليها والوسطى، (ونهى عن الأكل بأصبع) واحد، (وقال: أكل الشيطان، وباثنين) أي بأصبعين، (وقال: أكل الجبابرة) .

روى أحمد الغطريف، والبخاري عن أبي هريرة: أنه ﷺ قال: الأكل بأصبع أكل الشيطان، وبأصبعين أكل الجبابرة، وبالثلاثة أكل الأنبياء، (ويأكل الساقط) من

السفرة، (ويقول: لا ندعها للشيطان) لينتفع بها، (ويلحس الأصابع)، كما مرّ قريباً، (والقصعة) كذلك، (ويقول: تستغفر) الله (للاحسها) أي لاعقها، (ويتبع ما سقط من السفرة، ويقول) ﷺ (من فعله غفر له) أي غفر الله له .

(ويسمي الله أولاً) أي في أول الطعام، (ويحمده آخراً) أي في آخره بعد الفراغ .

روى النسائي وأحمد وغيرهما: أنه إذا قرب إليه طعام، قال: بسم الله، فإذا فرغ، قال: اللّهم إنك أطعمت وأسقيت وأغنيت وهديت وأحييت، فلك الحمد على ما أعطيت .

وفي الترمذي، عن أبي سعيد: أنه كان ﷺ إذا فرغ من طعامه، قال: الحمد لله الذي أطعمنا وأسقانا وجعلنا مسلمين، (ويأكل مقعياً) أي جالساً على ركبه، مستوفزاً غير متمكن، (لا متكئاً) لأن الأكل بالاتكاء لا ينحدر في مجرى الطعام سهلاً، ولا يسيغه هنياً .

قال ابن القيم: ويذكر عنه ﷺ أنه كان يقعد للأكل متوركاً على ركبتيه، ويضع بطن قدمه اليسرى على قدمه اليمنى، تواضعاً وأدباً معه، وهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل، (ويقول) ﷺ : أما أنا فلا آكل متكئاً، ويقول أيضاً: (آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)، فنعم، هذا الأدب، والتواضع لله عزّ وجلّ .

(ولا يجمع بين لبن وسمك، ولا لبن وحامض، ولا بين حارَّين)، لأن هذا كله غير موافق لعلم الطب، وهو أعلم بذلك، وبما يصلح الأمزجة، (ولا) يجمع بين (باردين، و) كذا (لا) يجمع بين (قابضين، ولا) يجمع بين (مسهلين، ولا) بين (غليظين) أي ثقيلين في المعدة، (ولا يأكل حاراً) في الطبع منفرداً، (ولا يابساً) أيضاً، (ولا معفناً) متغير الطعم، (كالمملوحات) المصنوعات بتخمير زمن.

(ويدفع ضرر البعض) من الأطعمة (بالبعض) منها (كتمر بزبد) فالأول حار والثاني بارد، فيعتدلا، (وبطيخ أو قثاء) بالكسر والضم، نوع من الخيار، (برطب ومرّ تعريفه.

روى أبو داود، عن عائشة، أنها قالت: كان المصطفى ﷺ يأكل البطيخ بالرطب، ويقول يكسر حر هذا برد هذا، وبرد هذا حر هذا .

قال الزين العراقي بعد هذا الحديث: وكل إرشاد فعنه أخذ، أي علم الطب وغيره .

قال المناوي في شرح هذا الموضع: وبما تقرر علم أن المصطفى ﷺ كان يعدل الغذاء ويدبره، ولا يجمع بين حارين ولا باردين، ولا لزجين ولا قابضين، ولا مسهلين ولا غليظين، ولا مستحلين إلى خلط واحد، ولا بين مختلفين، كقابظ ومسهل، وسريع الهضم وبطيئه، ولا بين سمك ولبن، وبطيخ ومشوي، وطري وقديد، ولا بين لبن وقديد، ولا لبن وبيض، ولا بين لحم ولبن، ولم يأكل طعاماً بائتاً يسخن له بالغد، وإلى غير ذلك من حكمه الباهرة، وتدبير آياته الظاهرة.

شرابه ﷺ: (و) كان (ينقع) له (التمر ويشربه للهضم)، وكان يحب الماء الممزوج بعسل، وكذا المنقوع من الزبيب، (وأمر بأكل المتيسر) من الطعام، (قبل النوم، وأن لا ياكل الخبز وحده) .

قال: وفي الحديث الذي رواه الطبراني في الأوسط، عن ابن عمر: ائتدموا ولو بالماء، (وأن لا ينام بعد الأكل) لأن ذلك يفسد المعدة، ويقسي القلب، (وقال) ﷺ (أذيبوا طعامكم بذكر الله) سبحانه وتعالى، (لا تناموا) أي عقب الطعام بلا ذكر،

(فتقسو قلوبكم) وإذا قست القلوب بعدت عن الانتفاع بالموعظة، والانتباه الجميل للآخرة .

(وكان يشرب اللبن حليباً) لأنه كان أحب الشرب إليه، روى أبو نعيم، عن ابن عباس: أنه كان أحب الشرب إليه اللبن، (وممزوجاً) بشيء أيضاً كان يشربه، (و) كان يشرب (الماء في ثلاثة أنفاس) روى مسلم عن أنس: أن المصطفى ﷺ كان إذا شرب يتنفس ثلاثاً، (ويمص) بفتح المثناة التحتية، وهو الشرب في مهلة، (ولا يعب) وهو تتابع الشرب من غير تنفس، (ويقول الكباد من العب) أي وجع الكبد .

وأصل ذلك ما رواه البيهقي وغيره، عن عبد الله بن عبد الرحمن النوفلي مرسلاً: والديلمي، عن علي مرفوعاً: إذا شرب أحدكم فليمص الماء مصاً، ولا يعب عباً، فإن الكباد من العب .

(و) كان (لا يتنفس في الإناء) أي في داخله حين يشرب، وأصل ذلك ما رواه البيهقي في [الشُّعب]، عن أبي سعيد الخدري، أنه ﷺ نهى عن التنفيس في الشرب، ورواية الترمذي: أنه كان يتنفسن ثلاثاً في الإناء إذا شرب، أي بأن يشرب ثم يزيله عن فيه، ويتنفس خارجه، ثم يشرب هكذا، إلا أنه لا يتنفس في جوف الإناء، (و) يشرب (قاعداً غالباً)، وفي [الشمائل] : أنه كان يشرب قائماً وقاعداً، (ويحب البارد) .

روى الترمذي والحاكم، عن عائشة: أنه ﷺ كان أحبّ الشراب إليه الحلو البارد، (ويكره الحار) من الشراب والأكل، روى أبو نعيم وغيره، عن أنس: أنه أتى المصطفى ﷺ بصحفة تفور، فرفع يده منها، وقال: إن الله لم يطعمنا ناراً، أبردوا بالطعام، فإن الحار غير ذي بركة .

(وإذا شرب دفع الباقي) من شرابه، (لمن عن يمينه) ﷺ (وإن كان عن يساره أشرف أو أسن) أي أكبر منه في السن، (قال للأيمن: الشربة لك، فإن شئت آثرته) .

روى الترمذي عن ابن عباس، دخلت مع المصطفى ﷺ أنا وخالد بن الوليد، على ميمونة، فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب المصطفى ﷺ، وأنا على يمينه وخالد عن يساره، فقال لي: الشربة لك، فإن شئت آثرت بها خالداً، أي لكونه أشرف منك، فقلت: ما كنت لأوثر على سؤرك .

لباسه ﷺ : (وكان يلبس الكتان) بمثناة فوقية مشددة، وفتح الكاف، معروف سمي بذلك لأنه يكتن إذا ألقى بعضه على بعض، (والصوف) كما مرّ قبل هذا، (والقطن وهو الغالب) في لبسه (قميصاً) .

وفي [الشمائل]، عن أم سلمة: كان أحبّ الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص، (أو رداء) بالكسر، ما يستر أعلى البدن، عكس الإزار، أو إزاراً وهو ما يستر أسفل البدن .

روى الترمذي وغيره، عن أبي بردة، قال: أخرجت إلينا عائشة كساء ملبداً، أي مرتفعاً أو غليظاً كاللبد، وإزاراً غليظا أي خشناً، فقالت قُبض: رسول الله ﷺ في هذين، (أو) كان يلبس (غيرهما) من اللباس، (ويحب البِيض) وقال: عليكم بالبِيض من الثياب، ليلبسها أحياؤكم، وكفّنوا فيها موتاكم، فإنها خيار ثيابكم.

وروى الشيخان، عن أبي ذر: رأيت النبي ﷺ عليه ثوب أبيض، (والخضر)، وقد روى الدمياطي: أن رداءه الذي كان يخرج به للوفود أخضر، في طول أربع أذرع، وعرضه ذراعان وشبر .

(ولبس البردة) وهي كساء صغير مربع، كما في [الصحاح] وفي [القاموس]

البردة ثوب مخطط أي ذي علامة .

وروى النسائي والترمذي وغيرهما، عن أبي رمثة، قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب، وعليه بردان أخضران، (و) لبس (الحبرة) بمهملة وموحدة، كعنبة، بردان من قطن، تحبرا أي تزينا كما في المغرب .

روى الترمذي عن أنس، قال: كان أحبّ الثياب إلى رسول الله ﷺ الحبرة .

(و) لبس (الجبة) وهي ثوبان بينهما حشو، ويقال: لما لا حشو له، إذا كانت ظهارته من صوف .

وفي البخاري وغيره، عن المغيرة بن شعبة، أن المصطفى ﷺ لبس في السفر جبة رومية ضيقة الكمين، وفي بعض الروايات: شامية، (و) لبس (الحلة الحمراء) تأنيث أحمر، وهي ثوبان من جنس واحد .

روى الترمذي، عن البراء بن عازب: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء، أحسن من رسول الله ﷺ .

(و) لبس (القباء) وهو عري، مأخوذ من قبوت الشيء إذا ضممته.

وفي البخاري، من طريق علقمةن قال: فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب، (و) لبس (الساذج) بفتح الذال وكسرها، غير منقوش، أو لا شعر عليه وهو الخف .

وفي [الشمائل] عن أبي بريدة عن أبيه: أن النجاشي أهدى للنبي ﷺ خفين أسودين ساذجين، فلبسهما ثم توضأ .

(و) لبس (الأسود) .

وفي [الشمائل] عن عائشة: خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط من

شعر أسود، (و) لبس (القزو) كذا (المعلم أطرافه بسندس) .

وكان له جمال لطيف ورونق ظريف، (وأحبها إليه القميص) كما تقدم قريباً.

(وروي أنه ليس السراويل) وهو ضعيف، لكن صح أنه اشتراه، (ولبس جبة خسراوانية، معرجة عليها سجف من ديباج) .

وفي شرح [الشمائل] : وقد كانت عند عائشة جبة طيلسانية مكفوفة الفرج بالديباج، وكان ﷺ يلبسها، وكانت عندها، حتى ماتت ثم أخذتها أختها أسماء، فكانت عندها تشفي المرضى .

(والطيلسان) وهو القناع، أي وتقنع ووقع في أكثر من الأحاديث التعبير عن الطيلس بالتقنع، (في الحر كاليوم الذي هاجر فيه) من مكة، يشير إلى قول أهل السير، ثم جاء المصطفى إلى بيت أبي بكر ظهراً متقنعاً قال الحافظ ابن حجر، أى مطيلساً رأسه، وهذا أصل لبس الطيلسان، وهو ثوب طويل عريض، يجعل فرق العمامة، يغطي أكثر الوجه، ثم يرد طرفه من تحت الحنك إلى أن يحيط بالرقبة جميعها، ثم يلقي طرفاه على المنكبين .

وصح عن ابن مسعود، وله حكم المرفوع: التقنع من أخلاق الأنبياء، وفي خبر: لا يتقنع إلا من استكمل الحكمة، قال بعض الصوفية: الطيلسان الخلوة الصغرى، قال: المناوي في [شرح الشمائل] : والظاهر أنه كان متلثماً به أى النبي ﷺ فوق العمامة لا تحتها، في مجيئه للصديق، في هذه القصة)، (وله ثوبان للجمعة) يلبسهما في الجمعة، (ويُرْد) بضم فسكون، (أخضر للعيدين) .

أخرج العقيلي عن جابر: أنه كان له بردة يلبسها في العيدين والجمعة، وفي رواية: برد أخضر (و) لبس (العمامة السوداء) .

وفي [الشمائل] عن جابر، رضي الله عنه: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وعليه عمامة سوداء، (والبيضاء) أي وله عمامة بيضاء كان يلبسها (وهي الأكثر)، ويلبس العمامة (بغير قلنسوة) بفتح القاف واللام وسكون النون وضم المهملة، من ملابس الرأس الذي يغطيه بالعمامة، (وبها) أي ويلبس العمامة بالقلنسوة، (وبلا عمامة) أي ويلبس القلنسوة بلا عمامة .

روى ابن عساكر عن ابن عباس: أنه ﷺ كان يلبس القلانس تحت العمائم، وبغير العمائم، ويلبس العمائم بغير قلانس، وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمائم، ويلبس العمائم بغير قلانس، وكان يلبس القلانس اليمانية إلى آخر الحديث، (ويجعل لها) أي العمامة، (غالباً عذبة بين كتفيه) .

وفي [الشمائل] عن ابن عمر: كان النبي ﷺ إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه، (ولم تكن) عمامته ﷺ (كبيرة تؤذي، ولا صغيرة لا تقي) الحر والبرد، (ولم يتحر في طولها أو عرضها شئ) على الصحيح (وما قال) الإمام المحب (الطبري) رحمه الله، (من أن الطول سبعة) أذرع (في عرض ذراع) واحد، (وأنها) كانت من صوف، (لم يثبت عن جُلّ، (غالب) علماء الفن .

قال شهاب الدين ابن حجر الهيثمي: واعلم أنه لم يتحرر كما قال الحافظ في طول عمامته وعرضها شيء، وما وقع للطبري في طولها أنها سبعة أذرع، ولغيره أنه نقل عن عائشة أنها سبعة في عرض ذراع، وأنها كانت في السفر بيضاء، وفي الحضر سوداء من صوف، وأن عذبتها في السفر من غيرها، وفي الحضر منها لا أصل له. انتهى .

وفي [تصحيح المصابيح] لابن الجوزي: تتبعت الكتب وتطلبت من السير والتواريخ، فلم أقف على مقدار عمامة المصطفى ﷺ، ولم أقف على شيء حتى أخبرني من أثق به على وقوفه على شيء من كلام النووي، ذكر فيه: أنه كان للمصطفى ﷺ عمامة قصيرة، وعمامة طويلة، وأن القصيرة كانت ست أذرع، والطويلة اثنتي عشرة ذراعاً . انتهى .

(وله عمامة تسمى السحاب، ووهبها) ﷺ (لعلي) بن أبي طالب رضي الله عنه، (فكان إذا قدم) علي رذي الله عنه، (يقول) ﷺ : (أتاكم عليٌّ في السحاب)، أي لابساً تلك العمامة، وفيه تورية أي علامة لطيفة .

(وكانت ثيابه) ﷺ (فوق الكعبين) روى الحاكم عن ابن عباس: أن المصطفى ﷺ كان يلبس قميصاً فوق الكعبين، (وربما جعلها) أي الثياب (لنصف الساق)، روى النسائي وغيره عن أبي هريرة: أنه ﷺ قال أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، (والكم) بضم الكاف وتشديد الميم، (إلى الرسغ) كفعل بسين وصاد لغتان، مفصل ما بين الكف والساعد من الإنسان، وهو مختص في الآدمي باليد دون الرجل .

وفي [الشمائل] عن أسماء بنت يزيد، قالت: كان كم قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ، (أو) كان الكم (مع الأصابع) أي أصابع اليد .

أخرج البيهقي عن ابن عباس: أنه كان يلبس قميصاً، وكان فوق الكعبين، وكان كماه مع الأصابع .

وجمع بعضهم بين هذا، وبين الحديث الأول، وأن هذا كان يلبسه في الحضر، وذاك في السفر.

(و) كان (يلبسها) أي ثيابه (من ميامنه) جمع ميمنة، كمرحمة ومراحم، أي

يحاب اليمنى، (وينزعها بالعكس) أي بيسراه، روى أبو داود عن عمر: أن المصطفى ﷺ كان إذا لبس شيئاً من الثياب بدأ بالايمن، فإذا نزع بدأ بالأيسر، (ويقول) ﷺ (عند لبسه) أي لباس الثوب (الحمد الله الذى كساني، ما أستر به صورتي وأتجمل به).

روى الترمذي عن عمر، مرفوعاً: من لبس ثوباً جديداً، فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي، ثم عمد إلى الثوب الذي خلق، فتصدق به، كان في حفظ الله وفي سبيل الله.

(و) كان (إذا استجد) أي لبس ثوباً جديداً، (سمّاه) باسمه المعين، أي باسمه الموضوع له قميصاً أو عمامةً أو رداءً وغيرها، بأن يقول: رزقني الله هذه العمامة ونحوه، فالقصد إظهار النعمة، والحمد عليها، وقال بعضهم: إنه كان يسمي كل ثوب من ثيابه اسماً خاصاً، كخبر: كان له عمامة تسمى السحاب، (وقال) بعد اللبس والتسمية، وهي سنة عند اللبس: (اللهم لك الحمد كما كسوتنيه) الكاف للتعليل، كما جوزه في [المغني] : أي لك الحمد على كسوتك لي إياه، أو لتشبيه الحمد بالنعمة، أي لك على قدر إنعامك بالكسوة، (أسألك خيره) وهو بقاؤه ونقاؤه، وكونه ملبوساً للضرورة والحاجة، لا للفخر والخيلاء، (وخير ما صُنع له) بالبناء للمجهول، أي لأجله، من خير كحله، والتقوى على طاعته، وصلاح نية صانعه، (وأعوذ بك من شره وشر ما صُنع له) كضد ذلك، والخير في المقدمات، يستدعي الخير في المقاصد، وكذلك في الشر، يرشد إلى ذلك خبر: إنما يلبس علينا صلاتنا، قومٌ لا يحسنون الطهور.

وفي [الشمائل] عن أبي سعيد الخدري: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوباً سمّاه

باسمه عمامة أو قميصاً أو رداءً، ثم يقول: اللّهم لك الحمد كما كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له، (ولبسه وأعطى) بعد لباسه الجديد الثوب (الخلق مسكيناً) كما تقدم نعت ذلك .

(و) كان (له ملحفة) بكسر الميم، الملحفة التي يلتحف بها، (مصبوغة بزعفران أو ورس) بفتح فسكون، روى الخطيب البغدادي عن أنس: أن المصطفى ﷺ كان له ملحفة مصبوغة بالورس والزعفران، يدور بها على نسائه، فإذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء .

خاتمه ﷺ : (و) كان (له خاتم) يختم به، قال ابن العربي: والخاتم عادة في الأمم الماضية، وسنة في الإسلام قائمة، وفي الخاتم خمسة لغات كلها فصيحة، جمعها ابن مالك في قوله:

خاتم قل خيتم وخاتم وخا تم   قل إن تشأ وخيتام

(فضة) أي من فضة، وهي في الأصل النقرة المضروبة، (فصه) بتثليث أوله، وله معان كثيرة، والمراد هنا ما ينقش فيه اسم صاحبه، (منه) تبعيضية، والضمير للخاتم أي فصه من بعضه، لا أنه حجر منفصل عنه ومجاوزه، وفي [الشمائل] عن أنس: كان خاتم النبي ﷺ من فضة فصه منه، (ونقشه) أي المكتوب فيه، ومدلول نقشه (محمدٌ رسول الله) ثلاثة أسطر، محمد سطره الأول، ورسول سطره الثاني، والله سطره الثالث، قال الأسنوي: كانت تقرأ من أسفل، ليكون اسم الله فوق الكلم .

وفي [الشمائل] عن أنس: كان نقش خاتم النبى ﷺ محمد سطر ورسول سطر

والله سطر، (ويتختم) أي يلبس الخاتم (في خنصر يمينه) بكسر الخاء والصاد، (و) في خنصر (يساره) أي في خنصر اليد اليسرى .

روى البخاري: كان يتختم في يمينه .

وفي [الشمائل] عن أنس: أنه يتختم في يساره، (والأكثر الأول) وهو رواية البخاري وجل المحدثين، قال المناوي في [شرح ألفية السيرة] : التختم في اليمين واليسار، كلاهما سنة، لورودهما عنه، لكنه في اليمين أفضل، لكونه أكثر أحواله، ولأن التختم فيه نوع تكريم وتشريف وتزيين، واليمين بها أحق، وكونه صار شعار الروافض، لا أثر له .

نعل الرسول ﷺ : (و) كان (يلبس النعال) وهي ما وقيت به القدم عن الأرض، فلا تشمل الخف عرفاً بل ولا لغة، (السِّبتية) بالكسر، جلد بقر يدبغ مطلقاً، سميت به لأن شعرها سبت عنها أي حلق وأزيل، إذ السبت القطع، (والتاسومة) كما في [المصباح] وغيره، النعل مؤنثة، وتطلق على التاسومة، وكان لنعله قبالان، والقبال بقاف مكسورة وموحدة تحتية، زماماً بين الإصبع الوسطى والتي تليها، قابلت النعل وأقبلتها، إذا جعلت لها قبالين .

روى البخاري عن أنس بن مالك: أن نعل المصطفى ﷺ كان لها قبالان .

(و) كان يلبس (الخف) وهو معروف، وجمعه خفاف ككتاب .

وفي [الشمائل] عن المغيرة بن شعبة: أهديت هدية للنبي ﷺ خفين فلبسهما .

فراشه ﷺ : (وكان فرشه) الذي ينام عليه، (من أدم) أي مصنوعاً من أدم، بفتحتين جمع أدمة أو أديم، وهو الجلد المدبوغ، (حشوه) أي الأدم (ليف) أي من ليف النخل .

روى الترمذي وغيره، عن عائشة قالت: إنما كان فراش رسول الله ﷺ من أدم حشوه ليف، (وطوله ذراعان وشيء) أي زيادة فوقه، (وعرضه ذراع ونحو شبر واحد، (وله عباءة) بفتح العين والمد، (تفرش له) أي تفرشها بعض نسائه له، (حيثما تنقل) أي إذا ذهب إلى بيوت نسائه، تنقل معه، (تثنى طبقتين) أي تفرش له العباءة طاقتين تحته .

روى الترمذي عن جعفر الصادق قال: سألت حفصة، ما كان فراش المصطفي في بيتك؟ قالت: مسحاً نثنيه ثنتين، أي نعطف بعضها على بعض، فينام عليه، فلما كان ذات ليلة، فقلت: لو ثنيته أربع ثنيات، أي طاقات، لكان أوطأ، أي ألين، فثنيناه له، أي بحيث صار طاقاته أربعاً، فلما أصبح قال: ما فرشتموه الليلة؟، قلنا: هو فراشك، إلا أننا ثنيناه بأربع ثنيات، وقلنا هو أوطأ لك، قال: ردوه لحالته الأولى، فإنه منعتني وطاءته صلاتي الليلة، لأن تخفيف الوطاء يبعث على اليقظة غالباً، وثقيله يمنعه .

(وربما نام على حصير) في بعض الأحيان، وهذا من كمال عدم التفاته إلى الترفيه والتنعم، (و) ربما نام (على الأرض جرداً) أي بغير فراش، (وما عاب مضجعاً قط) بفراش أو غيره، (وإن فرش له) فراشاً (اضطجع عليه، وإلا) أي وإن لم يفرش له اضطجع (على الأرض) ولا يطلب شيئاً .

طيبه ﷺ : (وكان يحب الطيب) روى أحمد والنسائي والحاكم عن أنس، مرفوعاً: حبب إليّ من دنياكم ثلاثاً: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة، (ولا يرده) أي لا يرد الطيب .

وفي [الشمائل] عن أنس: أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب، (ويكره الرائحة

الكريهة) .

روى أبو داود والحاكم عن عائشة: أنها صنعت لرسول الله ﷺ جبة من صوف ليلبسها، فلما عرق وجد رائحة الصوف فخلعها، (ويتطيب بغالية) وهو أخلاط من الطيب، مركبة من مسك وعنبر وعود وكافور، (ومسك) بكسر الميم، أي ويتطيب بمسك، وهو دم مجتمع في سرة الغزال، تمرض لأجله ثم تسقط منه .

روى البخاري في [تاريخه]، والنسائي: أنه كان يتطيب بزكاة الطيب المسك، والعنبر، وفي حديث مسلم: أن أطيب الطيب المسك، (ويتبخر بكافور وعود) وهما معلومان، ويتكحل بالإثمد، بكسر الهمزة والميم بينهما مثلثة ساكنة، حجر الكحل المعروف .

(ويكتحل في كل عين ثلاثاً،) روى الترمذي عن ابن عباس: أن المصطفى ﷺ كانت له مكحلة يكتحل منها ثلاثاً في هذه وثلاثاً في هذه .

(و) كان (لا يفارقه خمس) من الآلات (المرآة) بكسر الميم والمد، (والمكحلة بضم الميم، وعاء الكحل، (والمشط) أي يمتشط ويسرح به، وهو بضم الميم عند الأكثر، (والسواك والمدرات) شيء يعمل من حديد أو خشب، على شكل سن من أسنان المشط وأطول، يسرح به الشعر المتلبد .

أخرج العقيلي عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان لا يفارقه في الحضر ولا في السفر، خمس: المرآة والمكحلة والمشط والسواك والمدرات .

(و) كان (يأمر بالباءة) أي الزواج، (وينهى عن التبتل) أي التعزب، (نهياً شديداً) وفي البخاري عن سعد: نهى النبي ﷺ عن التبتل .

معاملاته ﷺ : (وباع) على بعض (واشترى) من بعض (بنقد) حاضر (ونسيئة) آجلة، (والأغلب) الأكثر، (بعد البعثة الشراء) من الناس (وبعد الهجرة إلى المدينة المنورة، و(لم يحفظ) عند المحدثين (البيع) منه ﷺ (إلا في ثلاث صور توجد في كتب الحديث .

(وأجر) نفسه (واستأجر) غيره (وهو الأغلب) أي الأكثر، (وأجر نفسه قبل النبوة) أي قبل أن يُرْسل، (للرعي وللتجارة) كما في سفره للشام بمال خديجة، حين قالت له: بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وأنا آتيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك، فقال: سأفعل، وسافر مع ميسرة، كما في القصة المتقدمة، (وشارك ووكّل) غيره، (وتوكل) هو لسواه، وهو الأكثر من توكيله لغيره، (ووهب) لسواه وذلك كثير، (ووهُب) بالبناء للمفعول (له) أي أوهب غيره له، (واستعار) كما مرّ في غزوة هوازن من استعارة الدروع والأرماح، (وضمن عن الله ضماناً خاصاً) كبشارته للعشرة بالجنة وغير ذلك، (و) ضمن عن الله أيضاً (عاماً) كقوله: من حفظ بين لحييه ورجليه، ضمنت له الجنة، وغير ذلك .

(وتشفّع) في بعض الوقائع، (وتُشفِّع إليه) وكان يقول: اشفعوا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء، وشفع في أمر (ولم يُقبل) في ذلك، (فلم يغضب) لعدم طلبه لحظ نفسه .

(وكان يكثر القسم بالله) ، وأخرج ابن ماجه عن ابن عمر: كان أكثر أيمانه، لا ومصرف القلوب، وكان يقول أحياناً: والذي نفسي بيده، (والثابت منه) أي من القسم (يزيد على ثمانين مرة) يجد ذلك من اطلع على كتب الحديث .

استماعه ﷺ الشعر: (و) كان (يسمع الشعر) وكان أصحابه يتناشدون بين يديه، وفي صحيح مسلم: كانوا يتناشدون الشعر بين يديه، (ويهب قائله) أي قائل الشعر (إذا مدحه) ﷺ (حق بحق) أي بكلام حق، ووصف محقق، ككلام حسان، وقصيدة كعب بن زهير المعروفة، التي مطلعها بانت سعاد، وكعطائية بردته.

(وما قيل فيه) من النظم والنثر في حياته وبعد وفاته، (فقطرة) ظهرت (من بحار كماله) وكيف وقد مدحه مولاه. وقال ﷺ : **لا يعرفني حقيقة غير ربي** .

ولله در ابن الخطيب الأندلسي، حيث قال:

ومدحتك آيات الكتاب فما عسى ... يثني على علياك نظم مديحي

وإذا كتاب الله أثنى مفصحاً ... كان القصور قصور كل فصيح

وقال سيدي شرف الدين، عمر بن الفارض في فائيته:

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

(بخلاف غيره) من الممدوحين (فغالبه) أي فغالب الشعر للممدوحين به، (زور وكذب) لا يوجد كل ما قيل فيهم، (فلذا قال) ﷺ في الحديث الذي رواه الحاكم عن أبي هريرة: (احثوا في وجوه المدّاحين التراب) وقد فعل مثل ذلك عثمان، فحثا التراب في وجه بعض من مدحه .

(وسابق) وكان هو السابق .

(وصارع) وصرع كل من صارعه.

(وطلّق) كما مرّ في قصة حفصة، حيث قال له جبريل: راجع حفصة، فإنها صوّامة قوّامة، وهي زوجتك في الجنة، (وآلى) وذلك عام تسع وكان الإيلاء شهراً كاملاً، وسببه أنه ذبح ذبحاً فقسمته عائشة بين أزواجه، فأرسلت إلى زينب بنت

جحش نصيبها فردته، فقال: زيديها منه، فزادتها ثلاثاً، كل ذلك ترده، فقال: والله لا أدخل عليكن شهر، وجلس في مشربته، فلما كانت ليلة ثلاثين، دخل على عائشة، فقالت: أليس قد آليت أن لا تدخل شهراً؟، قال: إن الشهر يكون تسعاً وعشرين، والمشربة بشين معجمة، غرفة درجها من جذوع، (وزعم الظهار غلطاً) كما حققه الحافظ.

(وضاف) عند غيره، كما مرّ في قصة أبي الهيثم وغير ذلك، (وأضاف) وذلك كثير جداً، (وداوى) غيره، (وتداوى) لنفسه، (بمفرد ومركب) أي بدواء منفرد و مركب .

(ورقى واسترقى، وفي الترمذي عن ابن عباس: كان يعلمهم من الحمى والأوجاع كلها، أن يقولوا: باسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار، ومن شر حر النار.

وفي الصحيحين عن عائشة: إذا أتى مريضاً، أو أُتي به، قال: أذهب البأس رب الناس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً .

(وحذر من التخمة) أي كثرة الأكل المؤذية، قيل للشبلي رضي الله عنه: إن ابنك تخم البارحة، قال: لو مات ما صليت عليه، (وكثرة الأكل) أي حذر من كثرة الأكل، لأنه يقسي القلب، (وكان آخر عمره، يدخر قوت سنة لأهله) لا لنفسه، فإنه كان من حيث نفسه لا يبيت شيئاً له، ليأكله في الغد، وادخاره في هذا لا ينافي مما مرّ أنه لا يبيت على دينار ولا درهم، لأنه إنما كان يدخر لأهله لا لنفسه كما ذكرنا .

قال المناوي في [شرح ألفية السيرة]، بعد أن تكلم وأطال في أنه كان لا يأوى في منزله شيئاً، وهذا لا ينافي أنه كان يدخر قوت سنة لعياله، لأنه كان قاسماً، فلما يحصل

المال في يده يقسمه لعياله، مثل ما يقسم لغيرهم، فإن لهم حقاً في بيت المال، وهم لا تطمئن نفوسهم إلا بإحرازه، وأما هو وبقية الأنبياء فلا يدخرون لأنفسهم شيئاً مطلقاً، (مع إنفاقه) لذلك المدخر (قبل التمام) أي قبل تمامه .

روى الشيخان عن عائشة: توفي ﷺ وليس عندي شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف، فأكلت منه حتى طال ... إلى آخر الحديث .

أحب العمل إلى رسول الله ﷺ : (وكان أحبّ العمل إليه) ﷺ (أدومه) لأن المداومة توجب ألفة النفس للعبادة الموجبة لإقبال الحق تعالى، (وأيسره وإن قلّ) ذلك العمل .

وفي الترمذي والنسائي عن عائشة وأم سلمة: كان أحبّ العمل إليه ما دوّم عليه وإن قلّ، وفي البخاري عن عائشة: كان أحبّ الدين إليه ما داوم عليه صاحبه .

(و) كان (يذكر الله) جلّ جلاله بقلبه ولسانه، (في كل أحيانه) أي أوقاته متطهراً ومحدثاً، وقائماً وقاعداً ومضجعاً، وماشياً وراكباً، وظاعناً ومقيماً .

وأخرج مسلم وغيره، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان يذكر الله تعالى على كل أحيانه، (وله في كل حال) من أحواله (ذكر) لربه عزّ وجلّ لايق بذلك الحال .

(وله في كل حال وعلى كل أمر) من الأمور (حمد) يثني به على ربه، (وشكر) بشكر به مولاه، على عظيم نعمه .

(وله صلوات) زيادة على الفرض، فمنها إحدى عشرة، أو ثلاثة عشرة ركعة في الليل، وفي [الشمائل] عن ابن عباس: كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، وفي [الشمائل] أيضاً عن عائشة: ما كان رسول الله ﷺ ليزيد في رمضان ولا في غيره، على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم

يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً إلى آخره، ومنها ركعتا الضحى .

وفي [الشمائل] عن عائشة: كان النبي ﷺ يصلي الضحى، قالت: نعم أربع ركعات، ويزيد ما شاء الله .

صيامه وبعض أفعاله ﷺ : (و) له (صيام ومرتبات) أي الصلاة والصيام، (في كثير الأوقات) أي أغلبها، وفي [الشمائل] عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس، وفيها أيضاً عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، وأحبّ أن تعرض أعمالي وأنا صائم، وفيها أيضاً عن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام، وقلّ ما كان يفطر يوم الجمعة، (و) كان (يصوم حتى يقال لا يفطر وعكسه) أي ويفطر حتى يقال لا يصوم، وفي حديث في البخاري، عن ابن عباس: ويصوم حتى يقول القائل لا والله لا يفطر، ويفطر حتى يقول القائل لا والله لا يصوم، (وأكثر صيامه في شعبان) .

وفي [الشمائل] عن عائشة: ما كان رسول الله ﷺ يصوم في شهر أكثر من صيامه في شعبان .

قيامه ﷺ ليلاً : (وكان يقوم من الليل) يتهجد (حتى تتفطر قدماه فتقول له) أم المؤمنين (عائشة) رضي الله عنها، حبيبته الصدّيقة، قيل إنها روت عنه ﷺ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، لها في الصحيحين مائتان وسبعة وتسعون حديثاً، انفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بتسعة وستين، (أتتكلف) والتكلف اسم لما يفعله بمشقة، (هذا) أي أتتحمل هذه الكلفة، وتتعب نفسك، وتحملها المشاق التي لا تطاق، (وقد

غفر الله لك، فيقول) جواباً لها: (أفلا أكون عبداً شكوراً)، استفهام على طريق الإشفاق، أي إذا أكرمني مولاي بغفرانه، أفلا أكون عبداً شكوراً لإحسانه .

دعاؤه ﷺ : (وكان أكثر دعائه) ﷺ (يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك)، وكان كثيراً في سجوده، يقول الدعاء (هذا وقد جمع الله له محاسن السير) بتأديبه له، وتهذيبه لجنابه، وقسمته السابقة .

وفي البخاري: إن الله قسّم بينكم أخلاقكم، كما قسّم أرزاقكم، فكان له أكمل الأخلاق الزكية، وأشرف السير الكرضية، وجمع مكارم الاخلاق، (وأحاسن السياسة والخير) فساس العرب الذين هم كالوحوش الشاردة، وصبر على طباعهم المتنافرة المتباعدة، حتى قاتلوا دونه أهلهم، وهجروا في رضاه أوطانهم، وهذا من غاية كمال عقله، الذي لم يصل إليه أحد غيره .

ولهذا روى أبو نعيم وغيره، عن وهب: أنه وجد في إحدى وسبعين كتاباً، أن الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل، في جنب عقله، إلا كحبة رمل من رمال جميع الدنيا .

(مع أنه أمي نشأ) وتربي (بين جهال) لا يعرفون قبل ذلك ديناً، ولا يرون على الوجه المطلوب تقبيحاً أو تحسيناً، فتربى بينهم (يتيماً من أبويه) كما تحرر قبل هذا، فما أعظم نعم مولاه عليه .

ومع هذا فتربيته (في فقر) في الدنيا، ولكن نفسه غنية لقناعته بالله، (ورعاية غنم) وفي الحديث: ما من نبي إلا ورعى الغنم، (فعلّمه الله مكارم الأخلاق) كما روى البخاري في [الأدب] وغيره: إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق .

وفي رواية البزار: مكارم، بدل لصالح، (وجعل له من أكارم الآداب) التي أدّبه بها، كما في حديث: أدبّني ربي فأحسن تأديبي، (أوفر) وأتم (أخلاق)، وكان في غاية الشفقة والإرفاق، ﷺ من الخلاق، ما ملأ إمداده الكونين والطباق .



معجزاته ﷺ

الباب الثالث من أبواب هذا الكتاب، (في المعجزات) له ﷺ جمع معجزة، وهي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، وهو ﷺ أكثر الأنبياء معجزات، (والخصائص) التي اختص بها

معجزاته ﷺ (أما المعجزات) فقيل: إنها تبلغ ثلاثة آلاف سوى القرآن، فإنه فيه نحو ستين ألف معجزة، (فأعظمها) أي المعجزات .

القرآن الكريم: (القرآن) العظيم (الذي أعجز الملك والإنس والجان) أن يأتوا بآية من مثله ومعجزاته، تبقى على تعاقب الأزمان، لا يمر عصر إلا ويظهر فيه شيء آخر منها، وهذا هو الإحسان .

انشقاق القمر: (و) منها (انشقاق القمر) حتى افترق فرقتين، وذلك لما سأله كفار مكة آية، وبالغوا في عناده، فطلبوا أن ينشق له القمر، فسأل ربه فانشق له كما نصّ عليه القرآن، وتواترت به الأحاديث الحسان، روى أبو نعيم، عن ابن عباس: أن ذلك كان ليلة أربعة عشر.

نبع الماء من بين أصابعه ﷺ : (و) منها (نبع الماء من بين أصابعه في قدح صغير حتى شرب العسكر، وتوضئوا) روي: أنه لما شكوا إليه في غزوة تبوك العطش، طلب فضل ماء، فأوتي بها، فصبها في صحفة، ثم وضع راحته فيها فتخللت عيون من بين أصابعه، كأمثال الأنهر، فتوضئوا كلهم وشربوا، وكانوا ألفاً وخمسمائة ، قال جابر: ولو كنا مائة ألف لكفانا .

إطعام العدد الكثير من الطعام القليل: (و) منها (إطعام ألف من أقل من صاع) روى الشيخان عن جابر: أنه رأى المصطفى ﷺ يوم الخندق جائعاً، فأخبر امرأته فأخرجت صاعاً من شعير، وداجن فذبحتها، وطبخت الشعير، فلما وضعت اللحم

في البرمة، ذهب إلى المصطفى ﷺ فأخبره سراً، وطلبه أن يأتي برجل أو رجلين معه، فصاح: أن جابراً صنع سؤراً، أي ضيافة، فحياهلا لكم، ثم أمره أن لا ينزل البرمة، ولا يخبز العجين حتى يجيء، فجاء فبصق في البرمة والعجين، ثم أمرها أن تغرف من برمتها ولا تنزلها، فأكلوا وهم ألف حتى تركوه، وإن عجينهم وبرمتهم كما هما .

كلام الشجر والحجر: (و) منها (كلام الشجر والحجر) روى عن عائشة عنه ﷺ أنه قال: لما استقبلني جبريل بالرسالة، جعلت لا أمر بشجر ولا حجر، إلا سلم عليّ .

حنين الجذع: (و) منها (حنين الجذع) أى شوقه، وذلك أن المصطفى ﷺ قبل أن يعمل له المنبر، كان يخطب على جذع في المسجد، فلما صنع له المنبر ثلاث درجات، فتخطى الجذع يوم الجمعة، ورقى المنبر ليخطب عليه، فصاح الجذع، (لما فارقه حتى سمع منه كصوت الإبل) كما في رواية: حنين الناقة، (فضمّه) المصطفى ﷺ (إليه فسكن) وهذا من إتمامها .

انزواء الأرض: (و) منها (انزواء الأرض له) بكسر الزاي وفتح الواو، أي جمع الأرض وضم بعضها إلى بعض له ﷺ، حتى شاهدها، فرأى مشارقها ومغاربها، فقال ﷺ : ما زواه الله لي سيبلغ إليه ملك أمتي، أي يصل إليه، فبلغ ذلك، كما أخبر أصحابه بذلك .

تسبيح الحصا: (و) منها (تسبيح الحصا بكفه) روى الطبراني في [الأوسط] : أن المصطفى ﷺ كان عنده أبو بكر وعمر وعثمان، فقبض حصيات فسبحن في كفه،

حتى سمع لهن حس كحس النحل، فناولهن أبا بكر فسبحن في يده، ثم عمر ثم عثمان كذلك، ثم أخذها الحاضرون، فلم تسبح مع أحد .

تسبيح الطعام: (و) منها تسبيح (الطعام لحضرته) روى البخاري عن ابن مسعود: كنا نسمع تسبيح الطعام، ونحن نأكل مع رسول الله ﷺ .

كلام الذراع: (و) منها (كلام الذراع) له ﷺ ، ورد في البخاري: لما أهدت زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، في غزوة خيبر، شاة مسمومة، وأكثرت السم في الكتف والذراع، فإنه بلغها أنه أحبّ أعضاء الشاة إليه، فأكل منها وناس من أصحابه، فيهم بشر بن البراء، فتناول النبي ﷺ الكتف، فلما ازدرد لقمة، قال: إن كتف هذه الشاة أخبرني أنه مسموم، فلم يقم بشر من مكانه، حتى تغير لونه، ولم يصل إلى المصطفى ﷺ شيء، وعاش بعدها أربع سنين .

سلام الغزال: (و) منها (سلام الغزال) روي بينما رسول الله ﷺ في صحراء، إذ هاتف يهتف: يا رسول الله، ثلاث مرات، فالتفت فإذا ظبية مشدودة في وثاق، وأعرابي نائم عندها، قال: ما حاجتك؟، قالت: صادني هذا الأعرابي، ولي خُشْفان، في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب إليهما أرضعهما، وأرجع، قال: وتفعلين؟، قالت: عذبني الله عذاب العشّار، أي المكّاس، إن لم أعد، فأطلقها، وذهبت ورجعت فأوثقها، أي ربطها ﷺ، فانتبه الأعرابي، فقال: يا رسول الله، ألك حاجة؟، قال: تطلق هذه الظبية، فأطلقها، فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً، وهي تضرب برجلها الأرض، وتقول: أشهد أنك رسول الله، كذا في [شرح الهمزية] لابن حجر .

شهادة الذئب بالرسالة: (و) منها (شهادة الذئب له بالرسالة) روى الطبراني وأبو نعيم، عن أبي سعيد: بينما راع يرعى بالحرَّة، إذ انتهز الذئب شاة، فتبعه الراعي

فحال بينه وبينها، فقال له: ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله لي، فقال الراعي: العجب من ذئب يقعى على ذنبه، يكلمني بكلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بما هو أعجب: رسول الله ﷺ بين الحرتين يدعو الناس إلى أنباء ما قد سبق، فجاء الراعى فأخبر النبي ﷺ، فقال: صدق الراعي، والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى يكلم الرجل شراك نعله، ويحدثه سوطه، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده .

شكاية البعير: (و) منها (شكاية البعير) روى أبو داود وأبو نعيم والبغوي وغيرهم، عن عبد الله بن جعفر: أنه ﷺ أردفه ذات يوم خلفه، فدخل حائط رجل من الأنصار، فوجد فيه بعيراً، فلما رآه حنّ وذرفت عيناه، فمسح عينيه فسكت، فنادى صاحبه، فقال له: إنه شكا إلى أنك تجيعه .

سعي الشجرة إليه ﷺ : (و) منها (سعي الشجرة إليه) روى الطبراني وأحمد والحاكم، عن يعلى بن مرة أنه قال: خرجت مرة مع المصطفى ﷺ في سفر، فقال: اذهب إلى تلك الشجرتين ، فقل لهما: رسول الله يأمركما أن تجتمعا، فذهبت، فقلت لهما، فاجتمعتا، فقضى حاجته، فتفرقتا.

رد عين قتادة: (و) منها (رد عين قتادة) بن النعمان بن زيد الأنصاري، يوم أحُد أو يوم بدر، أو يوم الخندق (فكانت أحسن عينيه)، روى الحاكم وأبو نعيم عن قتادة: أنه أصيبت عينه يوم أحُد، فوقعت على وجنته، فردها النبيﷺ بيده، فكانت أصح عينيه وأحدَّهما، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وقد جاء في رواية: اللّهم اجعلها أحسن عينيه، فكانت كذلك .

شفاء عين علي الرمداء: (و) منها (تفله) بمثناة فوقية، أي بصقه (في عين علي) ابن أبي طالب، (وهي رمداء فبرئت، ولم يرمد بعد)، وذلك في غزوة خيبر، قال: لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فتشوّق كل أحد لذلك، فسأل عن علي، فقيل له: به رمد، فدعاه فجاء، وإنسان يقوده لشدة الرمد، ففتح عينيه وتفل فيهما فبرأتا، وفي الطبراني عن علي: فما رمدت ولا صعدت منذ دفع المصطفى ﷺ الراية يوم خيبر .

منع الحر والبرد عن علي، رضي الله عنه: (و) منها (دعاؤه) ﷺ (له) أي لعلي رضي الله عنه، (بمنع الحر والبرد) عنه (فلم يحس بهما بعد)، روى البيهقي عن يعلى: كان يلبس في الحر الشديد القبأ المحشو الثخين، وفي البرد الشديد ثوبين خفيفين، ويقول: إن رسول الله ﷺ أعطاني الراية، وقال: اللّهم اكفه الحر والبرد، فما وجدت بعده حراً ولا برداً .

استجابة دعائه لابن عباس، رضي الله عنهما : (و) منها (دعاؤه) (لابن عباس) عبد الله، رضي الله عنهما ، (بالتفقه في الدين، فصار البحر المعين) الواسع.

روى البخاري عنه، قال أتي ﷺ الخلاء، فوضعت له وضوءاً، فلما خرج قال: من صنع هذا؟، قالوا: ابن عباس، قال: اللّهم فقّهه في الدين، وكان رضي الله عنه، تقياً ورعاً عارفاً .

قال ابن مالك في [شرح المشارق] : قيل كان حبر هذه الأمة، روي عن النبي ﷺ ألفاً وستمائة وستين حديثاً، له في الصحيحين مائتان وأربعة وثلاثون حديثاً، انفرد البخاري بمائة وعشرة، ومسلم بتسعة وتسعين .

استجابة دعائه لأنس، رضي الله عنه : (و) منها دعاؤه (لأنس) بن مالك الأنصاري، خادمه، (بالمال الولد والعمر، فرزق مائة ولد، وعاش مائة) سنة، (وصارت نخله تحمل في العام مرتين).

روى الشيخان، قالت أم سُلَيْم: يا رسول الله، ادع الله لأنس، فقال: اللّهم أكثر ماله وولده، وبارك فيه .

وكان رضي الله عنه عالماً عاملاً، قال ابن الملك: قيل ما رواه عن النبي ﷺ ألفان ومائتان وعشرة أحاديث له في الصحيحين، ثلاثمائة وثمانية عشر حديثاً، انفرد البخاري بثمانين، ومسلم بتسعين .

شفاؤه لرجل ابن عتيك: (و) منها (مسح رِجل) عبد الله (بن عتيك) الأنصاري، (لما انكسرت، فصحّت) وذلك عندما نزل من درج ابن أبي الحقيق لما قتله .

وفي البخاري عنه: لما انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي، وأنا أرى أن قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، وفي رواية: فانطلق إلى أصحابه فأخبرهم بقتله، فلما وصل إلى المصطفى ﷺ مسح رِجله، قال ابن عتيك: فكأني لم أشكها .

إخباره بقتل أبي بن خلف: (و) منها (إخباره بقتل أُبَيْ بن خلف) بن وهب، (فخدشه يوم أُحُد خدشاً يسيراً جداً) روى ابن إسحاق: أن أُبَيْ بن خلف كان يقول للمصطفى ﷺ : إن عندي قعوداً أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة، أقتلك عليه، فيقول المصطفى ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الل ، فلما كان يوم أُحُد طعنه المصطفى ﷺ في عنقه، وكان يومه، يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فدنا منه، فتناول المصطفى حربة من يد الحارث بن الصمة، وطعنه في عنقه، فخدشته غير كبير، فقال: قتلني

محمد، فقال له الكفار: ليس بك بأس، قال: إنه قال أقتلك، فو الله لو بصق عليّ لقتلني، (فمات) بسرف، وهم قافلون إلى مكة .

إخباره بمصارع كفار قريش في بدر: (و) منها (عدّه) بفتح العين ودال مشددة، (مصارع الكفار قبل الواقعة في) وقعة (بدر) المشهورة (فقُتل كلٌ فيما عيّنه) .

روى مسلم وأبو داود، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ هذا مصرع فلان غداً، ووضع يده على الأرض، فقال: والذي نفس محمد بيده، ما جاوز - أي ما تعدى - أحد مصرعه الذي عيّنه .

امتلاء أعين الكفار في بدر وحنين بقبضة من تراب، فدخل في عيون الجميع: (و) منها (رميه الكفار) في بدر وفي حنين، (بقبضة من تراب فامتلأت أعينهم، فهزموا) .

روى مسلم، عن سلمة بن الأكوع: غزونا حنيناً مع المصطفى ﷺ وفيه قبض قبضة من تراب، ثم استقبل به وجوههم، وقال: شاهت الوجوه فما خلق الله تعالى منهم إنساناً، إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين .

خروجه من بيته إلى الهجرة وعمى الكفار عن رؤيته: (و) منها (خروجه على مائة من قريش ينتظرونه) للغدر (ووضعه على رءوسهم التراب، فلم يروه) وذلك حين أراد الهجرة، واجتمعوا ببابه، وأخذ كل منهم سيفاً ليضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل، وذلك برأي أبي جهل، واستحسان إبليس، لعنهما الله، فخرج عليهم ووضع التراب على رءوسهم، فلم يره منهم أحد، كما مرّ بسطه .

دعاؤه على عتبة، واستجابة الدعاء: (و) منها (دعاؤه على عتبة) بضم المهملة وسكون المثناة الفوقية، زوج بنت النبي ﷺ أم كلثوم، (ابن أبي لهب، بقوله: اللّهم سلّط عليه كلباً من كلابك، فأكله الأسد) بالزرقا من أرض الشام .

روى أبو نعيم، عن الأسود بن هبار، قال: تجهز أبو لهب وابنه نحو الشام، وتجهزت معهما، فنزلنا بقرب صومعة راهب، فقال الراهب: ما أنزلكم هنا سباع، فقال أبو لهب: أنتم عرفتم نسبي وخلقي، قلنا: أجل، قال: إن محمداً دعا على ابني، فاجمعوا أمتعتكم على هذه الصومعة، ثم افرشوا لابني عليه وناموا حوله، ففعلنا، فجاء الأسد فشمّ وجوهنا، ثم وثب، فقطع رأسه، فقال: قبل ذلك سيفي يا كلب، فلم يقدر على غير ذلك .

ما أخبر به عما يصيب عثمان، رضي الله عنه **:** (و) منها (قوله في عثمان) بن عفان، رضي الله عنه، (تصيبه بلوى عظيمة) شديدة، (فكان) من أمره (ما كان)، روى البخاري، من حديث أبي موسى: فجاء عثمان، فاستاذنت له، فقال: ائذن له وبشّره بالجنة، مع بلوى تصيه .

إخباره بقتل الأسود العنسي : (و) منها (إخباره بقتل الأسود) بن كعب (العنسي)، واسمه هيلة، وكان يلقب ابن الخمار، بزعمه الذي يأتيه ذو خمار، (في صنعاء، مدينة معروفة في اليمن، أول من نزلها صنعا بن عادال، فسميت به، وذكره (ليلة قتله).

واختلف هل كان قتل الأسود، في حياة المصطفى ﷺ أوفى خلافة أبي بكر.

قال ابن عبد البر والصحيح: أنه قتل قبل وفاة المصطفى ﷺ، فأخبر به في مرض موته ، روى ابن عساكر بسنده إلى الصحابي: سمعت المصطفي ﷺ في مرضه الذي مات فيه، وذكر العنسي، فقال: قتله الرجل الصالح فيروز .

إخباره بإغتيال كسرى يوم موته : (و) منها إخباره (بأن كسرى) بكسر الكاف، ملك الفرس، وكسرى لقب لكل من ملك فارس، واسم كسرى هذا أبرهة وزير

ابن هرمز آن شروان، وفي البخاري: بعث المصطفى ﷺ عبد الله بن حذيفة إلى كسرى بكتابه، فمزّقه، فقال: مزق الله ملكه، وذلك الاخبار أن كسرى في يومه، (قتل بفارس) وكان ذلك الأخبار (في يوم قتله)، وذلك أن كسرى سيّر إلى عامله باليمن، (باذان) أن أبعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل، الذي بالحجاز، فيأتيا بخبر منه، فبعث قهرمانه ورجلاً آخر، وكتب معهما كتاباً، فقدما به إلى المصطفى ﷺ فتبسم ودعاهما إلى الإسلام، وفرائصهما ترعد، ثم قال: ارجعا عني يومكما هذا، حتى تأتياني الغد، فأتياه، فقال لهما: أما صاحبكما باذان فإن ربي قتل ربكم هذه الليلة، لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جماد الأول، سنة سبع، وأن الله تعالى سلّط عليه ابنه شيرويه فقتله، فرجعا إلى باذان، فأسلم .

إخباره أن الفئة الباغية تقتل عمار بن ياسر، رضي الله عنه: (و) منها أخباره (بأن عمار بن ياسر (تقتله الفئة الباغية، فقتله جيش مغاوية).

روى البخاري، عن ابن عباس، قال لعكرمة ولولده علي: ائتيا أبا سعيد الخدري، فاسمعا من حديثه، قالا: فأتيناه هو وأخوه في حائط لهما يسقيانه، فلما رآنا جاء فاحتبا ثوبه، وجلس، فقال: كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فمرّ به النبي ﷺ ومسح عن رأسه الغبار، وقال: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، وهم يدعونه إلى النار .

إخباره أن الزهراء، رضي الله عنها، أول أهله لحوقاً به ﷺ: (و) منها إخباره (بأن فاطمة) الزهراء البتول، رضي الله عنها، بنته ﷺ (أول أهله لحوقاً به، فكان)، وذلك أنه أسرّ

إليهاﷺ بأنها أول أهله لحوقاً به، فماتت بعده، بنحو ستة أشهر، وسنها أربع وعشرون سنة، ودفنها علي ليلاً بوصيتها .

إخباره بأول زوجاته موتاً : (و) منها إخباره (بأن أطول نسائه يداً أسرعهن لحوقاً به)، (فكانت زينب) المكرمة بنت جحش التي زوّجه الله بها، وكان اسمها قبل برة، فسمّاها زينب، (لطول يدها بالصدقة) وكانت تسامي عائشة في المنزلة عنده ﷺ، أواهة قوامة صوامة،كثيرة الصدقة والإيثار، أول من مات من زوجاته بعده ﷺ .

وأخرج ابن عساكر، عن واثلة: أن رسول الله ﷺ قال: أول من يلحقني من أهلي أنت، يا فاطمة، وأول من يلحقني من أزواجي زينب، وهي أطولكن كفاً .

إخباره باستشهاد الحسين رضي الله عنه **:** (و) منها إخباره (بقتل الحسين) بن علي والزهراء، (ومصرعه وأهله، فكان كذلك) وفي الحديث: إن ملك القطر استأذن أن يزور المصطفى ﷺ، فأذن له، وكان في بيت أم سلمة، فجاء الحسين فاقتحمه فقبله، فقال له: أتحبه؟، فقال: نعم، قال: إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فجاء بسهلة، أي رمل خشن أو تراب أحمر، فأخذته أم سلمة فجعلته في قارورة، فقال: إذا صار دماً، فاعلمي أنه قد قُتل، فوجدته يوم موته قد استحال دماً عبيطاً، وقد أخبر أنه يقتل بالطَّف .

إخباره بمن يغزون في البحر من أمته : (و) منها إخباره (بان طوائف من أمته يغزون) كالملوك على الأسِرّة، (في البحر، فوقع)، وفي البخاري ،عن أم حزام، قالت: نام المصطفى ﷺ يوماً عندي، ثم استيقظ يتبسم، فقلت: ما أضحكك يا رسول الله؟، قال: ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله، يركبون سبج هذا البحر

الأخضر، كالملوك على الأسرة، فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا ثم نام، فقال مثل الأول، فقالت: ادع لي أن أكون منهم ، قال: أنت من الأولين، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت، أول ما ركب المسلمون البحر، فلما انصرفوا قافلين، نزلوا إلى الشام، فقدمت إليها دابة لتركبها، فصرعت فماتت، ودفنت بجزيرة قبرص بخلافة عثمان، اسمها الغميصاء أو الرميصاء بنت ملحان، أخت أم أنس، وقوله: سبج هذا البحر، أي وسطه ومعظمه .

بعض معجزاته الأخرى: (و) منها (قوله لرهط) أي جماعة (مجتمعين أحدكم في النار) أي يكون في النار، (فماتوا كلهم مسلمين) أي على دين الإسلام، (إلا واحداً) منهم (ارتد) عن الإسلام، نعوذ بالله .

وفي [الشفا] لعياض في المعجزات، وقال لقوم من جلسائه: ضرس أحدكم في النار، أعظم من أُحُد، قال أبو هريرة: فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا، ورجل فقتل مرتداً .

(و) منها (مسحه) بيده الكريمة على (ضرع شاة حائل) أي ليس بها لبن (فدرّت) من حينها، كما مرّ في قصة أم معبد، وغير ذلك.

قال القاضي عياض في [الشفا]، في فصل انقلاب الأعيان، فيما لمسه أو باشره، ومنه بركته في درور الشياه، الحوائل باللبن الكثير، كقصة شاة أم معبد، وعنز معاوية، وشاة أنس، وغنم حليمة مرضعته، وشرّفها، وشاة عبد الله بن مسعود، وكانت لم يَنْزِ عليها فحل، وشاة المقداد .

(و) منها (قوله للحكم بن العاص) ابن أمية بن عبد شمس، وكان يؤذي المصطفى ﷺ ويشتمه ويسمعه ما يكره، وذلك كقوله (لما جاءه مستهزءاً، كذلك

فكن) وذلك أنه كان يمشي خلف المصطفى ﷺ يختلج بأنفه وفمه، ويحاكيه في مشيه وبعض حركاته، لأنه كان يتكفأ في مشيته، فكان الحكم يحاكيه، فالتفت المصطفى ﷺ يوماً، فرآه، فقال: فكذلك فلتكن، فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ، وكان من المستهزئين .

(و) قوله (لامرأة) من مرة، (خطبها) ﷺ (فقال أبوها: بها برص) وهو من الأمراض الشداد، (ولم يكن بها) ذلك المرض، إنما فعل ذلك، (منعاً لها)، فقال ﷺ : (فلتكن كذلك)، أي كما قلت، (فبرصت حالاً) في وقتها، فعاد أبوها فوجدها كذلك .

قال ابن سيد الناس في [نور العيون] : وخطب ﷺ امرأة من مرة، فقال أبوها: إن بها برصاً، ولم يكن، فرجع فإذا هي برصاء . انتهى .

(و) منها نكبته (لمن قال له) حين رآه يأكل بشماله (كُلْ بيمينك)، أي بيدك اليمنى، لأن فيها البركة، (فقال: لا أستطيع) أي لا أقدر، (كبراً) لا عجزاً، فلما قال له ﷺ : (لا استطعت) فنفذت فيه الدعوة، (فما رفعها) بعد ذلك (إلى فِيهِ) أي إلى فمه .

وفي [الشفاء] لعياض، في فضل إجابة دعائه ﷺ، وقال لرجل رآه يأكل بشماله، كُلْ بيمينك، فقال: لا أستطيع، فلم يرفعها إلى فيه، واسم هذا الرجل بُسْر بضم الموحدة وسكون السين، كذا ذكره السمين في [حاشية الشفا] .

(إلى غير ذلك) من المعجزات (مما لا يُحصى) كردّ الشمس بخيبر، ومنهـا كـلام الأحجار، ومنها إحياء الموتى، (ويكفي) من كثرتها التي تدل على عـدم عـدّها، (أن منها كرامات الأولياء) رضي الله عنهم ، (التي لا تستقصى) ولا تنضبط ولا تنحصر، من ذلـك قول عمر لسارية: يا سارية، الجبل، وخوض بعض الصحابة البحر بجيشه، ودخول البعض في النار فلم تحرقه، وغير ذلك مما لا يحصره إلا المالك .

خصائصه ﷺ وأنواعها

فصل: وأما الخصائص التي اختص بها، وهي كثير مستقلة شهيرة، وذكرها جائز بل مندوب، بل في الروضة لا يبعد وجوبه، لئلا يرى جاهل بعضها، أنه غير صحيح، فليعمل به أخذاً بأصل التأسي، فوجب بيانها لتعرف، (فأنواعها أربعة) لا غير.

النوع الأول من الخصائص: (أولها الواجبات) في حقه ﷺ (وهي الضحى) أي صلاتها، (والوتر) أي صلاته، وذلك لخبر: ثلاث هن عليّ فريضة، ولكم تطوع، النحر والوتر وركعتا الضحى، رواه البيهقي وضعفه .

وراتبة الصبح) لحديث في المستدرك .

(والأضحية) أي التضحية، قال تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)، ومرّ الحديث الذي فيه مثل ذلك، (والسواك) لكل صلاة، لخبر أبي داود: أنه أمر به لكل صلاة، (والمشاورة) للعقلاء في الأمور عند الجمهور، لآية (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) وهل في الحرب، ومكابدة العدو، أو في أمر الدين،وجوه، حكاها الماوردي .

(وتغيير المنكر) مطلقاً، لحديث في [المستدرك] : ولا يسقط عنه بالخوف بخلاف غيره، وإن ظن أن فاعله يزيد فيه عناداً .

(والمصابرة) على القتال (في الحرب) وإن كثر العدو وزادوا على الضعف، ولو مع الخوف لأنه موعود بالعصمة والنصر.

(وقضاء دين ميت، مسلم معسر) لخبر الشيخين: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي منهم فترك ديناً فعليّ قضاؤه، (وطلاق كارهته) له ﷺ ،(وتخيير زوجاته بين الطلاق والمقام)، لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ...)، الآيتين،

ولئلا يكون مكرهاً بهن على الصبر، على ما أثره لنفسه من الفقر، الذي هو الغنى الحقيقي لذا البر، ولما خيرهن واخترته، حرّم الله عليه التزوج عليهن، والتبديل بهن مكافأة لهن، فقال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ﴾ الآية .

وقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ الآية، ليكون له المنة بترك التزوج عليهن، ولا يشترط الجواب فوراً، ثم من اختارت المقام معه، فليس له طلاقها، ومن اختارت فراقه، ولو متراخية لزمه طلاقها.

(والتهجد) وهو قيام الليل (ثم نسخ) عنه.

النوع الثاني من الخصائص: (ثانيها) أي ثاني أنواع الخصائص (المحرمات) عليه (وهي الصدقة) ولو كانت (نفلاً، والكفارة) قال المناوي في [شرح ألفية السيرة]: سواء كانت الصدقة فرضاً كالزكاة والكفارة، أو نفلاً، لحديث مسلم: إنّا لا نأكل الصدقة، وهي تشمل الفرض والنفل .

(وتعلم الخط)، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ ، وما روي من أنه خطّ في قصة الحديبية، حمل على أنه كان يوصي، أو أنه أمر من خط فنسب إليه الفعل تجوزاً، أو أنه صدر منه معجزة .

(والقراءة) وقد كان ﷺ أمياً، لا يقرأ ولا يكتب، ولا ينبغي له التعلم، ويكفيه تعليم مولاء، (والشعر) أي إنشاؤه، (وروايته) وقراءته في الكتب، لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾، وما روي عنه من الرجز:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

مبني على قول الأخفش وغيره: أن الرجز ليس بشعر، أو أنه لم يقصده، بل وقع مرجزاً، والأصح أنه كان لا يحسن الخط والشعر، فالمراد تحريم التوصل إليهما.

(ونزع لامته) واللأمة بهمزة ساكنة بعد الألف، وقد تخفف، هي الدرع والسلاح، (إذا لبسها قبل القتال)، لخبر: لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها، حتى يقاتل، علقه البخاري، وأسنده الإمام أحمد، وحسنه البيهقي .

(ومد عينيه لمتاع غيره) لقوله تعالى: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ)، أي استحساناً وتمنياً، أن يكون لك مثله أزواجاً منهم، أي أصنافاً وأشكالاً وأشباهاً من الكفار، وذلك لأنه مستخف بالنسبة لما أوتيه، (والإيماء إلى فعل مباح) وهو المعبر عنه بخائنة الأعين، وسمي خائنة لشبهه بالخيانة من حيث خفائه، ولا يحرم على غيره إلا المحظور، وذلك (كقتل وضرب مع إظهار خلافه) أما الخديعة في الحرب فلا تحرم على الأصح، كما في الصحيحين :أنه إذا أراد غزوة ورّى غيرها.

(ونكاح الكتابية) الذمية، حرة كانت أو أمة، غير المسلمة، لقوله تعالى: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) ولا يجوز أن تكون الكافرة أم المؤمنين، ولحديث: زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الجنة، والجنة حرام على الكافرة، (والأمة) ولو مسلمة، لأن نكاحها معتبر بخوف العنت، وهو معصوم، وبفقدان مهر الحرة ونكاحه غنى عن المهر، ابتداء وانتهاء، وبرق الولد ومنصبه ينزه عنه .

(والمن ليستكثر) أي إعطاء العطايا، ليطلب الكثرة، وهو الطمع في العوض، لقوله تعالى: (وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ) ،وكذا الإغارة إذا سمع التكبير، تحرم عليه ذكر ذلك ابن سبع.

النوع الثالث من الخصائص: (ثالثها) أي ثالث أنواع الخصائص (المباحات) والتخفيفات له دون غيره، وخص بها توسعة عليه، وتنبيهاً على أن ما خص به منها، لا يلهيه عن طاعته وإن ألهى غيره .

والمراد بالمباح هنا ما استوى طرفاه، بل ما لا حرج في فعله ولا في تركه، (وهي التزوج فوق أربع) لأنه مأمون الجور، وقد مات عن تسع، ولأن غرضه نشر باطن الشريعة وظاهرها، وكان أشد الناس حياء فأبيح له تكثير النساء، لينقلن ما يرينه ويسمعنه من أقواله، التي قد يستحي من الإفصاح بها بحضرة الرجال .

(و) كذا التزوج (بلا شهود) وكذا بلا ولي ولا شهود معاً، لأن اعتبار الولي المحافظة على الكفاءة، والشهود لأمر الجحود، وهو مأمون منه، والمرأة لو جحدت لا يلتفت إليها، قال القرافي في [شرح المهذب] : تكفر بتكذيبه، (و) له تزوج (من شاء بما شاء لمن شاء) بلا إذن من المرأة، ولا وليها، (و) له أيضاً (تولي الطرفين) بغير إذنها، وإذن وليها.

(و) من المباحات له أيضاً (وجوب إجابته على امرأة خلية رغب فيها) تجبر عليه، (ومكثه بالمسجد جنباً) .

وفي [التخليص] لابن القاضي: يجوز له وخالفه القفال، (وإدامة قضاء النافلة ولو وقت الكراهة)، وقد فاتته ركعتان بعد الظهر، وهي سنته البعدية فقضاهما بعد العصر، وداوم على صلاتهما بعد العصر، وما تركهما حتى لقي الله، كما في البخاري عن عائشة، وهو وقت كراهة لنا .

(و) من خصوصياته (الوصال) في الصوم، فإنه نهى عنه، فقيل له: إنك تواصل، فقال: إني لست كأحدكم، أني أُطْعَم وأُسْقَى .

(وأخذ صفي المغنم والغنيمة) أي ومن المباحات له اختيار ما أحلّ الله لـه، مـن القسمة وغيرها، من قبل قسمة الغنيمة، وكذا من الفئ .

(وخمس خمسها) أي الغنيمة له، وكذا الفيء، كان ينفـق منـه في مصـالحه، ومـا فضل جعله في مصالح المسلمين، وله أيضاً (مع) خمس الغنيمة (سـهمه كغـانم) أي كسهم غانم من الغانمين .

(وشهادته لنفسه وفرعه) أي أولاده، (وحكمه لهما) أي قضاؤه لنفسـه وولـده، وينفذ حكمه بذلك، لأن المنع في حق الأمة الريبة، وهي منفية عنه قطعاً.

(وشهادته) ﷺ (كاثنين) وتجوز الشـهادة لـه بـما ادعـاه، اعـتماداً عـلى دعـواه، (وجوازالشهادة بلا علم) أي تقبل شهادة من شهد لـه، وإن لم يـره، لانتفـاء الريبـة، كقصة خزيمة المذكورة في [السنن] : لما اشترى المصطفىﷺ الفرس، فوفـاه، فقـال خزيمة: أنا أشهد لرسول الله، قال: من أين لك؟، قال: أصـدق رسـول الله، فقـال: شهادتك بشهادتين .

(وحِمَى الموات) وهو الأرض الخالية من العمارة والسكان، (لنفسه) وإن لم يحـم، لخبر البخاري: لا حِمَا إلا لله ورسوله، (وأخذ ما احتاجه من غذاء من محتاجه) وقـال ابن رزين واللباس كالقوت، (وصلاته بعد نومه طاهراً) لكونه كان تنام عينـاه، ولا ينام قلبه، كما صح به الخبر، فلهذا لم ينتقض وضوؤه بالنوم .

النوع الرابع من الخصائص: (رابعها) أي رابـع الخصـائص (الإكـرام) لـه ﷺ، وهو كثير جداً لا يحصره عد، (منه تحريم موطوءاته على غيره) لقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُـولَ الله) الآيـة، ولكـونهن أمهـات المـؤمنين وسراريـه، أي إمـاؤه الموطوءات، يحرمن كذلك على غيره، إكراماً له.

(وكونه خاتم الأنبياء) قال تعالى: (رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)، وفي حديث مسلم: إن الله كتب مقادير الخلق، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، والماء على الريح، ومن جملة ما كتب في الذكر، وهو في أم الكتاب: أن محمداً خاتم النبيين، فلا نبي بعده أبداً، وعيسى إنما ينزل بشرعه، والخضر على القول بنبوته وبقائه إلى آخر الزمان، تابع لأحكام هذه الأمة، وكذا إلياس، (وأفضلهم) بنصِ: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)، وخيرتها تستلزم خيرة نبيها، ومما يصرح بذلك حديث: أنا سيد ولد آدم، وروايته: «أنا أكرمهم على ربي، ورواية الترمذي: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وما من نبي، آدم فمن سواه إلا نحت لوائي، وحديث الحاكم: أنا سيد العالمين، وبه يعلم أفضليته على الأنبياء والرسل والملائكة، حتى أمين الوحي عليه السلام، خلافاً للزمخشري، كيف وجميع المخلوقات خلقت لأجله .

(وأول من تنشق عنه الأرض، ويقرع باب الجنة ويدخلها) لحديث: آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخارن: من أنت؟، فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت، أن لا أفتح لأحد قبلك، قال الجلال السيوطي: وبعده أهل بيته، (وأول شافع) لحديث: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع، رواه مسلم، أي تجاب شفاعته .

(ورسول إلى الثقلين) أي إرساله للإنس والجن، كما رواه الشيخان، (وإن الله أقسم بحياته) وقال تعالى: (لَعَمْرُكَ)، قال المفسرون: خطاب للنبي ﷺ أي وحياتك.

(ولا ينام قلبه) لخبر: تنام عيناي ولا ينام قلبي، (ويري مَن خلفه) كما يبصر من أمامه، زاد ابن رزين: وعن يمينه وعن شماله، (ويبصر في الظلمة) كما صحّ عن ابن عباس: أنه كان يرى في الليلة المظلمة، كما يرى بالنهار في الضوء، (ولا فيء له) أي لا ظل له، لأنه نور، والنور لا ظل له، (ولا يقع عليه الذباب)، كما قال الإمام الرازي، (وأجر نفل صلاته قاعداً كقائم)، قال المناوي: ومن خصائصه أن تطوعه قاعداً، كتطوعه قائماً، ولو بلا عذر، وتطوع غيره بلا عذر على النصف، رواه مسلم، (ومخاطبة المصلي له في تشهده)، وذلك أن يقول: السلام عليك أيها النبي، ورحمة الله، (ولا تبطل صلاته) بذلك، روى البخاري: أن المصطفى ﷺ لما نادى أبا سعيد بن المُعَلا، فلم يجبه لكونه في الصلاة، قال: ما منعك أن تجيب؟، وقد سمعت قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ).

(ويحرم رفع الصوت عنده) أي فوق صوته، لآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) (و) يحرم (نداؤه باسمه) فلا يحل لأحد أن يناديه باسمه، فيقول: يا محمد، بل يناديه بنعته، فيقول: يا رسول الله، وذلك لقوله تعالى: (لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا)، (و) يحرم نداؤه (من وراء الحجرات)، لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)، وكذلك الصياح بالنداء من بعيد، (ولا يورث) لخبر الشيخين: إنا معشر الأنبياء لا نرث ولا نورث، ما تركناه صدقة .

ومن خصائصه: أنه أوتي جوامع الكلم، ومفاتيح خزائن الأرض، وكلم بجميع أصناف الوحي، ومن خصائصه أيضاً: أنه جمع له بين النبوة والسلطان، وأوتي علم كل شيء، ومنها ... فلنقبض العنان .

الباب الرابع

كلامه ودعاؤه ﷺ

الباب الرابع من تبويب المؤلف، (في كلامه) ﷺ (ودعائه) أيضاً .

كلامه ﷺ وأحاديثه الشريفة: (أما الكلام) الذي هو شفاء الأرواح والأجسام، (فبحره طام) ممتلئ، فائض على الدوام، (أعيت قطرته الأقلام، وأعجزت الخاص والعام من الأعلام) من جميع الأنام، (التقطت) من جوامعه، (أربعين حديثاً) ولتكون في المعنى، (تحث على كل فضل)، وخير وبر وقربة (حثيثاً).

الحديث الأول: عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (إنما الأعمال بالنيات)، أي لا عبرة للأعمال التي يمكن أن تكون محلاً للثواب، إلا بالنيات)، (وإنما لكل امرئٍ ما نوى) لا ما نوى غيره، لأن عمل كل عامل معتبر بنيته لا بنية غيره، (فمن كانت هجرته) أي تركه دار الكفر والعصيان للتوبة، (إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله) لا إلى غيرهما، وهو ممدوح على ذلك، (ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها) أي يقصد حصولها أصابها، أو لم يصبها/ (أو) كانت هجرته لـ (امرأة ينكحها) أي يريد نكاحها، نكحها أم لا، (فهجرته إلى ما هاجر إليه) من الدنيا والمرأة، لا إلى الله ورسوله، وهو معلول غير مثاب، رواه الشيخان .

الحديث الثاني: وهو عن أبي عبد الله النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: (الحلال بَيِّنٌ) أي ظاهر بيِّن حكمه، وهو أنه لا مؤاخذة في فعله وتناوله، (والحرام بَيِّن) أي حكمه، وهو أن في فعله وتناوله المؤاخذة والعقاب، (وبينهما أمورٌ) لتعارض دلالتها أو الجهل بها، (مشتبهات لا يعلمهن) أي لا يعلم حكمهن، أو ذواتهن (كثير من الناس) لخفاء حكمهن عليهم، أو ذواتهن، ويعلمهن العلماء بنص أو قياس، أو نحو ذلك، وحكمهن تركهن ورعاً، إذ في تناولها وتعاطيها احتمال ارتكاب الحرام، (فمن اتقى الشبهات) أي اجتنبها، (فقد استبرأ) أي طلب البراءة

(لدينه) من الذنب (وعرضه) من الوقوع فيه بالغيبة ونحوها، (من وقع في الشبهات) بتعاطيها (وقع في الحرام) المحض، أي كأن يقصد الوقوع فيه، (كالراعي للماشية، (حول الحمى) وهو ما يحميه بعض الرؤساء والأمراء لمواشيه، ويمنع غيره عن الرعي فيه، ويعاقب من رعى فيه، (يوشك) أي يقرب (أن يواقعه) الواقعون في الشبهات، (ألا وإن لكل ملك حمى) يحميه له، (ألا وإن حمى الله تعالى) أي ما منع منه عباده، (في أرضه محارمه) فلا تقربوها، ولا ترتكبوها، لئلا تستحقوا العذاب والعقاب، (ألا وإن في الجسد مضغة) أي قطعة لحم، (إذا صلحت صلح) سائر (الجسد كله) فبإصلاحه فاهتموا، وبتطهيره فاعتنوا، (وإذا فسدت فسد الجسد كله) فمن إفساده فاجتنبوا، (ألا وهي القلب) الذي عليه مدار الجسد صلاحاً وفساداً، فمن طهّره طهر، ومن لا فلا، رواه الشيخان .

الحديث الثالث: (و) هو عن سهل بن سعد الساعدي، قال: قال رسول الله ﷺ : (ازهد في الدنيا) باستصغار جملتها، واحتقار جميع شأنها، والإعراض عنها بالقلب، (يحبك الله) لأنه تعالى يحب من أطاعه، وطاعته لا تجتمع مع محبة الدنيا، لأن القلب بيت الرب، فلا يحب أن يشرك في بيته غيره، (وازهد فيما في أيدي الناس) منها (يحبك الناس) لأن طباعهم جبلت على حب الدنيا، ومن نازع إنساناً في محبوبه قلاه، أي أباه، ومن تركه له أحبه واصطفاه .

قال الدارقطني: أصول الأحاديث أربعة، هذا منها .

الحديث الرابع: (و) هو عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : (من حسن إسلام المرء) أي من علامة حسن إسلام المرء، (تركه ما لا يعنيه) أي ما لا ينتفع به، هو ولا غيره من خلق الله، في ضرورة المعاش وزاد المعاد، رواه الترمذي .

الحديث الخامس: (و) هو قوله (قال) رسول الله ﷺ : (أجملوا في طلب الدنيا)، أي طلب الرزق طلباً جميلاً، بأن ترفقوا وتحسنوا السعي، بلا كد وتكالب، (فإن كُلَّاً) أي كل أحد من الخلق، (مُيَسْرٌ) أي مهيأٌ، (لما خُلِق له) أي لما خلقه الله له.

الحديث السادس: (و) هو قوله (قال) رسول الله ﷺ : (كن في الدنيا) الفانية عن قريب التي خلقها باريها للتزود منها للاخرة، (كأنك غريب) مسافر في غير وطنك، لأن وطنك الأصلي الآخرة، (أو) بل كن (عابر سبيل) مار طريق، وهو أكثر انقطاعاً عن ما لا يليق بمقصده، وتزود لأخرتك، ولا تغفل عنها (وعدّ نفسك من أهل القبور) أي من الأموات .

الحديث السابع: (و) هو عن ابن عمر، قال (قال) رسول الله ﷺ : (كما تُدِين تُدان)، في كما تفعل تجاري بفعلك، وكما تفعل يُفعل معك، رواه ابن عدي .

الحديث الثامن: (و) هو قوله (قال) رسول الله ﷺ : (لا تظهر الشماتة بأخيك) أي لا تفرح ببلية من يعاديك أو تعاديه، (فيعافه الله) رغماً لأنفك، (ويبتليك) حيث زكيت نفسك وشمت به.

الحديث التاسع: (و) هو عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (قال) رسول الله ﷺ : (لا يغني حَذَر من قَدرَ) وتمامه عند مخرجه الحاكم: والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، وإن البلاء ينزل، فيتلقاه الدعاء، فيتعالجان إلى يوم القيامة . انتهى .

الحديث العاشر: (و) هو عن أنس، رضي الله عنه: قال (قال) رسول الله ﷺ : (يَسِّرُوا على الناس، يذكر ما يؤلفهم لقبول الموعظة والتعليم، (ولا تُعَسِّروا) أردفه بنفي التعسير، مع أن الأمر بشيء نهي عن ضده، إيذاناً بأن مراده نفي التعسير رأساً،

(وبشِّروا) بفضل الله وعظيم ثوابه وسعة رحمته، (ولا تنفِّروا) أي لا تذكروا شيئاً ينهزمون منه .

الحديث الحادي عشر: (و) هو قوله (قال) رسول الله ﷺ : (استفت قلبك وعوّل على ما يقع فيه، (وإن أفتوك) المفتون بخلافه، لأنهم إنما يطلعون على الظواهر، وكن في ذلك مراقباً للشريعة الظاهرة .

الحديث الثاني عشر: (و) هو عن ابن عباس، رضي الله عنهما ، قال (قال) : كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: يا غلامُ، إني أعلمك كلماتٍ، ثم قال ﷺ : (احفظ حقوق، (الله) الظاهرة والباطنة، (يحفظك) من كل سوء في الدنيا والعقبى، لأن الحافظ محفوظ، (احفظ الله) في قلبك وعلى لسانك، ولا تغفل عن ذكره ومراقبته، (تجده تجاهك) أي أمامك، يحصل لك الخير، ويدفع عنك السوء، ومن كان لله كان الله له، (إذا سألت) أي أردت أن تسأل عن شيء، (فاسأل الله) الذي بيده الأمور كلها، وليس لغيره منها شيء، وهو يحب أن يُسئل منه، ويكره السؤال من غيره، (وإذا استعنت، فاستعن بالله) فإنه القادر على كل شيء لا بغيره، إذ غيره عاجز عن أمور نفسه، فكيف يعينك على أمورك، (واعلم أن الأمة) أي الخلائق، (لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء، قد كتبه الله لك) وذلك حاصل لك اجتمعوا على نفعك به أم لا، ولا يقدرون أن ينفعوك بما لم يكتبه الله لك، فاقطع طمعك منهم، فإنهم لا يقدرون على شيء، إلا بإذن الله، وارجع إليه، (وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء، قد كتبه الله عليك) وذلك واصل إليك، اجتمعوا عليه أم لا، ولا يقدرون أن يضروك بشيء، لم يكتبه عليك، فاقطع خوفك منهم، (رفعت الأقلام) التي كتب بها المقادير، (وجفت الصحف) التي كتب فيها،

وهذه كناية أن الأمر قُدِّر وكتب وفرغ منه، فلا يزاد ولا ينقص، هكذا رواية الترمذي عنه .

(وفي رواية) لغير الترمذي (احفظ الله) بامتثال أوامره، واجتناب زواجره، ودوام ذكره ومراقبته، (تجده أمامك) ميسراً لك الخير، دافعاً عنك الضر. (تعرّف) أي تحبب بالطاعة والشكر، (إلى الله في الرخاء) أي أوان الصحة والغنى والخصب، ونحو ذلك، (يعرفك في الشدة) بتفريجها عنك، وجعله لك من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، (واعلم) باليقين، أي الذي (أن ما أخطاك) من المكروهات والمحبوبات، (لم يكن) هو (ليصيبك)، لأن العليم لم يقدره عليك، (وما أصابك) من المكروهات والمحبوبات، (لم يكن ليخطئك) لأن الله تعالى أراد إصابته إياك، ولا رادّ لما أراد، (واعلم أن النصر) على النفس الأمارة والشيطان وسائر الأعداء، (مع الصبر) على المجاهدة، (وأن الفرج مع الكرب) فلا تيأس من فرجه، مع كمال الشدة، (وأن مع العسر يسراً) افارج يسره بعد العسر، فإنه لا دوام له.

الحديث الثالث عشر: (و) هو عن أنس قال (قال) رسول الله ﷺ : (الخلق كلهم عيال الله) أي فقراؤه، وهو الذي يعولهم، (وأحبُّهم إليه أنفعهم لعياله) بالهداية إليه تعالى، وتعليم ما يصلحهم، والعطف والإنفاق عليهم من فضل ما عنده، رواه الأربعة والبزار، وكذا الطبراني عن ابن مسعود .

الحديث الرابع عشر: (و) هو عن ابن عمر قال: (قال) رسول الله ﷺ : (الراحمون) لمن في الأرض من آدمي وحيوان محترم، بنحو شفقة وإحسان ومواساة، (يرحمهم الرحمن) وفي رواية: الرحيم، (تباركَ وتعالى) أي يمن ويتفضل عليهم، فإطلاق الرحمة عليه باعتبار لازمها وغايتها، (ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في

السماء) أي من رحمته، وهي عامة لأهل السماء الذين هم أكبر وأعظم، من أهل الأرض، رواه أحمد وغيره .

الحديث الخامس عشر: (و) هو قوله (قال) رسول الله ﷺ : (من سعادة المرء)، أي من علامة سعادته، (حسن الخلق) أي يتصف به ويتحلى به، (ومن شقاوته) أي من علامة شقاوته (سوء الخلق) أي أن يتصف به ويتحلى به .

الحديث السادس عشر: (و) هو عن أبي هريرة رضي الله عنه، بزيادة: والروحة بعد الغدوة، قال (قال(رسول الله ﷺ : (إن الدين يسرٌ)، أي دين الإسلام ذو يسر، وهو مبالغة لشدة البر فيه وكثرته، كأنه نفسه بالنسبة إلى الأديان قبله، لرفع الإصر عن هذه الأمة، (ولن يُشَادَّ) أي يغالب هذا، (الدين أحدٌ إلا غلبه) يعني لا يتعمق أحد في العبادة، ويترك الرفق كالرهبان إلا عجز، (فسددِّوا) الزموا السداد وهو الصواب، بلا إفراط ولا تفريط، (وقاربوا) أي إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل، فاعملوا بما يقرب منه، (وأبشروا) بالثواب على العمل الدائم، وإن قلّ، (واستعينوا بالغَدْوة ،وشيء من الدُّلجة) أي استعينوا على مداومة العبادة، بإيقاعها آخر الليل، رواه البخاري والنسائي، وهذا الحديث معدود من جوامع الكلم .

الحديث السابع عشر: (و) هو قوله قال (قال) رسول الله ﷺ : (أفضل الأعمال أن يسلم الناس من لسانك ويدك)، فلا تصل بهما إليهم بسوء، (وما عظمت نعمة الله) عزَّ وجلّ، (على عبد) من عبيده، (إلا عظمت مؤنة الناس عليه) أي إتعابهم ومشاقهم له .

الحديث الثامن عشر: (و) هو عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال (قال) رسول الله ﷺ : (أدِّ ما افترض)، أي أوجب (الله عليك، تكن من أعبد الناس) أي المقبولة عبادتهم،

يعني إذا أديت العبادة على الأكمل، تكن من أعبدهم ممن لم يفعلها كذلك، (واجتنب ما حرَّم الله عليك)، أي لا تقربه، فضلاً عن أن تفعله، (تكن من أورع الناس) أي من أعظمهم كفاً عن المحرمات، وأكثر الشبهات، (وارضَ) أي أقنع، (بما قسمه الله) أي قدّره (لك)، وجعله نصيبك من الدنيا، (تكن من أغنى الناس)، فإن من قنع بما قسم له كان كذلك، والقناعة كنز لا ينفد ولا يفنى، رواه ابن عدي .

الحديث التاسع عشر: (و) هو عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله) تعالى (لا ينظر إلى صوركم) أي لا يجازيكم على ظاهرها، (و) لا إلى (أموالكم) الخالية عن الخيرات، أي لا يثيبكم عليها، (ولكن) إنما (ينظر إلى قلوبكم) التي هي محل التقوى، وأوعية الجواهر، وكنز المعارف، (وأعمالكم) فمن كان يرجو لقاء ربه، فليعمل عملاً صالحاً، فمعنى النظر الاختيار والرحمة واللطف، والنظر إلى الشاهد، دليل المحبة وتركه دليل البغض، رواه مسلم وابن ماجه .

الحديث العشرون: (و) هو عن ابن عمر، رضي الله عنهما ، قال (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى يقبل توبة العبد) أي رجوعه إليه، (ما لم يغرغر) أي تصل روحه لحلقومه، لأنه لم ييأس من الحياة، فإن وصلت لذلك، لم يعتد بها ليأسه، ولأن من شرط التوبة العزم على عدم المعاودة، وقد فات ذلك، رواه أحمد والترمذي وغيرهما .

الحديث الحادي والعشرون: (و) هو عن ابن مسعود، عن عقبة بن عامر، قال (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من ما) أي من الأشياء التي (أدرك الناس من كلام النبوة الأولى) بيان لما قال الأولون والآخرون، (إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت) وهذا إما تهديد أو توبيخ، لأن الحياء من الله ومن خلقه، هو الحاث على الخير، والزاجر عن الشر، فمن لم يكن فيه حياء يفعل ما يشاء، رواه البخاري .

الحديث الثاني والعشرون: (و) هو عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال (قال قال) رسول الله ﷺ: (إياكم والظنُّ) أي احذروا اتباع الظن، واحذروا سوء الظن بمن لا يساء الظن به، من العدول، والظن تهمة تقع في القلب بلا دليل، (فإن الظنَّ) أقام المظهر مقام المضمر حثاً على تجنبه، (أكذب الحديث) أي حديث النفس، لأنه يكون بإلقاء الشيطان في نفس الإنسان، ووصف الظن بالحديث مجازاً، فإنه ناشىء عنه، (ولا تجسَّسوا) بجيم، أي لا تتعرفوا خبر الناس يطلق كالجاسوس، (ولا تحسَّسوا) بحاء مهملة، تطلب الشيء بالحاسة، كاستراق السمع والبصر للأشياء الخفية، (ولا تنافسوا) بفاء وسين، من المنافسة وهي الرغبة في التفرد بالشيء، (ولا تحاسدوا) أي لا يتمنى أحدكم زوال النعمة عن غيره، (ولا تباغضوا) أي لا تتعاطوا أسباب البغض، (ولا تدابروا) أي ولا يعرض بعضكم عن بعض، (وكونوا عباد الله) بحذف حرف النداء، (إخواناً) أي اكتسبوا ما تصيرون به إخواناً، مما ذكر وغيره، (ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه) أي في الدين، بأن يخطب امرأة فتجيبه، فيخطبها آخر، (حتى ينكح، أو يترك) الخاطب الخطبية، فإن تركها جاز لغيره خطبتها، وإن لم يأذن له، والنهي للتحريم، أخرجه الشيخان وغيرهما .

الحديث الثالث والعشرون: (و) هو قوله (قال) رسول الله ﷺ: (أعدى أعدائك) يعني أشد أعدائك الذين يعادونك (نفسك التي بين جنبيْك) التي لا تفارقك، فتوقَّ منها واحذرها .

الحديث الرابع والعشرون: (و) هو عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (قال) رسول الله ﷺ (الأرواح) التي تقوم بها الأجساد، (جنود مجندة) أي جموع مجتمعة وألوان مختلفة، (فما تعارف) توافق في الصفات وتناسب في الأخلاق، (منها ائتلف) أي ألف

كل منها الآخر، وإن تباعدا، (وما تناكر منها) فلم يتوافق ولم يتناسب (اختلف) أي نافر كل منها الآخر وإن تقاربا، فالائتلاف والاختلاف للأرواح، والمراد بالتعارف ما بينهما من التناسب والتشابه، وبالتناكر ما بينهما من التباين، فيميل الطيب لطيب، والخبيث لخبيث، رواه البخاري .

الحديث الخامس والعشرون: (و) هو عن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم (جبلت القلوب) أي خلقت وطبعت، (على حبٍّ من أحسن إليها)، بقوله أو فعله، (وبغض من أساء إليها) بذلك ومن أحسن إليك، فقد استرقك بامتنانه، ومن عاداك فقد أعتقك من رق إحسانه، أخرجه ابن عدي.

الحديث السادس والعشرون: (و) هو عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والمرء مع من أحبَّ) طبعاً وعقلاً وجزاء ومحلاً، فكل متيم بشيء فهو منجذب إليه بطبعه شاء أم أبى، وكل امرئ منسوب إلى مناسبته رَضِيَ أم سخط، أخرجه الشيخان .

الحديث السابع والعشرون: (و) هو عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تشبه بقومٍ) أي تزيا في ظاهره بزيهم، (فهو منهم) أي من تشبه بالصلحاء وهو من أتباعهم، يكرم بما يكرمون، ومن تشبه بالفساق يهان ويذل، ومن وضع عليه علامة الشرف أكرم، وإن لم يحقق بشرفه، أخرجه أبو داود .

الحديث الثامن والعشرون: (و) هو عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره)، أي علامة صدق المحبة إكثار ذكر المحبوب، أخرجه الديلمي في [مسند الفردوس] .

الحديث التاسع والعشرون: (و) هو عن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال (قال) رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم) أي أفضلها، (وأزكاها عند مليككم) أي أنماها وأطهرها عند ربكم، (وأرفعها في درجاتكم) أي منازلكم في الجنة، (وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والوِرق) كسر الراء الفضة، (وخير لكم من أن تلقوا عدوكم) يعني الكفار، (فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم) يعني تقتلوهم ويقتلوكم بسيف أو غيره، قالوا: وما ذلك؟، قال: (ذكر الله) لأن جميع العيادات من الإنفاق ومقابلة العدو وغيرهما، وسائل ووسائط يتقرب بها إلى الله، والذكر المقصود الأعظم، والقطب الذي تدور عليه رحى جميع الأديان، أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم .

الحديث الثلاثون: (و) هو عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال (قال) رسول الله ﷺ: (الإيمان بِضع) بكسر الموحدة وتفتح، عدد مبهم مفيد لما بين الثلاثة إلى التسع، وقيل إلى العشر، (وسبعون) بتقديم السين، (شُعبة) بضم أوله، خصلة أو قطعة، وأراد التكثير لا التحديد، (فأفضلها قول: لا إله إلا الله) أي أفضلها لهذا الذكر، فوضع القول موضع الذكر، لا موضع الشهادة، لأنها من أصله لا من شُعبه، والتصديق القلبي خارج منها، (وأدناها) أقربها ودونها مقداراً (إماطة الأذى) أي إزالة ما يؤذي كشوكة، (عن الطريق) أي المسلوك، (والحياء) بالمد، (شُعبة من الإيمان)، الحياء الإيماني وهو المانع من فعل القبيح بسبب الإيمان، لا أنه النفساني المخلوق، وأفرده بالذكر لأنه كالداعي إلى جميع الشعب، أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي .

الحديث الحادي والثلاثون: (و) هو عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال (قال) رسول الله ﷺ: (الإحسان) أي الإخلاص، وهو تصفية العمل عن شوْب الغرض، (أن تعبد الله كأنك تراه) بأن تتأدب في عبادته كأنك تنظر إليه، (فإن لم تكن

تراه فإنه يراك) فإن لم ينته التعين والحضور إلى تلك الرتب، وإلى أن تتحقق من نفسك أنك بمرأى منه تعالى، والحق لا تخفى عليه خافية، فكما أنه لا يقصر في الحال الأول، لا يقصر في الثاني، لاستوائهما بالنسبة إلى إطلاع الله، أخرجه مسلم وغيره .

الحديث الثاني والثلاثون: (و) هو عن أنس وبريدة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قالا: (قال رسول الله ﷺ : (بُشِّر) خطاب عام ما لم يرد به بعض (المشائين) بالهمز والمد، من تكرر منه المشي، إلى اقامة الجماعة، (بالنور التام في الظلم) بضم الظاء وفتح اللام، جمع ظلمة، (إلى المساجد) على الصراط، وذلك لما أنالوا من مشقة المشي في ظلمة الليل، جُوزوا بنور يضيء لهم، ويحوطهم على الصراط، بل في جميع منازل (يوم القيامة)، أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم، وهو متواتر .

الحديث الثالث والثلاثون: (و) هو عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : (أفضل الجهاد كلمة حق) تقولها وأنت واثق بالله، ترفع بها أمراً مهماً أو منكراً ، تكون (عند سلطان جائر) متعد لا يخشى الله، أخرجه ابن ماجه.

الحديث الرابع والثلاثون: (و) هو عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : (أشد الناس بلاء الأنبياء) الإجمال المراد به ما يشمل الرسل، (ثم الأمثل فالأمثل) أي الأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى، فهم معرضون للمحن والمصائب والمتاعب، أكثر من غيرهم، وقوله (يُبتلى الرجل) الـ في تعريف قوله الأمثل للجنس، وفي الرجل للاستغراق، (على حَسَب) بالتحريك، (دينه) أي بقدر قوة إيمانه وضعفه، (فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه) أي عظم للغاية، (وإن كان في دينه رقة) أي ذا رقة أي ضعف ولين، (ابتلي على قدر دينه) أي ببلاء سهل، والبلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت النعمة عليه أكثر فبلاؤه أغزر، قال الحازمي: مات بين

الحطيم وزمزم، ثلاثمائة نبي من الجوع، (فما يبرح البلاء بالعبد) أي الإنسان، (حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة) كناية عن سلامته من الذنوب، وخلاصه منها، كأنه كان بقيد انحل، يمشي ما عليه بأس، أخرجه البخاري وأحمد .

الحديث الخامس والثلاثون: (و) هو عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (قال) رسول الله ﷺ :(سبعة يظلهم الله في ظله) أي يدخلهم في ظل رحمته، (يوم لا ظل إلا ظله) أي لا رحمة إلا رحمته، (إمام) سلطان (عادل) تابع لأوامر ربه، يضع كل شيء بموضعه، (وشاب) خص لكونه مظنة غلبة الشهوة، ومثله الشابة، (نشأ في عبادة الله) أي ابتدأ عمره فيها، فلم تكن له شهوة، (ورجل قلبه معلق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه) كناية عن تردده إليه في أوقات الصلاة، فلا يصلي إلا فيه، ولا يخرج منه، إلا وهو ينتظر أخرى ليعود فيصليها فيه، (ورجلان تحابّا) بشدة الموحدة، أي أحبّ كل منهما صاحبه، (في الله) أي طلب رضاه ولأجله، لا لغرض دنيوي، (فاجتمعا على ذلك) أي الحب بقلوبهما، (وافترقا عليه) أي استمرا على محبتهما لأجله تعالى، حتى يفرق بينهما الموت، (ورجلٌ ذَكَر الله) بلسانه أو قلبه، (خالياً) من الناس، أو من الالتفات لما سواه، (ففاضت) أي فسالت (عيناه) أي دموعه، (ورجلٌ دعتْه) طلبته (امرأة ذات منصب وجمال) إلى الزنى بها، (فقال) بلسانه أو بقلبه، زجراً لها عن الفاحشة: (إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة) أي تطوع، لأن الزكاة يندب إظهارها، (فأخفاها) كتمها عن الناس، (حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) ذكر مبالغة في الإخفاء، بحيث لو كان شماله رجلاً ما علمها، أخرجه الترمذي .

الحديث السادس والثلاثون: (و) هو عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (قال) رسول الله ﷺ : (آية) أي علامة (المنافق ثلاث) أخبر عن آيته بثلاثة، باعتبار إرادة الجنس لكل

واحد منها آية، أو لأن مجموع الثلاثة هو الآية، (إذا حدّث كذب) بالتخفيف في حديثه، (وإذا وعد أخلف) أي لا يفي به، (وإذا ائتُمن) بصيغة المجهول، أي جعل أميناً، وفي رواية: بتشديد المثناة فوق، (خان) تصرف خلاف الشرع، ونقض ما ائتمن عليه، والمراد النفاق العملي، أو الإنذار والتخويف، رواه الشيخان وغيرهما .

الحديث السابع والثلاثون: (و) هو عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: (قال رسول الله ﷺ : (أحسنوا جوار) بالكسر ويضم، (نعم الله) جمع نعمة، (لا تنفِّروها) نهي بمعنى الأمر، أي لا تبعدوها عنكم بعمل المعاصي، فإنها تزيل النعم، (فقلما زالت عن قوم فعادت إليهم) أي إذا زالت قلّ أن تعود، لأن حسن المجاورة لنعم الله تعالى من تعظيمها وشكرها، والرمي بها استخفاف، وذلك من الكفران، والكفور ممقوت ومسلوب، و[ما] لتأكيد معنى القلة، وهي كافة للفعل عن العمل، وقيل: هي والفعل بعدها في تأويل مصدر، رواه الشيخان وغيرهما .

الحديث الثامن والثلاثون: (و) هو قوله (قال) رسول الله ﷺ : (مفاتيح أرزاق العباد) أي خزائنها (بإزاء العرش) أي عنده، (فمن كثّر) في الإنفاق مما أعطاه الله، (كثّر له) العطاء من مولاه، (ومن قلّل) وشحّ وبخل، (قُلل له) فعلى قدر الإنفاق يكون العطاء .

الحديث التاسع والثلاثون: (و) هو قوله (قال) رسول الله ﷺ : (ما جبل الله ولياً) أي جعل خليفته وسجيته (إلا على السخاء) أي العطاء والبذل، (وحسن الخلق) في معاملة العباد .

الحديث الأربعون: (و) هو قوله (قال) رسول الله ﷺ: ناقلاً (عن الله) عزّ وجلّ: (من عَادَ لي ولياً) أي عاداه لكونه وليه، كما يدل عليه لي، (فقد أذنته) أي أعلنته (بالحرب) معي، فليستعد لذلك.

هنا انتهى الأربعون.

وزاد المؤلف بعدها ثلاثة أحاديث على [الأربعين]، زيادة للخير، وهي زيادة مطلوبة، وقد جعل النووي فوق الأربعين اثنين، والسبب مثل ذلك.

الحديث الحادي والأربعون: (و) هو عن أبي نجيح العرباض بن سارية السلمي، رضي الله عنه، وذلك أنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، قلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا، (فقال) رسول الله ﷺ، (أوصيكم بتقوى الله) أي تتقوه ما استطعتم بفعل ما يقرب إليه، وترك ما يبعد عنه، والتقوى خير الزاد، (والسمع) الإصغاء لما يقوله ويأمر به، (والطاعة) لهم، وذلك في غير الإثم، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، (وإن تأمّر عليكم عبد حبشي) مملوك متغلباً أو نائباً عن الخليفة، فاسمعوا له وأطيعوه، فإن طاعته إذا أمر بغير الإثم، في الحقيقة طاعة لله الذي أمر بطاعته، لا له، (فإنه من يعش) منكم بعدي، (فسيرى اختلافاً كثيراً) في أمر الدين حتى يصير الناس ثلاثة وسبعين فرقة، يُكفّر بعضها بعضاً، وتكون خلفاء مختلفة وأمراء متفرقة، كل يدعي أن الحق معه، مع أن أكثر أمورهم الظلم والبغي، فإذا كان الأمر كذلك، (فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) من الأئمة المتقين والعلماء الراسخين، (من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ) أي استمسكوا أشد الاستمساك، (وإيّاكم ومحدثات الأمور) أي احفظوا أنفسكم، عن الوقوع في البدع عملاً واعتقاداً، (فإن كل بدعة) في الدين،

(ضلالة) عن الصراط المستقيم، وفي رواية هذا الصحابي، في [الأربعين النووية]: فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة . أخرجه أبو داود والترمذي .

الحديث الثاني والأربعون: (و) هو قوله (قال) رسول الله ﷺ : (أشد الناس عذاباً يوم القيامة، عالم لم ينفعه الله بعلمه)، ورواية ابن عدي وغيره، عن أبي هريرة : (أشد الناس عذاباً يوم القيامة؛ عالم لم ينفعه علمه)، بأن لم يعمل به، لأن عصيان من علم أعظم جرماً وأقبح إثماً، ولهذا كان المنافقون في الدرك الأسفل لكونهم جحدوا بعد العلم .

الحديث الثالث والأربعون: (و) هو عن أبي هريرة، قال: (قال) رسول الله ﷺ : (ادعوا الله) أي اسألوه من فضله، (وأنتم) حالة الدعاء، (موقنون) متحققون جازمون، (بالإجابة) بأن تكونوا على حالة تستحقون فيها الإجابة، بخلوص النية وحضور الجنان، وفعل الطاعات بالأركان، وقوة الرجاء في الرحمن، وقيل: معنى [موقنون بالإجابة] أي معكم نور اليقين حتى ينجاب لكم الحجاب، ويتعلق وتنفذ الدعوة إلى ربها، (واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبه غافل لاهٍ) أي لا يعبأ بسؤال سائل مشغول القلب، بما أهمه من دنياه .

قال الإمام الرازي: أجمعوا على أن الدعاء مع غفلة القلب، لا أثر له .

فائدة: روى البخاري في [تاريخه] عن أنس: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى المسجد، وفيه قوم رافعون أيديهم يدعون، فقال: ما ترى بأيديهم؟ ، فقلت: ما بأيديهم؟، قال: نور، قلت: ادعوا الله أن يرينيه، فدعا فأريته، رواه الترمذي والحاكم.

بعض دعائه ﷺ

فصل: وعقده المصنف لإيراد بعض دعائه ﷺ، فلهذا قال: (وأما الدعاء) أي دعاؤه ﷺ (فكثير) وقد أفرده بعض العلماء بالتصنيف، (وكله عظيم خطير) أي كل واحد منه بمفرده، جامع لخيري الدارين لذي البصيرة، (وسأذكر) منه (نزراً) أي قليلاً (جامعاً) لمعنى كثير (وقلاً نافعاً) ينال به قضاء الحوائج في الدارين، والفضل بيد الكبير، وبدئ بالصلاة، لما ورد من أنه إذا افتتح الدعاء بها يقبل، وأتى بصيغة من المأثور، ليكون المطلوب أحرى أن يحصل، فقال: (اللّهم) أي يا الله، (صلِّ على محمد) والصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن المؤمنين دعاء، (وعلى آل محمد) وهم أهل بيته، والأتقياء من أمته، (كما صليت على إبراهيم) الكاف للتشبيه، وهنا سؤال يورده العلماء، وهو في القاعدة أن المشبه بالشيء أعلا رتبة، أو يكون مثله، وقد يكون أدنى، وأما أعلا فلا يكون، ومن المعلوم المقرر أن نبينا محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم، فكيف يخرج هذا الحديث وإخوته على القاعدة المقررة؟، وقد أجابوا عن ذلك بأجوبة: منها أنه يحمل ذلك لتقدم الصلاة على إبراهيم، وقول الملائكة: (رَحْمَتُ اللهِّ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ)، والتشبيه إنما هو لأصل الصلاة لا للقدر بالقدر .

ومنها: أنه قال ذلك تواضعاً وشرعة لأمته، ليكتسبوا به الفضيلة والثواب، إلى غير ذلك من الأجوبة، فراجعها في مظانها، وكذا تقول في البركة، وما جاءك على هذا المنوال في جميع الصلوات الواردة، (وعلى آل إبراهيم إنك حميد) فعيل بمعنى مفعول، لأنه حمد نفسه وحمده عباده، (مجيد) من المجد وهو الشرف والرفعة، وكرم الذات .

والمعنى: أنك أهل الحمد، والفعل الجميل والكرم .

(اللّهم بارك) زد وانمِ، (على محمد وعلى آل محمد) الشرفاء العظماء، (كما باركت على إبراهيم) خليلك، (وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد) أهل المجد والفضل والكرم .

وقوله (اللّهم ربنا آتنا) أي أعطنا، (في الدنيا حسنة) يعنى الصحة والعفاف والكفاف والتوفيق، (وفي الآخرة حسنة) يعني الثواب والرحمة، (وقنا عذاب النار) الذي استوجبناه بسوء أعمالنا، رواه الشيخان عن أنس بن مالك ﵁، عن النبي ﷺ .

قوله (اللهمّ إني أسألك) أي أطلب منك، (من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ)، وهذا سؤال خير الدارين، (ونعود بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ)، وهذه الاستعاذة من شر الدارين، (وأنت المستعان) وأنت المعين المنّان، (وعليك البلاغ) وتبليغ المقصود (لا إله إلا أنت ولا حول) عن معصيته، (ولا قوة) على طاعته، (إلا بالله) جلّ جلاله، هو من الأدعية الجامعة، وقوله (اللهمّ إني أسألك من الخير كله عاجله) خير الدنيا، (وآجله) خير الآخرة، (ما علمت منه، وما لم أعلم) فإن الخير بيدك، (وأعوذ بك من الشر) السوء، (كله عاجله) في الدنيا (وآجله) في الآخرة، (ما علمت منه، وما لم أعلم) هو من جوامع الكلم، وأحب الدعاء إلى الله، كما قال الحليمي، وأجله إجابة .

وقوله (اللهمّ إني أعوذ بك) أي أتحصن بك، (أن أشرك بك شيئاً) في عقدي وعملي، (وأنا أعلم وأستغفرك) أطلب منك المغفرة، (لما لا أعلم، وأنت علّام الغيوب) هو من أعظم الأدعية المأثورة .

وقوله (اللهمّ إني أعوذ بك من قلب لا يخشع) لذكرك ولا لسماع كلامك، وهو القلب القاسي، (ومن دعاء لا يُسمع) أي لا يقبل، (ومن نفس لا تشبع) أي لا تقنع من جمع المال، ومن كثرة الأكل، الجالبة لكثرة النوم، المؤدي إلى فقر الدنيا والآخرة، (ومن علم لا ينفع) لا يعمل به مع الإخلاص، والدلالة عليك، (وأعوذ بك) يا الله يا معيذ، (من شر هؤلاء الأربع) فإن ذلك كله وبال وضلال، ونبّه بإعادة الاستعاذة على مزيد التحذير من المذكورات، رواه الشيخان وغيرهما، عن ابن عمر وغيره .

(اللهمّ لا سهل) أي لا ميسّر (إلا ما جعلته سهلاً، وأنت) يا منّان يا متفضل يا عظيم، (تجعل الحَزْن) أي الصعب الشديد، (سهلاً، إذا شئت) بفضلك ومَنّك وكرمك، وهو من ألطف الأدعية المأثورة .

وقوله (اللهمّ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها) أي اجعل آخر كل عمل لنا حسناً، فإن الأعمال بخواتيمها، (وأجرنا من خزب الدنيا) رزاياها ومصائبها وغدرها وخدعها، وتسلط الأعداء وشماتتهم، (وعذاب الآخرة) زاد الطبراني: فمن كان هذا دعاؤه مات قبل أن يصيبه البلاء، وذا من جنس استغفار الأنبياء، لما علموا أنه مغفور لهم للتشريع. رواه أحمد والحاكم وابن حبان عن بُسْر، بضم الموحدة وسكون المهملة .

وقوله (اللهمّ اغنني بالعلم) أي علم طريق الآخرة، إذ ليس الغنى إلا به، وهو القطب وعليه المدار، (وزيّني بالحلم) أي اجعله زينة لي، (وأكرمني بالتقوى) لأكون من أكرم الناس عليك، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، (وجمّلني بالعافية) فإنه لا جمال كجمالها، رواه البخاري عن ابن عمر عنه ﷺ ، ورواه عنه أيضاً الرافعي.

وقوله (اللهمّ استر عورتي) أي ما يسوءني إظهاره، (وآمن روعتي) أي خوفي وفزعي، (واقضِ عني ديني) بأن تقدرني على وفائه. رواه الطبراني عن خباب بن الأرت الخزاعي، عنه ﷺ .

وقوله (اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت) أي رجعت وأقبلت، (وبك خاصمت) أي بك أحتج وأدافع وأقاتل، (اللهمّ إني أعوذ بعزتك) أي بقوة سلطانك، (لا إله إلا أنت، أن تضلني) أي أن تهلكني بعدم التوفيق للرشاد، (أنت الحي) القيوم الدائم، القائم بتدبير الخلق، (الذي لا يموت) بالإضافة للغائب للأكثر، وفي رواية، بلفظ الخطاب: (والجن والإنس يموتون) عند انقضاء آجالهم . رواه مسلم والبخاري، عن ابن عباس عنه ﷺ .

وقوله (اللّهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك) أتى بها مفردة بمعنى الجمع، أي ذهابها، وهو يعم النعم الظاهرة والباطنة، (وتحول عافيتك) تبدالها، وتفارق الزوال التحول، بأن الزوال يقال في كل ما يثبت لشيء، ثم يفارقه، والتحويل تغير الشيء وانفصاله عن غيره، (وفُجاءة) بالضم والمد وتفتح وتقصر، أي بغتة (نِقْمتك) بكسر فسكون، أي غضبك، (وجميع سخطك) أي سائر الأسباب الموجبة لذلك، فإذا انتفت حصلت أضدادها، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي، عن ابن عمر ﷺ .

وقوله (اللّهمّ إني أسألك العفو) أي المسامحة، (والعافية) أي المعافاة، (في الدين والدنيا والآخرة) هو من أعظم الأدعية المأثورة، الجامعة لخير الدارين .

وقوله (اللّهمّ اغفر لي، وارحمني) بغاية الرحمة، (وألحقني بالرفيق الأعلى) أي نهاية مقام الروح، وهي الحضرة الواحدية، فالمسئول إلحاقه بالمحل الذي ليس بينه وبين أحد في الاختصاص، رواه الترمذي عن عائشة، وقالت: إنه آخر كلامه .

وقوله (اللّهمّ أني أعوذ بك من منكرات الأخلاق) كحقد وحسد وجبن ولؤم وكبر وغيرها، (و) كبائر (الأعمال) كقتل وزنى وشرب خمر وسرقة، وذكر هذا مع عصمته، تعليماً للأمة، (والأهواء) جمع هوى، مقصور، هي النفس وميلها إلى الشهوات، وانهماكها فيها، رواه الترمذي وغيره، عن زيادة بن علاقة، بزيادة : والأدواء في المتن .

قوله (اللّهمّ اقسم لنا من خشيتك) أي من الخوف منك، (ما تحول به بيننا وبين معاصيك) أي ما نحجز به عنها بتوفيقك، (ومن طاعتك) أي اقسم لنا يا مولانا (ما تبلغنا به جنتك) أي ما توصلنا به بمَنّك من الأعمال الصالحة، لأعلى درجات جنتك، (و) اقسم لنا (من اليقين) أي الثبات والقوة بك، (ما تهوِّن) تسهل (به علينا مصائب الدنيا) ومشاقها ومحنها، بأن نعلم أنها قدرته لا يخلو عن حكمة ومصلحة، (ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا) الجارحتين المعلومتين، (وقوتنا أما أحييتنا) أي مدة حياتنا، (واجعله الوارث منا) استعارة من وارث الميت، لأنه يبقى بعد فنائه، (واجعل ثأرنا) أي نقمتنا (على من ظلمنا) أي بغى علينا، (وانصرنا على من عادانا) وقصدنا بالمنابذة والأذية، (ولا تجعل مصيبتنا في ديننا) أي لا تفتنا في ديننا، (ولا تجعل الدنيا أكبر همنا) وتشغلنا بها عنك، (ولا) تجعلها (مبلغ علمنا) بحيث يكون جميع معاملتنا الطرق المحصلة للدنيا، (ولا تسلط علينا من لا يرحمنا) أي لا تجعلنا مغلوبين للظلمة، (وارحمنا أنت أرحم الراحمين)، هو مأثور جامع، جمعاً لطيفاً جليلاً من أعظم الأدعية المأثورة، أخرجه الترمذي والحاكم عن ابن عمر .

وقوله (اللّهمّ أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين) أي مسكنة القلب، لا المسكنة التي هي نوع من الفقر، وقيل: أراد أن لا يتجاوز الكفاف، رواه عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري، والطبري والضياء المقدسي، عن عبادة بن الصامت .

وقوله (سبحان ربك رب العزة) أي الغلبة، (عما يصفون) الكافرون الجاحدون (وسلام) أمان مقرون بالتعظيم، (على المرسلين) من الملك المبين، (والحمد لله رب العالمين) .

قال في [حلية الأبرار]، عن علي رضي الله عنه، أنه قال: من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوقى، فليقل في آخر مجلسه، أو حين يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين .



وفاتـــه ﷺ

الباب الخامس من تبويب المؤلف، وهو آخر أبواب الكتاب، (في وفاته) ﷺ أي انتقاله ﷺ وشرّف وعظّم وكرّم، (لما أكمل الله) جلّ جلاله، (له) أي لنبيه سيد المرسلين، (ولأمته) المكرمة، (الدين) كما قال: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)، لا إله إلا هو القوى المتين، (وأتم عليهم نعمته أجمعين) بانتشار دينه وعلوه على كل دين، (نقله) الباقي (إلى دار كرامته)، وأرقاه إلى نهاية الاتصال بحضرته، (شهيداً من أكله من الذراع المسموم) الذي سمته زينب بنت مشكم اليهودية، (المهدّى له) أي للنبي كنز العلوم، الذي مرت قصته، (بخيبر) المفتوحة برأيه الأفخر، (فجمع بين الرسالة والشهادة) فنال أنواع الدرجات وزيادة، (و) جمع أيضاً بين (النبوة والسعادة) وذلك غاية الكمال والإفادة.

ابتداء مرضه ﷺ: (فابتُدئ به) ﷺ (المرض في العشر الأخير من صفر) يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه، كما حكاه ابن عبد البر، (عام أحد عشر) من هجرة الرسول المطهر، وكان ابتداء مرضه من صداع عرض له في بيت عائشة المصونة، ثاني ربيع الأول، أو ثامنه أو عاشره، ثم اشتد به (في بيت ميمونة) أي الميمونة الطاهرة المكنونة، (ولما اشتد به الوجع) وصار يقول: أين أنا غداً، ففهم نساؤه أنه يريد يوم الصدّيقة الساطعة، فأذن له، فلما أذن (تحول لبيت عائشة) رضي الله عنها، و المحبوبة الفائقة، (وأقام) في شكواه نحو (اثنا عشر) يوماً، كما حكى ابن الجوزي.

دخول الصحابة عليه ووعظهم: (قال) الصحابي الجليل عبد الله (بن مسعود، رضي الله عنه) ونفعنا به، (فدخلنا عليه) أي على النبي ﷺ: (فدمعت عيناه) صلى عليه مولاه، (ثم قال: مرحباً بكم)، تأهيلاً لهم، (حيّاكم الله، آواكم الله) أي أدخلكم إلى كنف رحمته ورأفته، (نصركم الله) على أعدائه لتتميم دينه، (أوصيكم بتقوى الله)

فقد فاز المتقون، (وأستودعكم الله) أي أستحفظكم مولاكم، (واستخلفه عليكم) وأطلب منه أن يرعاكم بعدي، كما كان يرعاكم قبلي، (إني لكم منه نذير مبين)، محذر من غضبه، مبشر برحمته، (وقد دنا) أي قرب (الأجل) أي أجل الموت، (والمنقلب) أي المصير (إلى الله عزّ وجلّ) لا إله إلا هو الباقي الأجلُّ، (إلى أن قال:) في يومه ذلك، (أيها الناس) تنبهوا لما أقول، (إن الذنوب) والأوزار (تزيل النعم) التي أتحف بها عباده، ذو الكرم (وتبدلها نقماً) فمن كفرها عادت عليه بوسوستها، (ومن غالب الله غلبه) وانتقم منه وأهلكه، (ومن خادع الله خدعه) يا مؤمنين، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

استئذان ملك الموت عليه ﷺ : (واستأذنه) ﷺ (ملك الموت) عزرائيل (فاستمهله) النبي ﷺ (حتى أتاه جبريل) الأمين، (بالبشارة لأمته) من الحضرة، (فقال ﷺ) طاب قلبي، (الآن قرت عيني، ألحقني بربي).

حكى المحلي في [شرح التائية] عن ابن الجوزي: أن النبي ﷺ لما اشتد مرضه، أتاه ملك الموت فوقف ببابه، في صورة أعرابي، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، أتأذنون لي بالدخول على رسول الله ﷺ ، فقيل له: يا أعرابي إن نبيك بنفسه عنك مشغول .

فنادى الثانية، فرمقه النبي ﷺ، فقال: هذا ملك الموت، ادخل، فدخل، فسلّم، ثم قال: إن الله أرسلني وأمرني أن لا أقبض روحك، حتى تأمرني، فما تأمرني به؟، قال: حتى يأتيني جبريل فهذه ساعته، قالت عائشة: فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب، فكأنا ضربنا بصاخة، فما تكلم أحد من أهل البيت إعظاماً للأمر، ودهشته ملأت أجوافنا .

شهود جبريل انتقاله ﷺ : ثم جاء جبريل، فقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: كيف تجدك، وهو أعلم بالذي تجد منك، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً، فقال: يا أخي با جبريل، قد زاد شوقي إلى ربي، ولكن همي أمتي، فقال: إن ربك لا يخزيك في أمتك، فقال: الآن طاب قلبي، فأمر ملك الموت أن يلحقني بربي، فقال: بلى، ولكن ساعتك أمامك .

ثم قال جبريل: يا رسول الله، هذا آخر نزولي إلى الأرض، ويطوى الوحي، وما كان لي في الدنيا حاجة غيرك .

قالت عائشة: والذي بعثه بالحق، ما في البيت أحد يستطيع أن يجيز كلمة، ولا يقدر أن يبعث إلى أحد من رجاله، لوَجْدِنا وإشفاقنا، قالت: فرفعت رأسه بين ثديي، وأمسكت بصدره، وجعل يضمني عليه، حتى يغلب وجبهته ترشح رشحاً، ما رأيت قدره قط، ولا أطيبه، ولم يأتنا أحد، وكان الله صدهم حتى يتولاه جبريل وميكائيل، وملائكة الله المقربون .

ما فعله قبل انتقاله ﷺ : (ولما اشتد به) ﷺ (الكرب استاك، وكان يدخل يده) ﷺ (في قدح ماء ويمسح وجهه) الشريف، (به ويقول: لا إله إلا الله إن للموت لسكرات) أي لشدائد، وهي في حقه ﷺ إما زيادة له في رفع الدرجات، وإما طرباً للقاء ربه، لأنه إذا كان بلال يقول: حال الشوق واطرباه، نحن غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه، فما بالك به، (اللّهمّ أعني على سكرات الموت، وأحياناً) يقول: (اللّهمّ الرفيق الأعلى) وقال المحلي في [شرح التائية]، وفي البخاري: أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله عليَّ أن توفى رسول الله ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، إن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، ودخل عليّ عبد الرحمن أخي وبيده

سواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟، فأشار برأسه أن نعم، فناولته، واشتد عليه، فقلت: ألينه لك؟، فأشار برأسه أن نعم، فألنته له، وبين يديه ركوة أو علبة فجعل يدخل يديه في الماء ويمسح بهما وجهه، ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات، ثم نصب يده فجعل يقول: الرفيق الأعلى حتى قبض، ومالت يده، وكانت تقول: لا أكره شدة الموت لأحد بعد النبي ﷺ

وعنها أيضاً في [الشمائل] للترمذي: رأيت رسول الله ﷺ ، وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء، وهو يدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: اللّهمّ أعني على منكرات الموت، أو قال: سكرات الموت .

(ولما رأت فاطمة) الزهراء رضي الله عنها ، وسميت فاطمة لأن الله فطمها وذريتها من النار، كما رواه الحاكم عن علي رضي الله عنه، (ذلك) أي شدة السكرات والكرب، (قالت) رضي الله عنها : (واكرباه، فقال) ﷺ : (لا كرب على أبيك بعد اليوم)، وإنما راحة مستمرة لا يعقبها مشقة ولا كرب، (وكلما أفاق أوصى بالمحافظة على الصلاة، وتوفى ضحى)، كما ذكره ابن عبد البر، وهو قول الأكثر، (يوم الاثنين، ثاني ربيع الأول) قال السهيلي: اتفقوا على أنه مات يوم الاثنين، وقالوا كلهم: في ربيع الاول، (وعمره ثلاثة وستون عند الجمهور) أي جمهور العلماء .

دخول أبي بكر عليه بعد وفاته، وما قاله : (ودخل عليه بعد وفاته أبو بكر) خليفته الصديق رضي الله عنه، (فقبّله ووضع ناه) أي فمه، (بين عينيه، ووضع يده على ساعديه، وقال) بلا رفع صوت ولا جزع، (وا نبياه وا صفياه وا خليلاه)، وفيه حل عد أوصاف الميت من غير نوح ولا ندب، أصله: يا نبي الحق، آخره الندبة ليمتد بها

الصوت ليمتاز المندوب عن المنادي، وهاؤه للسكت، (صدق الله، وصدق رسوله: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ)) .

وفي [الشمائل] عن عائشة ﵂ : أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ بعد وفاته، فوضع فمه بين عينيه، ووضع يديه على ساعديه، وقال: وا نبياه وا صفياه وا خليلاه .

ما قالته الزهراء ﵂ : (وبكت فاطمة) البتول ﵂، (وقالت: وا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه) .

وفي البخاري عن أنس: أن فاطمة، قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من هو جنة مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه .

من غسله ﷺ وكيف كان غسله : (وغسّله عليّ، والعباس) عمه، (وقثم) مولى النبي، (والفضل بن العباس (يعيناهما) ﵃، (وأسامة) بن زيد، (وشُقران) بضم المعجمة، مولاه كانا (يصبان عليهما) .

قال ابن الجوزي: كان علي يلي غسله، والعباس وقثم والفضل يغسلونه مع علي، وشقران وأسامة يصبان .

(وأوس بن خولي الخزرجي) وكان من أهل بدر، (ينقل الماء من بئر غَرْس) بفتح المعجمة وسكون الراء فمهملة، بوصية منه .

وفي كلام ابن الجوزي: وأوس حاضر، لا يلي شيئاً، وقيل: ينقل الماء .

وروى ابن ماجه عن علي، مرفوعاً: إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس، وكان المصطفى ﷺ يشرب منها، وكان علي يقول: ما تناولت عضواً إلا كأنما يقلبه مع ثلاثون رجلاً، حتى فرغت من غسله .

(ولم يجرّد من قميصه) روى ابن إسحاق، عن عائشة: لما أرادوا غسل النبي ﷺ ، قالوا: ما ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسله بثيابه، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلا وذقنه على صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت، لا يدرون من هو: اغسلوه وعليه ثيابه، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص .

(وجعل عليّ على يده) رضي الله عنه (خرقة) لأنه هو الذي تولى غسله بوصية منه ﷺ ، كما روى الواقدي عن علي أن قال: أوصى أن لا يغسله أحد غيري، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه، (وأدخلها تحت قميصه، فغسله ودلكه بماء وسدر، ثلاث غسلات) .

أخرج الحاكم عن عبد الله بن الحارث، قال: غسل رسول الله ﷺ عليّ، وعلى يده خرقة، فأدخل يده تحت القميص يغسله، والقميص عليه .

(ثم كفن في ثلاثة ثياب بيض، بلا عمامة) .

روى الشيخان عن عائشة: كفن المصطفى ﷺ في ثلاثة أثواب يمانية .

وفي [شرح التائية] للمحلي: قاموا إلى رسول الله ﷺ ليغسلوه، فقعد العباس وعلي متربعين متواجهين، وأقعدا النبي ﷺ على حجورهما، فنوديا أن أضجعوا نبيكم على ظهر،ه ثم اغسلوه واستروه، فثارا وأضجعاه، فكانا لا يريدان بإتيان على شيء من تقليبه، إلا قلب ورفع لهما بلا مشقة .

فغُسل الأولى وعليه قميص بالماء القراح، والثانية بالسدر، والثالثة بالكافور، ثم غسل قميصه وجفف، وحنط في مساجده ومفاصله، ولم يفض أحد بيده إلى رسول الله ﷺ ، ولم يروا منه شيئاً مما يرى من الميت، فقال علي: بأبي وأمي أنت ما ألينك حياً وميتاً .

صلاة الجنازة عليه ﷺ : (ثم صلّى الرجال فُرادى) أي أفراداً، (فوجاً بعد فوج)، فكان فوج يدخلون ويصلون أفراداً، ثم يخرجون فيدخل آخرون، فيصلون كذلك .

روى البيهقي عن ابن عباس: لما صُلي على النبي ﷺ، أدخل الرجال فصلوا بغير إمام أرسالاً، (ثم) صلّى (النساء) عليه، (ثم) صلّى (الصبيان) عليه، وفي رواية البيهقي: حتى فرغوا أذن للنساء فصلين عليه، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه، إرسالاً لم يؤمهم أحد .

دفنه ﷺ : وروى الحاكم في [مستدركه]، والبزار، عن ابن مسعود: إذا غسلتموني وكفتموني، فضعوني على سريري في بيتي، على شفير قبري ثم اخرجوا عنى ساعة، فإن أول من يصلي عليَّ جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنده، ثم الملائكة، ثم ادخلوا عليَّ فوجاً فوجاً، فصلوا عليَّ وسلموا تسليماً .

(ثم دفن في البقعة التي قبض فيها، لقوله) ﷺ في الحديث الذي رواه عنه أبو بكر، حين اختلف الصحابة في دفنه، فمن قائل في مسجده، ومن قائل في صحابته، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما قبض نبي إلا ودفن حيث قبض)، ذكره المحلي في [شرح التائية]، (ولقول أبي بكر) الصديق رضي الله عنه، ادفنوه في الموضع الذي قبض فيه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب، (سمعت من رسول الله

ﷺ شيئاً ما نسيته، ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه) فرفع فراشه، (وحفر له تحته) .

وروى ابن الجوزي عن عائشة، أنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال علي رضي الله عنه: إنه ليس في الأرض بقعة أكرم على الله، من بقعة قبض فيها نفس نبيه .

قال الشريف السهودي: فهذا أصل الإجماع على تفضيل البقعة، التي ضمت أعضاءه على جميع الأرض حتى الكعبة .

(ودخل القبر) أي قبره ﷺ (الجماعة المذكورون) أي الذين ذكرهم في الغسل، وهم علي والعباس آخرهم، (وقيل:) إنهم دخلوا قبرة، (إلا أسامة) بن زيد، (وأوس) بن خولي .

(وفرش له في قبره) تحته (قطيفة)، وسيأتي تعريفها في المتن، (كان يلبسها ويفرشها) ﷺ (فقالوا) أي قال شقران: (لا يلبسها أحد بعده) ﷺ (وهي كساء له خمل بجوانبه) .

قبره ﷺ : روى في [الإكليل]، عن ابن عباس: كان شقران حين وضع المصطفى ﷺ في حفرته أخذ قطيفة، كان المصطفى ﷺ يلبسها ويفرشها، فدفنها معه في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك، فدفنت معه، وهي كساء له خمل بجوانبه، كان يتغطى بها، (وقيل: أخرجت) قال البعض وهذا أثبت، (قبل الإهالة) أي إهالة التراب، (واتخذوا له لحداً) واللحد الشق في جانب القبر .

روى ابن حبان، عن ابن عباس: وسوى لحده رجل من الأنصار، (ونصبت عليه تسع) بتقديم المثناة على السين، (لبنات) بكسر الموحدة، جمع لبنة ضرب من الطين قبل الطبخ، وجعلت على مقداره من جميع جهاته .

ذكر ابن الأثير: أن الذي حفر قبره أبو طلحة، (وجعلوه مسنماً أو مسطحاً ولاطئاً بالأرض).

وفي أبى داود، عن القاسم بن محمد: كشفت لي عائشة عن قبر المصطفى ﷺ وصاحبيه، ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة، مبطوحة سمحة العرصة .

(ورشوا عليه ماء بارداً) .

روى البيهقي عن جابر: رش على قبر المصطفى ﷺ الماء رشاً، فكان الذي رشّه بلال، بدءاً من قبل رأسه من شقه الأيمن، حتى انتهى لرجليه .

وقت دفنه ﷺ ، **وعزاؤه:** (ودفن ليلة الأربعاء)، روى ابن إسحاق عن عائشة قالت: ما علمنا بدفنه حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل، وإنما أخر دفنه للاشتغال بأمر البيعة، (وقيل) يوم (الثلاثاء) حيث زاغت الشمس.

(فكانت) تلك الليلة (ليلة ليلاء أي مظلمة لفقده) ﷺ (وانقطاع الوحي)، فإنه قد تقدم أن جبريل قال: هذا أوان انقطاعي من الأرض .

(قال أنس) بن مالك رضي الله عنه : (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء) أي استنار (منها) أي من المدينة (كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه) أي انتقل فيه، (أظلم منها كل شئ) ، فأظلمت تلك البقعة بعد إشراقها، (و) الحال أنّا (ما نفضنا أيدينا من التراب و) الحال (أنّا لفي دفنه حتى أنكرنا) بصيغة المتكلم للماضي، (قلوبنا) يعني أظلمت قلوبنا وبعدت عن صفاتها، على وجه

أنكرناها ولم نعرف أنها قلوبنا، أو أظلم منها كل شيء، حتى قلوبنا لأنّا أنكرناها لفقد ما كان يغشاها من إمداداته العلية وأنواره السنية، ولتناقص ما كانت عليه من الصفاء والألفة، والرحمة والرقة لانقطاع مدد الوحي، دون الإيمان، لأن إيمانهم لم ينقص .

(واشترك الناس) أي الخلق كلهم، (في العزاء) وطاشت عقول العقلاء، (وخرست الألسن، وأسكت ذو الفصاحة، وأقعد ذو الشجاعة، وجزع الحليم، وأظلمت الدنيا) وطاشت الألباب بهجوم هذا المصاب، فلا ترى إلا قلوباً محترقة، ودموعاً متدفقة، وأصواتاً مرتفعة، وأكباداً متوجعة، ومن ثم قالت الزهراء رضي الله عنها :

صُبّت عليّ مصائب لو أنها　　صُبت على الأيام صِرْن لياليَا

عزاء الملائكة: (وعزتهم الملائكة) رحمه الله، (يسمعون) أي الصحب (الصوت ولا يرون الشخص) المعزي لهم، (فقالت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) دعاء لهم، (إن في الله عزاء من كل مصيبة) تحل بالعبد، (وخلفاً من كل فائت) أي عوضاً، (فبالله فثقوا) وتوكلوا عليه، (وإياه فارجوا) واطلبوا منه، (فإنما المحروم من حرم الثواب) بعدم الصبر على حكم رب الأرباب، (والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ورضوانه وتحياته .

(وعزّاهم الخضر) أبو العباس، (عليه السلام، فقال) في عزائه: (إن في الله عزاءً من كل مصيبة) حلّت بالعبد، (وعوضاً من كل فائت، وخلفاً من كل هالك) أي متوفى، (فإلى الله فأنيبوا) أي فارجعوا، (وإليه فارغبوا) ومنه فاطلبوا، (ونظره إليكم

في البلاء فانظروا)، فمن صبر على البلاء نال نهاية الثواب، ومن لا أصيب (فإنما المصاب من لم يجبر) بالثواب الذي يناله بالصبر .

وفي [شرح المحلي للتائية] روى: أنه لما توفي سمعوا صوتاً، ولم يروا شخصاً، وهو يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمته وبركاته: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، إن في الله لعزاء من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، واعلموا أن المصاب من حُرم الثواب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام .

فأصابتكم مصيبة الموت، وأعظم المصائب والدواهي: (وكان موته) ﷺ (أعظم المصائب) التي أصيب بها العباد، (وأفظع الدواهي والغرائب) التي ابتلي بها الخلق والحبائب، (وارتد كثير من الناس) وعظم على الخلق البأس، (بل قالوا) من شدة تغير الأحوال: (ما بقى مسجد إلا ارتد بعض أهله إلا ثلاثة) من المساجد .

(ثم أدرك الله بلطفه الأنام) فولّى الصدّيق الإمام، (وخذل أهل الردة، ونصر الإسلام) دينه المنطوي على سر الأحكام، (والحمد لله على التمام)، والشكر لله على تمام الانتظام .

أولاده ﷺ : (وأولاده) ذكوراً وإناثاً، (على الأصح سبعة) ثلاثة من الذكور.

القاسم، الذي به يكنى، ولد بمكة قبل النبوة، وعاش نحو عامين، كما رواه ابن سعد، حتى مشى، وكان بكر النبي ﷺ .

وعبد الله، ويسمى الطيب والطاهر، ولد بعد النبوة، قاله الدارقطني .

وإبراهيم، ولد بالمدينة، وعاش بها عاماً ونصفاً، كما حكاه محمد بن المؤمل، وهو الأشهر، ولما مات بكى ﷺ وقال: تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون.

وأربع من الإناث:

فاطمة، وسميت فاطمة لأن الله تعالى فطمها وذريتها عن النار، كما رواه الحاكم، ولقّبت بالبتول لأنها لا شهوة بها للرجال، وكانت أحبّ أهله إليه، وكان يقبّلها في فمها، ويمص لسانها، وإذا أراد سفراً يكون آخر عهده بها، وإذا قدم أول ما يدخل يدخل عليها، وماتت بعده بنحو ستة أشهر، وسنها أربع وعشرون سنة، ودفنها علي ليلاً بوصيتها، قيل: في محل ولدها الحسن تحت المحراب، ومنها ذريته ﷺ، وفيها قال: سيدة نساء الدنيا والآخرة.

وزينب، وهي أكبر بناته ﷺ، ولدت سنة ثلاثين من مولده، وماتت سنة ثمان.

ورقية، ولدت بمكة، وتزوج بها عثمان، وهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة، وكانت ذات جمال بارع، وماتت والمصطفى ﷺ ببدر، لما غزى بها، وقال: الحمد لله دفن البنات من المكرمات، رواه الدولابي.

وأم كلثوم، أصغر من رقية، قال ابن عبد البر: فاطمة وأم كلثوم أفضل بناته، وماتت في شعبان، سنة سبع تحت عثمان رضي الله عنهما.

وجملة أولاده من خديجة إلا إبراهيم، فمن مارية سريته القبطية، ولما بشّره به أبو رافع وهب له عبداً.

أصحابه ﷺ : (وأصحابه) جمع صحابي، وهو من اجتمع مع النبي ﷺ مؤمناً، ومات على ذلك، وهم (كثيرون) يظهر ذلك لمن طالع [أسد الغابة في أسماء الصحابة]، ولا يحصر لهم عدد .

قال الزين العراقي في [ألفية المصطلح] : والعد لا يحصرهم، فقد ظهر سبعون ألفاً بتبوك، [كذا] وحضر الحج أربعون ألفاً، وقبض عن ذين مع أربع آلاف تتبعن، (مات عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، ممن روى) منه (وسمع) عنه، ويكفيك في مدحهم قوله ﷺ : أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم .

زوجاته ﷺ : (وزوجاته) الطاهرات المصونات الطيبات، (إحدى عشرة) اللاتي دخل بهن على الأصح، ماتت اثنتان في حياته: خديجة الصديقية، وهي أول زوجاته اللاتي تزوج بهن، ولها يوم تزوجها أربعون سنة، وله خمس وعشرون سنة، وماتت قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، ودفنها بالحجون عن خمس وستين سنة .

والثانية: زينب أم المساكين بنت خزيمة الحارثية، أخذها سنة ثلاث، وماتت بعد ثلاثة أشهر، ودفنت في البقيع .

(مات) هو ﷺ (عن تسع) سودة بنت زمعة بن قيس، تزوجها بعد موت خديجة، وكانت بعد أن كبرت أراد طلاقها، فوهبت نوبتها لعائشة فأمسكها، ماتت بالمدينة، في شوال سنة أربع وخمسين .

عائشة الصدّيقة بنت الصدّيق، عقد عليها وهي بنت ست سنين، في شوال سنة عشر من النبوة، ودخل بها بالمدينة في شوال، رأس ثمانية عشر، وهي بنت تسع، ومات عنها وهي بنت ثمانية عشر، ولم يتزوج بكراً غيرها، وأحبها أكثر من نسائه، وكانت إذا هويت لشيء تابعها عليه، وفقدها في بعض أسفاره، فقال: واعروساه،

وكانت فقيهة عالمة فصيحة، ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين، وهي وخديجة أفضل نسائه .

وحفصة بنت عمر بن الخطاب، تزوجها سنة ثلاث من الهجرة، بعد رجوعها من هجرة الحبشة، وكان عمر عرضها على أبي بكر وعثمان، فلم يجبه واحد منهما، فخطبها فأنكحه إياها، ثم طلقها، فأوحي إليه أن راجعها، فإنها صوامة قوامة، وأنها زوجتك في الجنة، ماتت سنة خمس وأربعين، عن نحو ستين سنة .

وأم سلمة، هند بنت أمية بن المغيرة المخزومية، خطبها أبو بكر فأبت، ثم عمر، ثم أخذها المصطفى ﷺ فتزوجها سنة أربع، وكانت من أجمل النساء.

فزينب بنت جحش، التي زوجه الله بها، وكانت تفتخر بذلك على أمهات المؤمنين، تزوجها سنة خمس، وكان اسمها برة، فسماها زينب، ماتت بالمدينة سنة عشرين .

وجويرية ابنة الحارث المصطلقية، سباها يوم المريسيع، وحين أخذها أطلق الناس ما بأيديهم من الأسارى من أهلها، وفيها قالت عائشة: ما رأينا امرأة أعظم على قومها بركة منها، أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق، كما روى أبو داود عن الزهري، ماتت سنة خمسين .

وريحانة التي سباها من بني النضير، أعتقها وتزوجها .

ورملة، أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، كانت أسلمت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها، وبعد ذلك دخل بها سنة سبع، ماتت بالمدينة، سنة أربع وأربعين.

وصفية بنت حيي، كانت من نسل هارون، من سبي خيبر، وأعتقها وتزوجها، وأولم عليها بحيس، ولم يدر أصحابه أتزوجها أم اتخذها أم ولد، فقالوا: إن حجبها

فهي امرأته وإلا فأم ولد، فحجبها، ماتت سنة تسع وخمسين، عن أربع وثمانين سنة، ودفنت بالبقيع .

وميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوج بها سنة سبع، وكان اسمها برة، فسماها ميمونة، أي مباركة، وهي خالة ابن عباس، وخالد بن الوليد، وهي آخر من تزوج بها بسرف، وماتت بسرف، سنة إحدى وخمسين، وقبرها مشهور يزار، ويتبرك به .

والعاشرة التي زدناها، وفيها الخلاف هل تزوجها أو ملك يمين فقط، ولم يتزوجها .

أعمامه ﷺ : (وأعمامه) ﷺ ، قال في [ذخائر العقبى] : كانوا اثني عشر، الحارث، وأبو طالب، والزبير، وأبو لهب، وحمزة، والغيداق، والمقوم، وضرار، والعباس، وقثم، وعبد الكعبة، وحجل بتقد الحاء، (مسلمهم اثنان) الأول (حمزة) بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وأخو المصطفى من الرضاع، أسلم قديماً .

وسببه أن أبا جهل شتم المصطفىﷺ فلم يجبه، فأقبل متوشحاً قوسه، فأخبر وهو أعزّ فتى في قريش وأشجع، فغضب على أبي جهل، وشجّه بقوسه شجة منكرة، وقال: أتشتمه وأنا على دينه، واستشهد بأحد، روى الحاكم: أن الملائكة غسلته، ومعنى حمزة الزكي الملتهب .

(و) الثاني (العباس) بن عبد المطلب، وكان أكبر من النبي ﷺ بسنتين، كان جواداً ووصولاً للرحم، أسر يوم بدر، وأسلم وكتم إيمانه إلى قبيل فتح مكة، فخرج مهاجراً فلقيه النبي ﷺ بالأبواء، وبه ختمت الهجرة، شهد حنيناً، وثبت معه حين انهزموا، وكان عمر يستسقي به، مات بالمدينة، عن بضع وثمانين سنة، ودفن بالبقيع، وكان أصغر أعمامه ﷺ .

عماته ﷺ: (وعماته) ستة: صفية، وعاتكة، وأم حكيم، وبرة، وأمية، وأروى.

(مؤمنهن صفية) شقيقة حمزة، كانت ذات جلد ونخوة، شهدت الخندق، وقتلت رجلاً من اليهود، وضرب لها المصطفى ﷺ بسهم، ماتت سنة عشرين عن نحو سبعين سنة، ودفنت بالبقيع .

(و) الثانية (عاتكة) وهي صاحبة الرؤيا في بدر .

(و) الثالثة (أرْوى) روى الحاكم في [المستدرك] : أن طلبيا بن أروى لما أسلم، دخل على أمه، فقال: تبعت محمداً وأسلمت، فقالت: إن أحق من وازرت وعاضضت ابن خالك، والله لو كنا نقدر على ما تقدر له الرجال لتبعناه، فقال: ما يمنعك أن تسلمي، فقد أسلم حمزة، قالت: أنظر ما يصنع إخواني، ثم أكون إحداهن، فأقسم عليها أن تسلم فأسلمت .

خدامه ﷺ: (وخدامه) ﷺ (مائة وسبعون) أولهم من الذكور، أنس وبلال، وعقبة بن عامر، ومن النسا: مارية، وأم أيمن، وسلمى، وخولة، إلى كمال العدد من الذكور والإناث انظر المطولات .

(وله جوار وعبيد، وعتقاء، ومن الغلمان أكثر) ومحل ذاك المطولات، فتبصر.

فضل هذا الكتاب

(وهذه المشكاة) الجامعة لكل الخيرات، (يتعيّن على كل مؤمن) طالب خير الدارين، (الاستضاءة بها) والاستنارة بما فيها، (علماً وعملاً وحالاً) فمن فعل ذلك، نال نهاية القرب من الحبيب المصطفى وجمالاً وكمالاً، (بل جديرة) حقية (بأن تحفظ)، في الرءوس، ويصدر بها في الدروس، ليعمل الناس بأعماله ﷺ ، فيحوزوا الخير على الدوام، (ولا تلفظ) بل لا يلفظها إلا شقي مغلط، (ويعضّ عليها بالنواجذ) ويعمل بما فيها، فينال البر المساعد فاعمل بها تحفظ، (وهي خلاصة أسفار) إذ جميع ما فيها جلّ ما في أوصاف وأخبار المختار، (وشرحها) على التفصيل والإجمال عند الأخيار، (يحتاج) في الحقيقة (إلى أوقار) أي أحمال جمال كبار، وإنما ا الذي بينته في هذا الشرح، هو حلّ للفظها، ونزر من بحرها، وما حملني على ذلك إلا كثرة طلب المحبين لمعرفة ما هنا لك، واعتذرت فلم يعذرني الإخوان الجلّ، فوضعت هذه العُجالة مع عدم كتب النقل، وعدم إطلاعي وقصر باعي، فلا تكثر الاعتراض عليّ أيها الرائي الساعي .

قال العلامة ابن الوردي: فالناس لم يؤلفوا في العلم، لكي يصيروا هدفاً للرمي، ما ألفوا إلا لرجاء الأجر والدعوات، وجميل الذكر، ولكن فديت جسد بلا جسد، ولا يضيع قط حق لأحد، والله جلّ عنه كل سائل، وذو الحاجة بنفسه فليتشاغل .

خاتمة هذا الكتاب
للشيخ مؤلف المتن، وشرحها للشيخ الشارح

(واختمها) أي هذه المشكاة (بما) أي بالذي (رواه) الإمام (أحمد) بن حنبل، رحمه الله، (والشيخان) شيخا الحديث، محمد بن إسماعيل، الحافظ الجليل صاحب أصحّ كتاب بعد كتاب الباري، أبي عبد الله، المشهور بالبخاري، والإمام الحبر صاحب أصح كتاب بعد المذكور، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، من بلد نيسابور، (و) الإمام أبو عيسى، محمد بن سورة، الحافظ الحجة (الترمذي) المحدث، وترمذ اسم بلده، (و) الإمام الحافظ الحجة (ابن ماجه) الجليل، وسندهم (عن أبي هريرة) كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، وفي الإسلام عبد الرحمن، ورآخ النبي ﷺ حاملاً في كمه هرة، فقال: ما هذا، يا عبد الرحمن؟، فقال :هرة، فقال ﷺ : أنت أبو هريرة، بهذه الكنية، روى عن النبي ﷺ خمسة آلاف وثلاثة مائة وأربعة وسبعين حديثاً، أخرج له في الصحيحين ستمائة وتسعة أحاديث، انفرد البخارى بثلاثة مائة وتسعين، ومسلم بمائة وتسعين، والباقي اتفقا عليه، كذا ذكر ابن الملك في [شرح المشارق] ، رضي الله عنه، ونفعنا بعلومه، وما رووه منه، (قال) هذا الصحابي، قال رسول الله ﷺ : (كلمتان) يجدهما المؤمن (خفيفتان على اللسان) في حين ذكرهما، (ثقيلتان في الميزان) يوم الحاجة إليهما، (حبيبتان إلى الرحمن) جلّ جلاله، (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)، وفيهما من كمال التنزيه ما يعقله الحكيم .

تذييل هذا الكتاب المبارك بقصيدة شريفة لشيخنا مؤلف المتن، وشرحها للإمام الشارح، رضي الله عنهما

(أذيلها) أي هذه المشكاة (بقطرة) أي قليل (من بحار ما يصفه) أي ينعته، (به أهل الأذواق الإلهية)، العارفون المشاهدون لها بكرة وعشية، (ونقطة من ينابيع بحور آل الأشواق الربانية)، الهائمين بالمحبة الرحمانية، (من السادة الأولياء)، ضناين الحق الأصفياء، (أولياء العلوم والمعارف العرفانية)، المتلقينها منه ومن الحضرة العلمية، (و) أهل (العوارف والمواهب اللدنية) المنفوثة في فؤادهم من الحضرة القدسية، (فأقول ذلك نظماً) شعراً بديعاً، (ولو كان نظمي في الحقيقة خرماً) لكن بالممدوح يكون اسماً، وليس في الحقيقة خرماً كما قال، بل جواهر ولآلٍ، ولكن قال ذلك تواضعاً وتنزلاً، وهو صفة أهل التكمل، وسأشرحها على نسج أهل هذا الميدان، مستمداً منهم، وإن كنت لست من أهل الإيقان، ولكن عسى المانح يمنح، فيزول الحجاب، ويأتي الفتح، قال رضي الله عنه:



أنت الحبيب وما الحبيب سواك	وكذا الجليل فجلّ من سواك
أنت الصفى المصطفى والمجتبى	والمرتضى لكل ذاك وذاك
أنت النجي المنتقى والمبتغى	والمنهل الصافي هنا وهناك
أنت الذي للفرد مفرد كونه	خير الخيار وصفوهم فهناك

أنت الذي عرش الإله وسره ... والقطب والغوث الذي لولاك

أنت المدار وأنت نقطة دوره ... أنت المراد وأنت سر هداك

أنت الجدار وأنت عين كنوزه ... والطور والنور الذي لسناك

والنار والمجلى وروح مظاهر ... ظهرت عن الرب الجليل لذاك

ولك الفضائل والفواضل والعلا ... ولك الكمال فجلّ من أعطاك

ولك المفاخر والمظاهر والسنا ... ولك الجلال فعزّ من أولاك

ولك البهائم المحاسن كلها ... ولك الجمال فجلّ من يهواك

وهنية والفوز والظفر الذي ... لم يحوه صب بغير هواك

يا من به الأرواح راحت بالجوى ... وكذلك الأشباح غث مولاك

وانقذه من حر البعاد وناره ... وأذقه برد وصالكم وعساك

ترثي وترنو للّهيف من النوى ... وتبيحه قرباً لكم وحماك

وتنيله المطلوب والقصد الذي ... لا يهتوي غيرا هنا وهناك

والقصد أنت وربك الأعلى وذا ... عين المراد وذاك من محياك

فذح البراقع واللثام عن اللمى ... وقل المرام هنا تعالى لذاكا

ما غيركم يدني لذياك الحمى ... كلا ولا شيء لذا إلاكا

فجزاك رب العرش خير جزائه ... إذ كنت واسطة لكل سواكا

ولك المحامد والرضا ولك الثنا ... ولك الصلاة مع السلام كذاكا

ولآلك الحسنى وصحبك والذي ... أضحى تبيعك والذي يرعاكا

ما غرّد القمري وبلبل صادح ... وسرى بريق الوصل من تلقاكا

تمت وهاك شرحها:

(أنت الحبيب) للذات العلية، (وما الحبيب سواك) لها من البرية، بل إن أحبوا فلأجلك الحبية، (وكذا الجليل) لمولانا العظيم، واجتباك الإله ويكفي، ولكن صاحبكم خليل الله، (فجلّ من سواك) في أكمل الأحوال الظاهرة والباطنة، (أنت الصفي) للجناب الإلهي، (المصطفى والمجتبى) للكمال المتناهى، (والمرتضى للكل من الحضرات معشوق، (وذاك) الجمال (وذاك) الجلال، (أنت النجي) مدى الحضرات، (المنتقى) لتلك المسامرات، (والمبتغى) لتلك المفاتحات، (والمنهل) الشرب (الصافي) لكل عارف وافى، (هنا) مع حضرتك الجميلة، (وهناك) في حضرة المولى الجليلة، (أنت الذي للفرد) العظيم، (مفرد كونه) ولا نظير لك لدى القديم، (خير الخيار) من كل مقرب، (وصفوهم فهناك) المحبب، (أنت الذي عرش) تجلي (الإله وسره) الذي لا يعرفه أحد عداه، (والقطب) للأقطاب، (والغوث) المغيث للأحباب، (الذي لولاك) ما حاز لذاك، (أنت المدار) الذي تدور عليك الأنوار، (وأنت نقطة دوره) الممد لأجلك كل ممد سره، (أنت المراد) في جميع الأجناد، (وأنت سر هداكا) ولا يعلم ما ثمّ إلا مولاك، (أنت الجدار) المنطوية فيك الأسرار، (وأنت عين كنوزه) المودوعة لغرائب رموزه، (والطور) الذي ناجى به موسى المشهور، فارتقى بك إلى مخاطبة الغفور، (والنور الذي لسناك) هو الذي تجلى له فيك فشهدت هناك، (والنار والمجلى) له ولكل طالب للجلا، (وروح مظاهر لكل شاهد مناظر، (ظهرت عن الرب الجليل) لترقى لا لك الجميل كما قلت: كل مرقى له إليك ارتقاء، (لذاك) أطلبك يا منتقاه، (ولك الفضائل) التي لا تحصرها الطروس، (والفواضل والعلا) التي فوق هام الرءوس، (ولك الكمال) الذي لا

يبلغه وصف ناعت، (فجلّ من أعطاك) هذه المناعت (ولك المفاخر) التي لا ينلها المقربون، (والمظاهر) التي تشرف بها الواصلون، (والسنا) الذي لم يحققه العارفون، (ولك الجلال) الذي لا يقدر أن يدركه عارف، (فعزّ من أولاك) هذه العوارف، (ولك البهى) الذي به ابتهج المبتهجون، (ثم المحاسن كلها) بالجوهر المكنون، (ولك الجمال) الذي تتحير في بعض منه العظماء، (فجلّ من يهواك) يا محبوب الحما، (وهنية) بذلك، (والفوز) له بما هنالك، ليته خصني برؤية وجهه الجميل، لأحوز الفوز، (والظفر الذي) هو المنى الجليل والخير الذي (لم يحوه صب) والبر الذي لم يحظ به غير محب، والكمال الذي لا يدرك (بغير هواك)، فعسى الله أن يمتعني برؤياك، (يا من به الأرواح) أرواح أهل فناك، (راحت بالجوى) مدبرة عن السوى، (وكذلك الأشباح) تبعت في ذلك الأرواح، (غث) بشهودك (مولاك)، وأنعش برؤيتك عبدك مبتغاك، (وأنقذه من حر) الهجران، وخلصه من حريق (البعاد وناره) يا منّان، (وأذقه برد وصالكم) ليكون دائماً ملتذاً بكم، (وعساك) يا المحبوب الظريف، (ترثي وترنو) بلطفك (للّهيف) وتجود للمضنى، (من النوى) فقد ذاب من شدة الهوى، (وتبيحه) شهودكم اللطيف، وتنيله (قرباً لكم) شريفاً (وحماك) يكون مركزه دواماً، (وتنيله المطلوب) ثم يا إمام، (والقصد الذي) هو المرام المجعول، (لا يهتوي غيره هنا وهناك، والقصد أنت) يا المصطفى الرسول، (وربك الأعلى) هو المراد الاجلى، (وذا) الشهودات (عين المراد)، يا مجلى الرحمن، (وذاك من محياكا) وجميل محياك، (فزح البراقع) عن وجهك الفائق البدر، (و) زل (اللثام عن اللمى) والثغر، (وقل) يا مجيب الهنا، هذا (المرام هنا) حصل القصد والمنا، (تعال لذاكا) وفز برضاك، (ما غيركم) يا حضرة الرسول، (يدني لذياك الحما) المسئول

(كلا ولا شيء) يقرب لذلك الكمال ولا عظيم، (لذا) المقصود يوصل (إلاكا)، يا مغناطيس الكمال المؤهل، (فجزاك رب العرش) من حضرة ذاته، (خير جزائه اللائق بك منه إليك، يا كنز هباته، (إذ كنت واسطة) لكل المقربين في المقاصد، (لكل سواكا) يا عين الدانين، (ولك المحامد) من البر وكل قاصد، (والرضا) من رب الأرباب، ورضا الرضا لكل متعلق بك، ولا أطناب، (ولك الثنا) من الحضرات، (ولك الصلاة مع السلام) بقدر عظمة الذات، (كذاكا) التحيات والبركات، (ولآلك الحسنى) وذاك ما يرضيك، (وصحبك) مثل ذلك، ومن هام فيك، (والذي أضحى تبيعك) في الأنام، (والذي يرعاكا) ويحفظ الزمام، (ما غرّد القمري) بأفنان الأراك، (وبلبل صادح) على أغصان اشتباك، (وسرى بريق) الإقبال من محياك، وسرى لامع (الوصل من تلقاكا) فطرب المحب بذا، وهام بذاكا .

* * *

وهنا انتهت القصيدة المغترفة، من بحر الفيض النضيدة، يحير كل بيت منها الجنان، وتطرب تالله في الجنان، والله إنما هي علوم مشاهد واصف، لما رآه من الكمال الخاطف، هكذا هكذا يقول الرجال، أو السكوت أولى بهم، حيث جلوا درراً من مشاهد من قدوتنا، هي في الجمالين بعد ما يقال .

* * *

ما ختم به الشيخ مولف المتن: (وأختم الكتاب) الحائز للعجب العجاب، (بما رواه الترمذي) بالمثناة الفوقية، (وغيره) من المحدثين أهل الأسانيد القوية، (عن أبي هريرة وغيره) من أصحاب المعظم (أنه ﷺ) وشرّف وكرّم وعظّم، (قال: من جلس في مجلس، فكثر فيه لغطه)، أي كلامه وحديثه، (فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك)، طالباً من الله العفو، وستر المسالك: (سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك) يا أهل التنزيه والثناء، يا مليك، (أشهد أن لا إله إلا أنت) ولا إله سواك، حيث كنت (أستغفرك وأتوب إليك) وأطلب منك الستر والعفو، وأتوكل عليك (غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك) .

قال بعض العلماء: فإن عمل خيراً كان خاتماً عليه، لا يخرج منه شيء، إلى أن يصل دار النور هنالك، وإن تحمل بسوء، غفر له، فما أحسن هذه المدارك .

(سبحان ربك رب العزة) والقهر العظيم، (عمّا يصفون) من لا يعرفون كماله الفخيم، (وسلام على المرسلين) العارفين الحق معرفة لا يدركها غيرهم، من كل متمكن مكين، (والحمد الله رب العالمين) الذي لا تحصر خزائن فيضه، وهو القوي المتين .

تاريخ إتمام المتن: (وكان تمامها) أى تمام تأليف المتن، وهذا تاريخ المؤلف (ضحى) اليوم، (الأحد ثامن عشر رمضان) شهر المدد والفيض من المنان، (عام ألف ومائة وتسعين) من هجرة سيد المرسلين، (بيد مؤلفها) أى مؤلف هذه الرسالة، (الفقير) إلى الله (الغني) بالله، الشريف الحسيني الحسني، القطب الفرد السني، مولانا العمدة السيد (عبد الله) وكان من المتحققين بالعبودية لله، (ابن) السيد الشريف (إبراهيم) البركة العظيم، (ميرغني) نسبه إلى جده السادس، وأصله أمير

غني، ومعنى الأمير بالفارسية الشريف، (كان الله للجميع) برحمته وبركته الرفيع (آمين) بحرمة الرسول الأمين .

وأوصى الإخوان بملازمة هذا الشرح، وقراءته كل عام مجلساً، في شهر ربيع أول، وأحمد الله على تمامه، وانتظامي في سلك خدام حديث نبيه، وسير حبيبه وصفيه، لأنه ليس في العلوم أشرف من الحديث، وسيما بتبيين سبيل حبيب الله (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله)، والخير كله في اتباع رسول الله ﷺ ، روى أبو الدنيا مرفوعاً: من أكل طيباً، وعمل في سنتي وأمن الناس من بويقه دخل الجنة، وروى الحاكم على شرط الشيخين، مرفوعاً: الاقتصار على السنة، أحسن من الاجتهاد في البدعة، وروى ابن حبان مرفوعاً: رحم الله امرءاً سمع منا شيئاً، فبلّغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع.

وروى الطبراني، مرفوعا: اللّهم ارحم خلفائي، قالوا: يا رسول الله، ومن خلفاؤك؟، قال: الذين يأتون من بعدي، الذين يدونون أحاديثي يعلمونها الناس، أو كما قال .

هذا وقد تم طبع هذا الشرح المبارك [لأول مرة]، في ١٤ ربيع ثاني سنة ١٣٢٢ هـ ، على نفقة محمد بن أبي بكر بن علي بن عيساوي، الشايقي العباسي، غفر الله له ولوالديه، ووالد والديه، ولمشايخه ولإخوانه في الله، وللمسلين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، بجاه سيدنا محمد، صلّى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلّم .

قام بتحقيق هذا الكتاب الجليل، وإخراجه في طبعة فريدة مزيدة منقحة، وقدّم له دراسة وتحقيق وتوثيق وشرح هوامش ومقدمات، ووضع فهارس، الشيخ خه عبدالرؤوف سعد، من علماء الأزهر الشريف، وقام بنشره الأستاذ زغلول الوخني، في سبتمبر عام ٢٠٠٠م، غفر الله لهم، وأثابهم جزيل الخير .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين .

فهرس كتاب مصباح الأسرار في شرح مشكاة الأنوار

الموضوع	صفحة
آية قرآنية	٣
مقدمة الشارح	٤
خطبة الكتاب	٧
ما اختص الله تعالى محمداً ﷺ من الفضائل	١١
الباب الأول: في سيرته الشريفة	١٢
نسبه ﷺ ، اسمه (محمد) ﷺ مزايا الاسم	١٤
مولده ﷺ ومرباه وكفالته..	١٩
مرضعتاه ﷺ	٢٠
شق صدره ﷺ عن المرة الأولى	٢٠
كفالة أمه له ﷺ ووفاتها..	٢١
كفالة جده له ﷺ	٢١
كفالة عمه له ﷺ..	٢٢
حفظ إسرافيل له ﷺ، حفظ جبريل له ﷺ........................	٢٢
سفره ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب........................	٢٢
سفره ﷺ إلى الشام مع ميسرة في تجارة خديجة رضي الله عنها، والإرهاصات التي حدثت له ﷺ	٢٣
بناء البيت الحرام ومشاركته ﷺ فيه........................	٢٤
سبب بناء قريش البيت الحرام..	٢٤
ابتداء الوحي إليه ﷺ ، أنواع الوحي........................	٢٥

ظهور إرهاصات النبوة عليه ﷺ..............................	٢٦
نزول أمين الوحي عليه ﷺ..............................	٢٦
تعليم جبريل النبي ﷺ الوضوء والصلاة..............................	٢٨
إخباره ﷺ خديجة رضي الله عنها بما حدث..............................	٢٨
وصف الرسول ﷺ ما حدث لخديجة..............................	٢٩
من مناقب ، أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها..............................	٢٩
المحاورة بين الرسول ﷺ وورقة بن نوفل..............................	٣٠
أول من أسلم من الرجال بعد ورقة بن نوفل..............................	٣١
دعوته ﷺ بمكة..............................	٣١
القرآن المنزل على رسول الله ﷺ..............................	٣٢
وصف الوليد للقرآن الكريم..............................	٣٣
من أقر بمعجزة القرآن الكريم من رءوس كفار قريش..............................	٣٣
الكفر برسول الله ﷺ حسداً..............................	٣٤
المستهزئون برسول الله ﷺ وانتقام الله تعالى منهم..............................	٣٤
شكوى الكفار محمداً ﷺ إلى عمه أبي طالب..............................	٣٥
إيذاء قريش رسول الله ﷺ والمسلمين..............................	٣٦
أكثر المسلمين عذاباً في سبيل الله تعالى..............................	٣٧
آيات حسية دليل على نبوته ﷺ..............................	٣٨
الهجرة الأولى إلى الحبشة..............................	٣٩
الهجرة الثانية إلى الحبشة ، خبر الصحيفة..............................	٤٠
الأرضة تأكل الصحيفة الظالمة..............................	٤١

خروج المسلمين من الشعب وسببه.................................... ٤٢
نقض الصحيفة ٤٢
موت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها ٤٣
قصة الإسراء والمعراج.................................... ٤٤
فرض الصلاة... ٤٥
بعض الروايات في قصة المعراج............................. ٤٥
رؤية آدم عليه السلام في السماء الأولى....................... ٤٥
رؤية إدريس عليه السلام في السماء الثانية...................... ٤٦
مروره ﷺ بموسى وبعض الأنبياء رحمهم الله، وسؤاله تخفيف الصلاة من
ربه تعالى... ٤٦
إخبار قومه ﷺ بما حدث..................................... ٤٧
عرض نفسه ﷺ على القبائل ٤٧
الأنصار يجيبونه ﷺ.. ٤٨
هجرة المسلمين إلى المدينة شرفها الله تعالى....................... ٤٨
الهجرة الشريفة إلى المدينة المنورة.............................. ٤٩
جهازه ﷺ عام إلى الهجرة ٤٩
مروره ﷺ بأم معبد وما حدث من معجزات.......................... ٥٠
استقبال أهل المدينة له ﷺ...................................... ٥١
أول مسجد وأول جمعة وأول خطبة................................ ٥١
دخوله ﷺ المدينة المنورة.. ٥٢
مكان مسجده الشريف وبيوته ﷺ ٥٢

بناء المسجد الشريف.................................... ٥٣
نجاة المدينة المشرفة من الوباء.................................... ٥٣
الزيادة في صلاة الحضر ٥٤
إقامته ﷺ من في دار أبي أيوب.................................... ٥٤
الأمر بالأذان ٥٤
فرض الصوم وزكاة الفطر والمال.................................... ٥٥
تحويل القبلة.................................... ٥٥
غزوة بدر الكبرى ٥٦
رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب وتحقق رؤياها في قريش.................................... ٥٦
استعداد قريش لغزوة بدر ٥٧
خروج المسلمين إلى بدر.................................... ٥٧
منزله ﷺ من بدر وتعديل هذا المنزل.................................... ٦٠
الاستعداد للمعركة.................................... ٦٠
أشراف قريش الذين حضروا إلى بدر.................................... ٦١
دعاؤه ﷺ على قريش، القتلى الأوائل من قريش.................................... ٦١
ابتداء المعركة بالمبارزة، الالتحام بالقتال.................................... ٦٢
الملائكة ورؤساؤهم يحاربون في بدر.................................... ٦٣
البحث عن أبي جهل ٦٣
حضور إبليس اللعين المعركة ٦٤
مناداة النبي ﷺ القتلى.................................... ٦٤
شهداء المعركة من المسلمين وقتلى الكافرين.................................... ٦٤

أسرى المشركين، الغنيمة وقسمتها.................................. ٦٤
مصاب قريش ومن قدم به، أبو لهب وموته............................ ٦٥
غزوة أحد، سبب غزوة أحد... ٦٦
مسيرة قريش إلى غزوة أحد.. ٦٦
رؤيا الرسول ﷺ قبل غزوة أحد وتأويلها، خروج المسلمين إلى أحد....... ٦٦
ندم المسلمين على استكراهه ﷺ الخروج من المدينة.................... ٦٧
عدد وعدة المسلمين والمشركين، رجوع المنافقين........................ ٦٧
الاستعداد للقتال، شجاعة أبي دجانة.................................. ٦٨
المبارزة قبل القتال وقتل حملة اللواء ، حمزة رضي الله عنه في المعركة......... ٦٩
جزاء من لم يطع الله ورسوله وسبب هزيمة المسلمين..................... ٦٩
من ثبت معه ﷺ ، ما أصيب به ﷺ في تلك الغزوة...................... ٧٠
من قتله رسول الله ﷺ في تلك المعركة................................ ٧١
استشهاد المسلمين وقتلى الكافرين..................................... ٧١
إبعاد أبي سفيان المسلمين معركة أخرى قادمة في بدر..................... ٧٢
مقتل حمزة والتمثيل بشهداء المسلمين ٧٢
غزوة بني النضير وإجلاؤهم، سببها ٧٤
الرحيل والجلاء وشروطه ٧٥
ما أفاء الله تعالى على رسوله ﷺ من بني النضير والتصرف فيه.......... ٧٥
بعض ما حدث في العام الرابع الهجري................................ ٧٥
غزوة الخندق العام الخامس، سبب الغزوة، الخندق ومن أشار به.......... ٧٧
قريظة تنقض عهد الرسول ﷺ....................................... ٧٨

الحرب خدعة ٧٩
هزيمة الأحزاب، رحيل المشركين ٨٠
شهداء المسلمين وقتلى الكافرين.. ٨١
غزوة بني قريظة، سبب غزوة بني قريظة.. ٨٢
حكم رسول الله في بني قريظة.. ٨٢
ما حكم به سعد بن معاذ على بني قريظة، غنائم بني قريظة ٨٣
غزوة بني المصطلق، سبب غزو بني المصطلق.. ٨٤
نتيجة تلك الغزوة ٨٤
عمرة الحديبية وبيعة الرضوان.. ٨٥
مدى حب المسلمين رسول الله ﷺ.. ٨٧
بيعة الرضوان، صلح الحديبية وشروطه ٨٨
من رأى أن في هذا الصلح ظلماً للمسلمين.. ٨٨
وثيقة الصلح، النتائج العظيمة لصلح الحديبية.. ٨٩
فرض الحج ٨٩
غزوة خيبر، سببها ٩٠
الإغارة إذا تؤكد من الكفر.. ٩٠
فتح خيبر على يد علي كرّم الله وجهه.. ٩٢
شروط الصلح ٩٣
عمرة القضاء.. ٩٤
وقعة مؤتة في السنة الثامنة، فتح مكة ٩٦
سبب الفتح ٩٦

تخييره ﷺ قريش قبل الغزو، أبو سفيان يحاول تجديد الصلح ٩٧
الاستعداد لفتح مكة ٩٨
كتاب حاطب يحذر أهل مكة، الخروج من المدينة ٩٩
العباس يلتقي بأبي سفيان، ويستأمن له.............................. ١٠٠
أبو سفيان رجل يحب الفخر... ١٠١
القبائل الفاتحة، أبو سفيان يحذر أهل مكة............................ ١٠١
الفتح، من أمر ﷺ بقتلهم بعد الفتح ١٠٢
ما فعله ﷺ بعد الفتح ١٠٣
الطواف ودخول البيت المعظم وخطبته ﷺ بعد الفتح............... ١٠٣
محو آثار المشركين ١٠٣
ذل الأصنام وهلاكها، فضل الأنصار وحبهم ١٠٤
غزوة حنين، سبب الغزوة ١٠٥
التوجه لقتال هوازن، المعركة: معركة حنين، من لم ينهزم عن رسول الله ﷺ ١٠٦
شجاعته ﷺ ، روائح النصر ١٠٦
غنائم هوازن، وفد هوازن، الشيماء أخت الرسول ﷺ ١٠٧
تقسيم غنائم هوازن ١٠٨
عمرته ﷺ من الجعرانة ١٠٨
غزوة تبوك، سبب تلك الغزوة.................................... ١٠٩
تخلف المنافقين ١٠٩
من معجزاته ﷺ ، من نتائج تلك الغزوة، بعث خالد إلى أكيدر دومة ١١٠
الرجوع من تلك الغزوة.. ١١١

حجة أبي بكر الصديق بالمسلمين.. ١١٢
عليّ كرّم الله وجهه يبعث ببراءة ١١٢
عام الوفود، حجة رسول الله ﷺ وأعماله فيها ١١٣
الدخول إلى المسجد وما فعله ﷺ ١١٥
التوجه إلى منى، المسير إلى عرفة.. ١١٦
الإفاضة من عرفة، الذهاب إلى المزدلفة، الذهاب إلى منى ورمي الجمار...... ١١٧
نحر الهدي والحلق، طواف الإفاضة (الركن)، الجمرات الثلاث........ ١١٨
إقامته ﷺ بمنى ١١٩
افتقاد العالم نور النبوة.. ١٢٠
الباب الثاني ١٢١
وفيه فصلان: الفصل الأول: في أوصافه الخَلقية والثاني: في أوصاف الخُلقية ١٢١
الفصل الأول في أوصاف الخَلقية ١٢٢
أوصافه الظاهرة ﷺ الخَلقية.. ١٢٣
الفصل الثاني في أوصافه الخُلُقية.. ١٣٢
خلقه القرآن الكريم.. ١٣٣
وإنك لعلى خلق عظيم.. ١٣٣
من مكارم أخلاقه ﷺ.. ١٣٤
أكله ﷺ.. ١٥٣
شرابه ﷺ.. ١٦٠
لباسه ﷺ.. ١٦٢
خاتمه ﷺ.. ١٦٨

نعل الرسول ﷺ.. ١٦٩
فراشه ﷺ.. ١٦٩
طيبه ﷺ.. ١٧٠
معاملاته ﷺ.. ١٧٢
استماعه الشعر ﷺ.. ١٧٣
أحب العمل إلى رسول الله ﷺ.. ١٧٥
صيامه ﷺ وبعض أفعاله.. ١٧٦
قيامه ﷺ ليلاً.. ١٧٦
دعاؤه ﷺ.. ١٧٧
الباب الثالث: معجزاته ﷺ ١٧٩
معجزاته ﷺ.. ١٨٠
معجزاته.. ١٨٠
القرآن الكريم.. ١٨٠
انشقاق القمر.. ١٨٠
نبع الماء بين أصابعه ﷺ.. ١٨٠
إطعام العدد الكثير من الطعام القليل.. ١٨٠
كلام الشجر والحجر.. ١٨١
حنين الجذع.. ١٨١
انزواء الأرض.. ١٨١
تسبيح الحصا.. ١٨١
تسبيح الطعام.. ١٨٢

كلام الذراع.............................. ١٨٢
سلام الغزال ١٨٢
شهادة الذئب بالرسالة ١٨٢
شكاية البعير ١٨٣
سعي الشجرة.............................. ١٨٣
رد عين قتادة ١٨٣
شفاء عين علي الرمداء.............................. ١٨٤
منع الحر والبرد عن علي كرم الله وجهه.............................. ١٨٤
استجابة دعائه لابن عباس ١٨٤
استجابة دعائه لأنس ١٨٥
شفاؤه لِرجْل ابن عتيك.............................. ١٨٥
إخباره بقتل أبي بن خلف ١٨٥
إخباره بمصارع كفار قريش في بدر ١٨٦
امتلاء اعين الكفار في بدر و حنين بقبضة من تراب فدخل في عيون الجميع. ١٨٦
خروجه من بيته إلى الهجرة وعمي الكفار عن رؤيته ١٨٦
دعاؤه على عتبة، واستجابة الدعاء.............................. ١٨٦
ما أخبر به عما يصيب عثمان رضي الله عنه ١٨٧
إخباره بمقتل الأسود العنسي.............................. ١٨٧
إخباره بإغتيال كسرى يوم موته ١٨٧
إخباره أن الفئة الباغية تقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ١٨٨
إخباره أن الزهراء رضي الله عنها أول أهله لحوقاً به صلى الله عليه وسلم.............................. ١٨٨

إخباره بأول زوجاته موتاً........................... ١٨٩
إخباره باستشهاد الحسين رضي الله عنه........................... ١٨٩
إخباره بمن يغزون في البحر من أمته........................... ١٨٩
بعض معجزاته الأخرى ١٩٠
خصائصه صلى الله عليه وسلم وأنواعها أربعة........................... ١٩٣
النوع الأول من الخصائص، الواجبات........................... ١٩٣
النوع الثاني من الخصائص، المحرمات........................... ١٩٤
النوع الثالث من الخصائص، المباحات........................... ١٩٦
النوع الرابع من الخصائص، الإكرام........................... ١٩٧
الباب الرابع: في كلامه وأحاديثه ودعائه صلى الله عليه وسلم ٢٠٠
فصل كلامه وأحاديثه الشريفة صلى الله عليه وسلم ٢٠١
فصل بعض دعائه صلى الله عليه وسلم ٢١٦
الباب الخامس: انتقاله إلى الرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم ٢٢٢
ابتلاء مرضه صلى الله عليه وسلم........................... ٢٢٣
دخول الصحابة عليه ووعظهم........................... ٢٢٣
استئذان ملك الموت عليه صلى الله عليه وسلم........................... ٢٢٤
شهود جبريل انتقاله صلى الله عليه وسلم........................... ٢٢٥
ما فعله قبل انتقاله صلى الله عليه وسلم........................... ٢٢٥
دخول أبي بكر عليه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وما قاله ٢٢٦
ما قالته الزهراء رضي الله عنها........................... ٢٢٧
من غسّله صلى الله عليه وسلم وكيف كان غسله........................... ٢٢٧

صلاة الجنازة عليه ﷺ ٢٢٩
دفنه ﷺ.. ٢٢٩
قبره ﷺ ٢٣٠
وقت دفنه ﷺ وعزاؤه ٢٣١
عزاء الملائكة ٢٣٢
فأصابتكم مصيبة الموت وأعظم المصائب والدواهي............... ٢٣٣
أولاده ﷺ... ٢٣٣
أصحابه ﷺ... ٢٣٥
زوجاته ﷺ ٢٣٥
وأعمامه ﷺ... ٢٣٧
عماته ﷺ ٢٣٨
خدامه ﷺ... ٢٣٨
فضل هذا الكتاب.......................... .... ٢٣٩
خاتمة الكتاب للشيخ مؤلف المتن وشرحها للشيخ الشارح ٢٤٠
تذييل هذا الكتاب المبارك بقصيدة شريفة لشيخنا مؤلف المتن وشرحها
للإمام الشارح رضي الله عنهما.. ٢٤١
ما ختم به الشيخ مؤلف المتن.. ٢٤٦
تاريخ إتمام المتن.. ٢٤٦
فهرس كتاب (مصباح الأسرار في شرح مشكاة الأنوار) ٢٤٩